البرهان
في
علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
المتوفى سنة ٧٩٤هـ

خرج حديثه وقدّم له وعلّق عليه
مصطفى عبد القادر عطا

الجزء الرابع

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار الفكر
بيروت
لبنان
المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبدالنور - هاتف: ٣٩٠٦٦٣ | ٨٣٨٢٠٢ ٨٣٧٨٩٨
برقيا: فكسي - تلكس: ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

البرهان
في
علوم القرآن

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقابلة الجمع بالجمع

تارة يقتضي مقابلةَ كل فرد من هذا بكل فرد من هذا ، كقوله تعالى :
﴿فَاسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ﴾(١)، ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ ﴾(٢) ، ﴿ حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ ﴾(٣) .

فإن الصلاة والزكاة في معنى الجمع ، فيقتضي اللفظ ضرورة أن كل واحد مأمور بجميع الصلوات ، وبالاستباق إلى كلّ خير ، كما يقال : لبس القوم ثيابهم ، وركبوا دوابّهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾(٤) ، أي : لكل واحدة منهنّ .

وقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾(٥)؛ لأنه لا يجوز أن يتذكر جميع المخاطبين بهذا القول في مدة وعمر واحد.

وقوله : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾(٦) ، أي : كل واحدة من هذا الشرر كالقصر ، والقصر : البيت من أدم ، كان يضرب على الماء إذا نزلوا به ، ولا يجوز أن يكون الشرر كله كقصر واحد ؛ لأنه منافٍ للوعيد ، فإنّ المعنى : تعظيم الشرر ؛ أيْ : كلّ واحد من هذا الشرر كالقصر .

ويؤكده قوله بعده : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ ﴾(٦) ، فشبه بالجماعة ؛ أي :

(١) سورة : المائدة . آية : ٤٨ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٣٣ ، ٤٣ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٣٨ .
(٤) سورة : يوسف . آية : ٣١ .
(٥) سورة : فاطر . آية : ٣٧ .
(٦) سورة : المرسلات . آية : ٣٢ .

فكل واحدة من هذا الشرر كالجمل فجماعته ، إذ الجمالات الصُّفْر كذلك الأول ؛ كلُّ شرَرة منه كالقصر . قاله ابن جنّي .

وقوله : ﴿ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[2] ؛ فإنّ كلّ واحد من المؤمنين آمن بكل واحد من الملائكة ، والكتب ، والرسل .

وقوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ . . . ﴾[3] الآية ؛ فإنه لم يحرّم على كلّ واحد من المخاطبين جميع أمهات المخاطبين ، وإنما حرم على كلّ واحد أمّه وبنته .

وكذا قوله : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾[4] ؛ فإنه ليس لجميع الأزواج نصف ما ترك جميع النساء ؛ وإنما لكلّ واحد نصف ما تركت زوجُه فقط .

وكذا قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[6] ؛ إنما معناه : اتبع كلُّ واحد ذريته ، وليس معناه : أنّ كل واحد من الذرية اتبع كلّ واحد من الآباء .

وقوله : ﴿ وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾[7] ، أي : كلّ واحدة ترضع ولدها .

وكقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[8] ، فإنّ مقابلةَ الجمع أفادتْ

---

(١) سورة : نوح . آية : ٧ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨٥ .
(٣) سورة : النساء . آية : ٢٣ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١٢ .
(٥) سورة : النساء . آية : ١١ .
(٦) سورة : الطور . آية : ٢١ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٢٣٣ .
(٨) سورة : التوبة . آية : ٥ .

المكْنة لكلّ واحد من المسلمين قَتْل مَن وجد من المشركين .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[2] ، فذكر « المرافق » بلفظ الجمع ، « والكعبيْن » بلفظ التثنية ؛ لأن مقابلة الجمع تقتضي انقسام الآحاد على الآحاد ؛ ولكلّ يد مِرْفق ، فصحّت المقابلة .

ولو قيل « إلى الكعاب » فهُم منه أنّ الواجب . . .[3] ؛ فإن لكلّ رجل كعباً واحداً ، فذكر الكعبين بلفظ التثنية ، ليتناول الكعبين من كلّ رجل .

فإن قيل : فعلى هذا يلزم ألّا يجب إلا غسلُ يد واحدة ورجل واحدة ؟

قلنا : صَدّنا عنه فعلُ النبيّ ﷺ ، والإجماع .

وتارة يقتضي مقابلة ثبوت الجمع لكلّ واحد من آحاد المحكوم عليه .

كقوله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[4] .

وجعل منه الشيخ عز الدين : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾[5] .

وتارة يحتمل الأمرين ، فيفتقر ذلك إلى دليل يعيّن أحدهما .

مقابلة الجمع بالمفرد[6] :

أمّا مقابلة الجمع بالمفرد ، فالغالب أنّه لا يقتضي تعميم المفرد ، وقد يقتضيه بحسب عموم الجمع المقابل له .

---

(١) سورة : النور . آية : ٢٤ .

(٢) سورة : المائدة . آية : ٦ .

(٣) بياض بالأصول .

(٤) سورة : النور . آية : ٤ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .

(٦) هذا العنوان غير موجود بالأصول ، وقد أضفناه للتوضيح .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[1] ، المعنى : كلّ واحد لكلّ يوم طعام مسكين .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[2] ، إنما هو على كلّ واحد منهم ذلك .

(١) سورة : البقرة . آية : ١٨٤ .

(٢) سورة : النور . آية : ٤ .

قاعدة

فيما ورد في القرآن مجموعاً ومفرداً ، والحكم في ذلك

فمنه : أنه حيث وَرَد ذكر « الأرض » في القرآن فإنها مفردة .

كقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾[1] .

وحكمته : أنها بمنزلة السُّفْل والتحت ، ولكن وصف بها هذا المكان المحسوس، فجرتْ مجرى امرأة زَوْر ، وضيف ؛ فلا معنى لجمعها ، كما لا يجمع الفوق والتحت ، والعلوّ والسُّفْل ؛ فإن قَصَد المخبر إلى جزء من هذه الأرض الموطوءة ، وعيّن قطعة محدودة منها ، خرجت عن معنى السفل الذي هو في مقابلة العلوّ ، فجاز أن تُثنّى إذا ضممت إليها جزءاً آخر .

ومنه : قوله ﷺ « طُوِّقه من سبع أرضين »[2] ، فجمعها لما اعتمد الكلام على ذات الأرض ، وأثبتها على التفصيل والتعيين لآحادها ، دون الوصف بكونها تحت أو سفل في مقابلة علوّ .

وأما جمع السموات ، فإنّ المقصود بها ذاتها دون معنى الوصف ، فلهذا جُمعت جمع سلامة ؛ لأن العدد قليل ، وجمع القليل أَوْلى به ، بخلاف الأرض ؛ فإن المقصودَ بها معنى التحت والسّفل ، دون الذات والعدد .

(١) سورة : الطلاق . اية : ١٢ .

(٢) أنظر : صحيح البخاري ، كتاب المظالم باب ١٣ ، وبدء الخلق باب ٢ . وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة حديث ١٣٩ ، ١٤٢ . وسنن الترمذي كتاب الديات باب ٢١ . ومسند الإمام أحمد ١/١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢/٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٣٢ ، ٤/١٤٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٢ ، ٥/٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٦/٦٤، ٧٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ .

وحيث أريد بها الذات والعدد أُتِي بلفظٍ يدلّ على التعدد .

كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾[1] .

وأيضاً : فإنّ الأرض لا نسبة إليها إلى السموات وسعتها ، بل هي بالنسبة إليها كحصاة في صحراء ، فهي وإن تعددت ، كالواحد القليل ؛ فاختير لها إسم الجنس .

وأيضاً : فالأرض هي دار الدنيا التي بالنسبة إلى الآخرة ، كما يُدخل الإنسان إصبَعه في اليمّ[2] ، فما يعلّق بها هو مثال الدنيا ؛ والله تعالى لم يذكر الدّنيا إلا مُقلّلاً لها .

وأما السموات : فليست من الدنيا على أحد القولين ، فإذا أريد الوصف الشامل للسموات ؛ وهو معنى العلوّ والفوق ، أفردته كالأرض ؛ بدليل قوله تعالى :

﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾[3] . ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾[4] .

فأفرد هنا لما كان المراد الوصف الشامل ، وليس المراد سَماءً معيّنة .

وكذا قوله : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[5] .

بخلاف قوله في سبإ: ﴿ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[6] ، فإنّ قبلَها ذكر الله سبحانه سعةَ علمه ، وأنّ له ما في السموات وما في الأرض ، فاقتضى السياقُ أن يذكر سعة علمه ، وتعلّقه بمعلومات ملكه ؛ وهو السموات كلّها والأرض .

---

(١) سورة : الطلاق . آية : ١٢ .
(٢) اليم : البحر .
(٣) سورة : الملك . آية : ١٦ .
(٤) سورة : الملك . آية : ١٧ .
(٥) سورة : يونس . آية : ٦١ .
(٦) سورة : سبإ. آية : ٣

ولما لم يكن في سورة يونس ما يقتضي ذلك أفردها إرادة للجنس .

وقال السُّهيليّ : لأن المخاطبين بالإفراد مقرّون بأن الرزق ينزل من السحاب وهو سماء ؛ ولهذا قال في آخر الآية : ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾[1]، وهم لا يُقرّون بما نَزَلَ من فوق ذلك من الرحمة والرحمٰن وغيرها ، ولهذا قال في آية سبإ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[2] ، أمر نبيّه ﷺ بهذا القول ليعلم بحقيقته .

وكذا قوله : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾[3] فإنّها جاءت مجموعة لتعلّق الظرف بما في إسم الله تبارك وتعالى من معنى الإلٰهيّة ؛ فالمعنى : هو الإلٰه المعبود في كلّ واحدة من السموات ، فذكْر الجمع هنا أحسن .

ولما خفِيَ هذا المعنى على بعض المجسّمة قال بالوقف على قوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ ﴾ ، ثم يبتدىء بقوله : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

وتأمّل كيف جاءت مفردة في قوله : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾[4] ، أراد لهذين الجنسين ، أي : ربّ كلّ ما علا وسَفُل .

وجاءت مجموعة في قوله : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[5] ، في جميع السور ؛ لما كان المراد الإخبار عن تسبيح سكانها على كثرتهم ، وتبايُن مراتبهم ؛ لم يكن بد من جمع محلهم .

ونظير هذا جمعها في قوله : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَاتُ ٱلسَّبْعُ ﴾[7] ، أي : تسبّح بذواتها وأنفسِها ، على اختلاف عددها ؛ ولهذا صرّح بالعدد بقوله : ﴿ ٱلسَّبْعُ ﴾ .

---

(١) سورة : يونس . آية : ٣١ .
(٢) سورة : سبإ . آية : ٢٤ .
(٣) سورة : الأنعام . آية : ٣ .
(٤) سورة : الذاريات . آية : ٢٣ .
(٥) سورة : الحديد . آية : ١ .
(٦) سورة : الأنبياء . آية : ١٩ .
(٧) سورة : الإسراء . آية : ٤٤ .

وتأمّل كيف جاءت مفردةً في قوله : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[1]، فـ « الرزق » : المطر ، وما تُوعَدون » : الجنّة ، وكلاهما في هذه الجهة : لأنها في كلّ واحدة واحدة من السمٰوات ، فكان لفظ الإفراد أليق .

وجاءت مجموعة في قوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2] لمّا كان المراد نفيَ علم الغيب عن كلِّ مَنْ هو في واحدة واحدة من السمٰوات أتى بها مجموعة ، ولم يجىء في سياق الإخبار بنزول الماء منها إلا مفردة حيث وقعت ، لما لم يكن المراد نزوله من ذاتها ؛ بل المراد : الوصف .

فإن قيل : فهل يظهر فَرْق بين قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ ﴾[3] ، وبين قوله في سورة سبإ: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[4]؟

قيل : السياق في كل منهما مُرْشِدٌ إلى الفرق ؛ فإنّ الآيات التي في يونس سيقت للاحتجاج عليهم بما أقروا به ، من كونه تعالى هو رازقهم ، ومالك أسماعهم ، وأبصارهم ، ومُدبِّر أمورهم ؛ بأنْ يُخرج الحيَّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ؛ فلما كانوا مُقرِّين بهذا كلّه ، حَسُن الاحتجاج به عليهم ؛ إذ فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره ، فكيف تعبدون معه غيره !

ولهذا قال بعده : ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[5] ، أي : هم يُقرّون به ولا يجحدونه ، والمخَاطَبُون المحتجّ عليهم بهذه الآية ، إنما كانوا مُقرِّين بنزول الرزق من قِبَل هذه السماء التي يشاهدونها ، ولم يكونوا مقرّين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى ينتهي إليهم ، فأفردت لفظة « السماء » هنا لذلك .

---

(١) سورة الذاريات: آية : ٢٢ .

(٢) سورة النمل : آية : ٦٥ .

(٣) سورة : يونس . آية : ٣١ .

(٤) سورة : سبإ. آية : ٢٤ .

(٥) سورة : يونس . آية : ٣١ .

وأما الآية التي في سبإ؛ فإنه لم ينتظم لها ذكر إقرارهم بما ينزل من السماء ؛ ولهذا أمر رسوله بأنْ يجيب ، وأن يذكر عنهم أنهم هم المجيبون ، فقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[١] ، ولم يقل : ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[٢] ، أي : الله وحده الذي يُنزل رزقه ، على اختلاف أنواعه ومنافعه ، من السمٰوات.

ومنها : ذكر الرياح في القرآن جَمْعاً ومفردة .

فحيث ذكرت في سياق الرحمة جاءت مجموعة .

كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾[٣] .

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[٤] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾[٥] .

وحيثُ ذكرت في سياق العذاب أتت مفردة.

كقوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾[٦] .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾[٧] .

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[٨] .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾[٩] .

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾[١٠] .

---

(١) سورة : سبإ . آية : ٢٤ .
(٢) سورة : يونس . آية : ٣١ .
(٣) سورة : الروم . آية : ٤٨
(٤) سورة : الحجر . آية : ٢٢ .
(٥) سورة : الروم . آية : ٤٦ .
(٦) سورة : فصلت . آية : ١٦ .
(٧) سورة : الأحزاب . آية : ٩ .
(٨) سورة : الحاقة . آية : ٦ .
(٩) سورة : إبراهيم . آية : ١٨ .
(١٠)سورة: الذاريات . آية : ٤١ .

ولهذا قال ﷺ : « اللهم اجْعَلْها رياحاً ولا تجعلها ريحاً »[1] .

والمعنى فيه : أنّ رياح الرحمة مختلفة الصفات ، والماهيّات ، والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أثير لها مِنْ مُقابلها ما يكسر سورتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة ، تنفع الحيوان والنبات ، وكانت في الرحمة رياحاً . وأما في العذاب ، فإنها تأتي من وجه واحد ، ولا معارض ولا دافع ؛ ولهذا وصفها الله بالعقيم فقال :

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾[2] ، أي : تَعْقِم ما مرت به .

وقد اطّردت هذه القاعدة إلا في مواضع يسيرة لحكمة :

فمنها : قوله سبحانه في سورة يونس : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾[3] .

فذكر ريح الرحمة بلفظ الإفراد لوجهين :

أحدهما : لفظي ، وهو المقابلة ، فإنه ذَكر ما يقابلها ريح العذاب ، وهي لا تكون إلّا مفردة ، وربّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً ؛ نحو : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[4] .

الثاني : معنويّ ، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح ، لا باختلافها ؛ فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة ، من وجه واحد ؛ فإن اختلفت عليها الرياح وتصادمتْ ، كان سبب الهلاك والغرق .

---

(١) أنظر الحديث في المطالب العالية لابن حجر ٣٣٧١ . وكنز العمال ١٨٠٣٣ . والدر المنثور للسيوطي ١٦٥/١ . وإتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٠٣/٥ . وتفسير القرطبي ١٩٨/٢ . وزاد المسير لابن الجوزي ٣١٠/٦ .

(٢) سورة : الذاريات . آية : ٤١ .

(٣) سورة : يونس . آية : ٢٢ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ٥٤ .

فالمطلوب هناك ريح واحدة ؛ ولهذا أكّد هذا المعنى ، فوصفها بالطيب ، دفْعاً لِتَوَهُّمِ أن تكون عاصفة ، بل هي ريح يُفْرَح بطيبها .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾[1] .

وهذا أورده ابن المنيِّر في كتابه[2] على الزمخشري ، قال : الريح رحمة ونعمة ، وسكونها شدة على أصحاب السفن .

فقال الشيخ علم الدين العراقي :

وكذا جاء في القراءات السبع : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيحَ ﴾[3] ، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيحَ ﴾[4] ، والمراد به : الذي يَنشر السحاب .

ومن ذلك : جمع الظلمات والنور :

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾[5] .

ولذلك جُمع سبيل الباطل ، وأفرد سبيل الحق ، كقوله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[6] .

والجواب في ذلك كله : أنّ طريق الحق واحد ، وأمّا الباطل فطُرقه متشعّبة متعددة ، ولما كانت الظُّلَم بمنزلة طريق الباطل ، والنور بمنزلة طريق الجنة ، بل هما هما ، أفرد النور وجَمَع الظلمات ؛ ولهذا وحّد « الوليّ » ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[7] ؛ لأنّه الواحد الأحد ، وَجَمَع أولياء الكفار

---

(1) سورة : الشورى . آية : ٣٣ .

(2) وهو كتاب : « الانتصاف من الكشاف » .

(3) سورة : فاطر . آية : ٩ .

(4) سورة : الأعراف . آية : ٥٧ .
وانظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٢٥ ، ٣٦١ .

(5) سورة : البقرة . آية : ٢٥٧ .

(6) سورة : الأنعام . آية : ١٥٣ .

(7) سورة : البقرة . آية : ٢٥٧ .

لتعددهم ، وَجَمَع « الظلمات » وهي طرق الضلال والغيّ ، لكثرتها واختلافها، ووحّد « النور » وهو دين الحق .

ومن ذلك :

أفرد اليمين والشمال :

في قوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾(١) .

وجمعها في قوله : ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾(٢) .

ولا سؤالَ فيه ، إنما السؤالُ في جمع أحدهما وإفراد الآخر ، كقوله تعالى :

﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ ﴾(٣) .

قال الفرّاء : كأنّه إذا وَحَّد ذهب إلى واحد من ذوات الظُّلْمة ، وإذا جُمع ذهب إلى كلّها ، والحكمة في تخصيص اليمين بالإفراد : ما سبق ؛ فإنّه لما كانت اليمين جهة الخير والصلاح ، وأهلها هم الناجون : أُفردت ، ولما كانت الشمال جهةَ أهل الباطل ، وهم أصحاب الشمال : جُمعت في قوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَائِلِ ﴾(٣) .

وفيه وجوه أُخَر :

أحدها : أن اليمين مقصود به الجمع أيضاً ، فإنّ الألف واللام فيه للجنس ، فقام العموم مقام الجمع . قاله ابن عطية .

الثاني : أن اليمين فعِيل ، وهو مخصوص بالمبالغة ، فسدَّت مبالغتُهُ جمعَه ، كما سدّ مسدّ الشبه قوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾(٤) ، قاله ابن بَابشاذ .

---

(١) سورة : المعارج . آية : ٣٧ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٧ .

(٣) سورة : النحل . آية : ٤٨ .

(٤) سورة : قَ. آية : ١٧ .

الثالث : أن الظلّ حين ينشأ أولَ النهار يكون في غاية الطّول ، ثم يبدو كذلك ظِلّاً واحداً من جهة اليمين ؛ ثم يأخذ في النقصان ، وإذا أخذ في جهة الشمال، فإنه يتزايد شيئاً فشيئاً، والثاني فيه غير الأول، فكلما زاد فيه شيئاً فهو غير ما كان قبله ، فصار كلّ جزء منه ظِلّ ، فحسن جمع الشمائل في مقابلة تعدد الظلال . قاله الرماني ، وغيره .

قال ابن بابشاذ : وإنما يصحّ هذا ؛ إذا كانا متوجهين نحو القبلة .

الرابع : أن « اليمين » يجمع على : أيمن ، وأيمان ؛ فهو من أبنية جمع القلّة غالباً ، و « الشمال » يجمع على : شمائل ، وهو جمع كثرة ، والمواطِنُ موطن تكثير ومبالغة ، فعدَل عن جمع اليمين إلى الألف واللام الدالّة على قصد التكثير . قاله السُّهَيْلي .

وأما إفرادها في قوله : ﴿ وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ ﴾(١) ؛ فلأنّ المراد : أهل هذه الجهة ومصيرهم إلى جهة واحدة ، وهي جهة أهل الشمال مستقرّ أهل النار ، فإنّها من جهة أهل الشمال ، فلا يحسن مجيئها مجموعة .

وأما إفرادهما في قوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾(٢) ؛ فإن لكل عبد قعيداً ، واحداً عن يمينه وآخر شماله ، يحصيان عليه الخير والشر ، فلا معنى للجمع بينهما .

وهذا بخلاف قوله تعالى ذاكراً عن إبليس : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾(٣) فإنّ الجمع هناك يقابله كثير مما يريد إغواءهم ، فجُمع لمقابلة الجملة بالجملة المقتضى ، لتوزيع الأفراد على الأفراد .

---

(١) سورة : الواقعة . آية : ٤١ .
(٢) سورة : قٓ. آية : ١٧ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٧ .

ومنها : حيث وقع في القرآن ذكر الجنة فإنها تجيء تارة مجموعة ، وتارة غير مجموعة ، والنار لم تقع إلا مفردة .

وفي ذلك وجهان :

أحدهما : لما كانت الجنات مختلفة الأنواع ، حسن جمعها وإفرادها ، ولما كانت النار مادة واحدة أفردت باعتبار الجنس .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾[1] ، ولم يقل «وكؤوس» لما سنذكره .

الثاني : أنه لما كانت النار تعذيباً ، والجنة رَحْمة ، ناسب جمع الرحمة ، وإفراد العذاب ، نظير جمع الريح في الرحمة ، وإفرادها في العذاب .

وأيضاً : فالنار دار حبْس ، والغاضب يجمع جماعة من المحبوسين في موضع واحد ؛ ليكون أنكدَ لعيشهم ، والكريم لا يترك ضيفه ؛ ولا سيّما إذا كان للدوام ؛ إلا في دار مفردة مهيأة له وحده ، فالنّار لكلّ مذنب ، ولكل مطيع جُنّة ، فجمع الجنان، ولم يجمع النار .

ومنها : جمع « الآيات » في موضع وإفرادها في آخر :

فحيث جُمِعت فلجمع الدلائل ، وحيث وُحّدت فلوحدانية المدلول عليه ؛ لما يخرج عن ذلك .

ولهذا قال في الحِجْر : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[2] ثم قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

فلما ذكر صفة المؤمنين بالوحدانية ، وحّد الآية ؛ وليس لها نظير إلا في العنكبوت ، وهو قوله :

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾[4] .

---

(١) سورة : الواقعة . آية : ١٨ .
(٢) سورة : الحجر . آية : ٧٥ .
(٣) سورة : الحجر . آية : ٧٧ .
(٤) سورة : العنكبوت . آية : ٤٤ .

ومنها : مجيءُ المشرق والمغرب في القرآن تارة بالجمع ، وأخرى بالتثنية ، وأخرى بالإفراد :

لاختصاص كلٍّ مقام بما يقتضيه .

فالأول : كقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ ﴾[1] .

والثاني : كقوله : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[2] .

والثالث : قوله : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[3] .

فحيث جمع كان المراد : نفيُ المشرق والمغرب .

وحيث ثُنِّيا كان المراد : مشرقيْ صعودها وارتفاعها ؛ فإنها تبتدىء صاعدةً ، حتى تنتهي إلى غاية أَوْجِها وارتفاعها ؛ فهذا مَشْرِق صعودها وارتفاعها ؛ وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء ، فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقاً واحداً ، ومشرق هبوطها بجملته مشرقاً واحداً ، ومقابلهما مغرباً .

وقيل : هو إخبار عن الحركات الفَلَكية ، متحركة بحركات متداركة ، لا تنضبط لخطّة ، ولا تدخل تحت قياس ؛ لأن معنى الحركة انتقال الشيء من مكان إلى آخر ، وهذه صفة الأفلاك .

قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ . . . ﴾[4] ، الآية .

فهذا وجه اختلاف هذه الألفاظ بالإفراد ، والتثنية ، والجمع .

وقد أجرى الله العادَةَ أنّ القمرَ يطلُعُ في كلّ ليلة من مطلع غير الذي طلع فيه بالأمس ، وكذلك الغروب ، فهي من أوّل فصل الصيف في تلك المطالع والمغارب ؛ إلى أن تنتهي إلى مطلع الاعتدال ، ومغربه عند أول فصل الخريف ، ثم تأخذ جنوباً في كلّ يوم في مطلع ومغرب ، إلى أن تنتهيَ إلى آخر

---

(١) سورة : المعارج . آية : ٤٠ .
(٢) سورة : الرحمٰن . آية : ١٧ .
(٣) سورة : المزمل . آية : ٩
(٤) سورة : يسٓ . آية : ٤٠ .

مثلها الذي يقدّر الله لها عند أوّل فصل الشتاء ، ثم ترجع كذلك إلى أن تنتهيَ إلى مطلع الاعتدال الربيعي ومغربه ، وهكذا أبداً.

فحيث أفرد الله له لفظ المشرق والمغرب ، أراد به : الجهة نفسها التي تشتمل الواحدة على تلك المطالع جميعها، والأخرى على تلك المغارب من غير نظر إلى تعدّدها.

وحيث جيء بلفظ الجمع المراد به : كلُّ فرد منها بالنسبة إلى تعدّد تلك المطالع والمغارب ، وهي في كل جهة مائة وثمانون يوماً .

وحيث كان بلفظ التثنية ، فالمراد بأحدهما : الجهة التي تأخذ منها الشمس من مطلع الاعتدال إلى آخر المطالع والمغارب الجنوبية ، وبهذا الاعتبار مشرقان ، ومغربان .

وأمّا وجه اختصاص كلّ موضع بما وقع منه ، فأبْدَى فيه بعضُ المتأخرين معانيَ لطيفة ، فقال :

أمّا ما ورد مثنى في سورة « الرحمٰن »[1] ، فلأنّ سياقَ السورة سياق المزدوِجَيْن .

الثاني : فإنه سبحانه أوّلاً ذكر نوعَيِ الإيجاد ؛ وهما : الخلق والتعليم ، ثم ذكر سراجَيِ العالم ومظهرَ نوره ، وهما : الشمس والقمر ، ثم ذكر نَوْعَيِ النبات ؛ فإنّ منه ما هو على ساق ، ومنه ما انبسط على وجه الأرض ، وهما : النجم والشجر . ثم ذكر نَوْعَي السماء المرفوعة والأرض ، ثم أخبر أنّه رفع هذه ووضع هذه ، ووسّط بينهما ذكر الميزان ، ثم ذكر العدل والظلم في الميزان ، فأمر بالعدل ، ونهى عن الظلم ، ثم ذكر نوعي الخارج من الأرض ، هما الفاكهة والحبوب[2] ، ثم ذكر نوعَي المكلّفين ، وهما : نوع الإنسان والجان ، ثم ذكر

(١) سورة : الرحمٰن . آية : ١٧ وما بعدها .

(٢) في المطبوعة : « وهما الجنوب » والصحيح هو ما أثبتناه ، وهو المناسب لما ورد في الآية .

نوعَي المشرق والمغرب ، ثم ذكر بعد ذلك البحر من الملح والعذْب .

فلهذا حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة .

وإنما أفْرِدا في سورة « المزمّل » لما تقدم من ذكر الليل والنهار ، فإنه سبحانه أمر نبيّه بقيام الليل ، ثم أخبر أنه لَهُ في النهار سَبْحاً طويلاً ؛ فلما تقدم ذكر الليل والنهار ، تمّمه بذكر المشرق والمغرب ، اللذيْن هما مظهر الليل والنهار ، فكان ورودهما منفردَيْن في هذا السياق ، أحسنُ من التثنية والجمع ؛ لأن ظهور الليل والنهار فيهما واحد .

وإنما جمعا في سورة « المعارج » في قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[1] ؛ لأنّه لما كان هذا القسم في سَعة مشارق ربوبيته ، وإحاطة قدرته، والمقسَم عليه إذهابُ هؤلاء ، والإتيان بخير منهم ذكَر المشارق والمغارب ؛ لتضمّنها انتقال الشمس التي في أحد آياته العظيمة ، ونقله سبحانه لها ، وتصريفها كلّ يوم في مشرق ومغرب ، فمن فعل هذا ، كيف يُعْجِزه أن يبدّل هؤلاء ، وينقل إلى أمكنتهم خيراً منهم ! ؟

وأيضاً : فإن تأْثير مشارق الشّمس ومغاربَها في اختلاف أحوال النبات والحيوان أمرٌ مشهود ، وقد جعله الله بحكمته سبباً لتبدّل أجسام النبات ، وأحوال الحيوانات وانتقالها من حال إلى حال ، ومن بَرْد إلى حرّ ، وصيف وشتاء ، وغير ذلك بسبب اختلاف مشارق الأرض ومغاربها .

فكيف لا يَقْدر مع ما يشهدونه من ذلك على تبديل مَنْ هو خير ! وأكّد هذا المعنى بقوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[2] ، فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظ الجمع .

---

(١) سورة : المعارج . آية : ٤٠ ، ٤١ .

(٢) سورة: المعارج . آية : ٤١ .

وأما جمعهما في سورة « الصافات » في قوله : ﴿ وَرَبُّ ٱلْمَشَارِقِ ﴾[1] ، لما جاءت مع جملة المربوبات المتعدّدة ، وهي السموات والأرض وما بينهما ، وكان الأحسن مجيئها مجموعة ، لتنتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد .

ثم تأمّل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب ؛ لاقتضاء الحال ذلك ، فإنَّ المشارقَ مظهر الأنوار ، وأسباب لانتشار الحيوان وحياته ، وتصرفه في معاشه وانبساطه ، فهو إنشاء شهود ، فقدّمه بين يدي . . .[2] على مبدأ البعث ، فكان الاقتصارُ على ذكر المشارق ها هنا في غاية المناسبة للغرض المطلوب ؛ فتَأَمّل هذه المعاني الكاملة ، والآيات الفاضلة ، التي ترقص القلوب لها طرباً ، وتسيل الأفهام منها رهباً .

وحيث ورد « البارّ » مجموعاً في صفة الآدميين قيلَ « أبرار » .

كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[3] .

وقال في صفة الملائكة : ﴿ بَرَرَةٍ ﴾[4] .

قال الراغب : فخصّ الملائكة بها ، من حيث إنه أبلغ من « أبرار » جمع « بَرّ » وأبرار جمع بار ، وبرّ أبلغ من بارّ[5] ، كما أن عدلاً أبلغ من عادل .

وهذا بناه على رواية في تفضيل الملائكة على البشَر .

ومنها أن « الأخ » يطلق على أخي النسب ، وأخي الصداقة والدين ، ويفترقان في الجمع :

فيقال في النسب : إخوة ، وفي الصداقة : إخوان .

---

(١) سورة : الصافات . آية : ٥ .

(٢) مكان النقط كلمة غير واضحة في الأصول .

(٣) سورة : الإنفطار . آية : ١٣ .

(٤) سورة : عبس. آية : ١٥ ، ١٦ .

(٥) « وبر أبلغ من بار » ليست موجودة بالأصول ، وقد أضفناها من كتاب المفردات ص ٤٠ .

كما قيل : ﴿ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[1] .

وقال : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾[2] ، قاله جماعة من أهل اللغة ، منهم ابن فارس ، وحكاه أبو حاتم عن أهل البصرة ، ثم ردّه بأنه يقال للأصدقاء والنسب : إخوة وإخوان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] ، لم يعنِ النسب . وقال : ﴿ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ﴾[4] . وهذا في النسب .

ونظيره قوله : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[5] ، إلى قوله : ﴿ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ﴾[6] ، وهذا هو الصواب .

واشتقاق اللفظين من تأخّيت الشيء ، فسمِّي الأخوان : أخوين ؛ لأن كل واحد منهما يتأخّى ما تأخّاه الآخر ، أي : يقصده .

قال ابن السكيت : ويقال أُخوة ، بضم الهمزة .

ومنها : إفراد العمّ والخال .

ومنها : إفراد « السمع » ، وجمع « البصر » :

كقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾[7] ؛ لأنّ السمع غلب عليه المصدرية ؛ فأُفرد ، بخلاف البصر ، فإنه اشتهر في الجارحة ، وإذا أردت المصدر قلت : أبصر إبصاراً ، ولهذا لما استعمل الحاسة جمعه بقوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾[8] .

وقال : ﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾[9] .

وقيل : في الكلام حذف مضاف ، أي على حواسّ سمعهم .

---

(1) سورة : الحجر . آية : ٤٧ .
(2) سورة : بالنساء . آية : ١١ .
(3) سورة : الحجرات . آية : ١٠ .
(4) سورة : النور . آية : ٣١ .
(5) سورة : النور . آية : ٣١ .
(6) سورة : النور . آية : ٣١ .
(7) سورة : البقرة . آية : ٧ .
(8) سورة : البقرة . آية : ١٩ .
(9) سورة : فصلت . آية : ٥ .

وقيل : لأنّ متعلق السمع : الأصوات ، وهي حقيقة واحدة ، ومتعلق البصر : الألوان ، والأكوان ، وهي حقائق مختلفة ، فأشار في كل منهما إلى متعلّقه .

ويحتمل أن يكون البصر ، الذي هو نور العين ، معنى يتعدّد بتعدد المقلتين ، ولا كذلك السمع ، فإنه معنى واحد ، ولهذا إذا غطيت إحدى العينين ينتقل نورها إلى الأخرى ، بخلاف السمع ، فإنه ينقص بنقصان أحدهما .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[1] :

أجرى الرعد والبرق على أصلهما مصدرين ، فأفردهما دون الظلمات ، يقال : رعدت السماء رعداً ، وبرقت بريقاً ، والحق أن الرعد والبرق مصدران ، فأفردهما . أو هما مسببان عن سبب لا يختلف ، بخلاف الظلمة ، فإن أسبابَها متعددة .

ومنها : حيث ذكر « الكأس » في القرآن كان مفرداً ، ولم يجمع :

في قوله تعالى : ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ ﴾[2] ، ولم يقل : « وكؤوس » ؛ لأن الكأسَ إناء فيه شراب ، فإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس ، بل قَدَح ، والقَدَح إذا جعل فيه الشراب فالاعتبار للشراب ، لا لإنائه ؛ لأنَّ المقصود هو المشروب ، والظرف اتخذ للآلة ، ولولا الشراب والحاجة إلى شربه لما اتُّخذا ، والقدَح مصنوع ، والشراب جنس ، فلو قال : «كؤوس» لكان اعتبر حال الْقَدح ، والقَدَح تبع ، ولما لم يُجمع اعتبر حال الشراب ، وهو أصل ، واعتبار الأصل أوْلى . فانظر كيف اختار الأحسن من الألفاظ !؟

وكثير من الفصحاء قالوا : دارت الكؤوس ، ومال الرءوس ؛ فدعاهم السجع إلى اختيار غير الأحسن ، فلم يدخل كلامهم في حَدّ الفصاحة ، والذي يدلّ على ما ذكرنا أنَّ الله تعالى لما ذكر الكأس واعتبر الأصل ، قال : ﴿وَكَأْسٍ

(١) سورة : البقرة . آية : ١٩ .

(٢) سورة : الواقعة . آية : ١٨ .

مِنْ مَعِينٍ ﴾[1] ، فذكر الشراب .

وحيث ذكر المصنوع ، ولم يكن في اللفظ دلالة على الشراب جَمَع فقال : ﴿ وَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾[2] ، ثم ذكر ما يتخذ منه فقال : ﴿ مِنْ فِضَّةٍ ﴾[3] .

ومنها : إفراد « الصديق » ، وجمع « الشافعين » :

في قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[4] .

وحكمتُه كثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق .

قال الزمخشري : ألا ترى أَنَّ الرَّجُل إذا امْتُحِن بإرهاق ظالم ، نهضت جماعة وافرة من أهل بلده بشفاعته رحمة له ، وإن لم يسبق له بأكْثرهم معرفة !؟ وأما الصديق فَأَعَزُّ من بَيْض الأنوق .

وعن بعض الحكماء أنَّه سُئِل عن الصديق ، فقال : إسم لا معنى له .

ويجوز أن يريد بالصديق الجمع .

وقال السُّهيلي في « الرَّوْض الأنف » :

إذا قلت : « عبيد » و « نخيل » ، فهو إسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾[5] ، وقال : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[6] ؛ وحين ذكر المخاطبين منهم قال : « العباد » ، ولذلك قال حين ذكر التمر من النخيل : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾[7] ، و ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾[8] ، فتأمّل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة ، واختيار الكلام !؟

وأما في مذهب اللغة ، فلم يفرقوا هذا التفريق ، ولا نبَّهوا على هذا المعنى الدقيق .

---

(١) سورة : الواقعة . آية : ١٨ .
(٢) سورة : الواقعة . آية : ١٨ .
(٣) سورة : الإنسان : آية : ١٥ .
(٤) سورة : الشعراء . آية : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٥) سورة : الرعد . آية : ٤ .
(٦) سورة : فصلت . آية : ٤٦ .
(٧) سورة : قَ . آية : ١٠ .
(٨) سورة : القمر . آية : ٢٠ .

ومنها : اختلاف الجمعين :

في قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ﴾[1] .

وقال : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً ﴾[2] .

فأما وجه التفرقة بين الجمع في الموضعين ، وكذلك قوله : ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ إلى قولـه : ﴿ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُـولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ ﴾[3] فخالف بين الجمعين في الأبناء .

وفي سورة الأحزاب : ﴿ وَلاَ أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ ﴾[4] .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾[5] ، وفي موضـع آخر : ﴿ وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ ﴾[6] ، فالمعدود واحد .

وقد اختلف تفسيره ، فالأول : جاء بصيغة جمع الكثرة ، والثاني : بجمع القلّة .

وقد قيل في توجيهه : إنّ آية البقرة سيقت في بيان المضاعفة والزيادة ، فناسب صيغة جمع الكثرة ، وآية يوسف لحظ فيها[7] . وهو قليل ، فأتى بجمع القلّة ؛ ليصدّق اللفظ المعنى .

تنبيـــه :

جمع التكسير : يشمل « أولِي العلم » وغيرهم .

وجمع السلامة : يختص في أصل الوضع « بأُولي العلم » ، وإن وجد في غيرهم فبحكم الإلحاق والتشبيه :

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٦٦ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٩ .

(٣) سورة : النور . آية : ٣١ .

(٤) سورة : الأحزاب . آية : ٥٥ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٦١ .

(٦) سورة : يوسف . آية : ٤٣ .

(٧) كلمة مطموسة في الأصول

كقوله : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾(1) .

وعلى هذا فأشرف الجمعين جمع السلامة ، وما يجمع جمع التكسير من مذكَّر غير العاقل قد يُتبع بالصفة المفردة مؤنثة بالتاء ، كما يفعل بالخبر ، تقول : حقوق معقودة ، وأعمال محسوبة .

قال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾(2) .

وقال تعالى : ﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾(3) .

وقد يجمع بالألف والتاء في غير المفرد وإن لم يكثر ، إلا أنه فصيح .

ومنه : ﴿ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾(4) .

قاعدة نحوية :

نون ضمير الجمع في جمع العاقلات ، سواء القلّة : كالهندات ، أو الكثرة : كالهنود ، فتقول : الهندات يَقُمْن ، والهنود يَقُمْن .

قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾(5) . ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾(6) .

هذا هو الأكثر ، وقد جاء في القرآن بالإفراد ، قال تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾(7) ، ولم يقل : « مطهرات » .

وأما جمعُ غير العاقل ففيه تفصيل :

إن كان للكثرة : أتيت بضميره مفرداً ، فقلت : الجذوع انكسرت ، وإن كان للقلة : أتيت جمعاً .

---

(1) سورة : يوسف . آية : ٤ .
(2) سورة : الغاشية . آية : ١٣ ـ ١٦ .
(3) سورة : هود . آية : ٨٨ .
(4) سورة : البقرة . آية : ٢٠٣ .
(5) سورة : البقرة. آية : ٢٣٣ .
(6) سورة : البقرة . آية : ٢٢٨ .
(7) سورة : آل عمران . آية : ١٥ .

وقد اجتمعا في قوله : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ ٱللَّهِ ﴾ ، إلى أن قال : ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[1] .

فالضمير في « منها » يعود إلى « الاثني عشر » ، وهو جمع كثرة ، ولم يقل « منهن » ، ثم قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[2] ، فهذا عائدٌ إلى الأربعة ، وهو جمع قلة .

فإن قيل : فما السرُّ في هذا ، حيث كان يؤتى مع الكثرة بضمير المفرد ، ومع القلة بضمير الجمع ؟ وهلّا عكس ؟

قلنا : ذكر الفراء له سراً لطيفاً ، فقال : لما كان المميِّز مع جمع الكثرة واحداً ، وحّد الضمير ؛ لأنه من أحد عشر يصير مميزه واحداً ، وهو أَنْدَرُهم ، وأما جمع القلة فمميِّزة جمع ، لأنّك تقول : ثلاثة دراهم ، أربعة دراهم ، وهكذا ، إلى العشرة تمييزه جمع ، فلهذا أعاد الضمير باعتبار المميِّز جمعاً وإفراداً ، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾[3] ، فأتى بجمع القلة ولم يقل : « بحور » لتناسب نظم الكلام ؛ وهذا هو الاختيار في إضافة العدد إلى جمع القلّة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[4] ، فأضاف الثلاثة إلى القروء ، وهو جمع كثرة ، ولم يُضفْها إلى الأقراء ، التي هي جمع قلة .

قال الحريري : المعنى : لِتَتَرَبّص كُلّ واحدة منهن ثلاثة أقراء ، فلمّا أسنَد إلى جماعتهنّ ثلاثة ـ والواجب على كل فرد منهن ثلاثة ـ أتى بلفظ « قروء » لتدل على الكثرة المرادة ، والمعنى الملموح .

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٣٦ .
(٢) سورة : التوبة . آية : ٣٦ .
(٣) سورة : لقمان . آية : ٢٧ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٢٨ .

قاعدة في الضمائر :

وقد صنف ابنُ الأنباريّ في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين، وفيه مباحث :

[البحث][(١)] الأول : للعدول إلى الضمائر أسباب :

منها - وهو أصل وصفها : للاختصار ، ولهذا قام قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[(٢)] ، مقام خمسة وعشرين لو أتى بها مظهرة .

وكذا : قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾[(٣)] .

نقل ابن عطية عن مكيّ ، أنه ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها ، وهي مشتملة على خمسة وعشرين ضميراً .

وقد قيل : في آية الكرسي أحد وعشرون إسماً ؛ ما بين ضمير وظاهر .

ومنها : الفخامة بشأن صاحبه ؛ حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدلّ على نفسه ، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[(٤)] ، يعني القرآن .

وقوله : ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[(٥)]. ومنه ضمير الشأن.

ومنها : التحقير :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[(٦)] ، يعني : الشيطان .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[(٧)] .

﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾[(٨)] .

---

(١) « البحث » كلمة أضفناها للتوضيح .
(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٣٥ .
(٣) سورة : النور . آية : ٣١ .
(٤) سورة : القدر . آية : ١ .
(٥) سورة : البقرة. آية : ٩٧ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ١٦٨ .
(٧) سورة : الأعراف . آية : ٢٧ .
(٨) سورة : الإنشقاق . آية : ١٤ .

[البحث][1] الثاني :

الأصلُ أن يقدّم ما يدلّ عليه الضمير ، بدليل الأكْثرية ، وعدم التكليف .

ومن ثم ورد قوله تعالى : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[2]، وتقدّم المفعول الثاني في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ ﴾[3] ، فأخّر المفعول الأول ليعود الضمير الأول عليه لقربه .

وقد قسم النحويون ضمير الغيبة إلى أقسام :

أحدها ـ وهو الأصل : أن يعودَ إلى شيء سبق ذكره في اللفظ بالمطابقة، نحو :

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[4] .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾[5] .

﴿ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[6] .

وقفوله : ﴿ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ ﴾[7] .

الثاني : أن يعود على مذكور في سياق الكلام ، مؤخر في اللفظ مقدم في النية .

كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً ﴾[8] .

وقوله : ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[9] .

وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾[10].

(١) « البحث » كلمة أضفناها للتوضيح .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .
(٣) سورة : الأنعام . آية : ١١٢ .
(٤) سورة : طه . آية : ١٢١ .
(٥) سورة : هود . آية : ٤٢ .
(٦) سورة : النور . آية : ٤٠ .
(٧) سورة : الأحقاف . آية : ٢٩ .
(٨) سورة : طه . آية : ٦٧ .
(٩) سورة : القصص . آية : ٧٨ .
(١٠) سورة : الرحمٰن . آية : ٣٩ .

الثالث : أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمّن :

كقوله تعالىٰ : ﴿ ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ ﴾[1]، فإنه عائد على « العدل » المفهوم من « اعدلوا » .

وقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾[2] ، فالضمير يرجع للأكل لدلالة « تأكلوا » .

وقوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾[3] أي : المقسوم ، لدلالة القسمة عليه . ويحتمل أن يعود على ما تركه الوالدان والأقربون ؛ لأنه مذكور ، وإن كان بعيداً .

الرابع : أن يدلّ عليه بالإلتزام ، كإضمار النفس في قوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾[4] .

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾[5] .

أضمر النفس لدلالة ذكر الحلقوم والتراقي عليها .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[6] ، يعني : الشمس .

وقيل : بل سبق ما يدلُّ عليها ، وهو العشيّ ؛ لأن العشيّ ما بين زوال الشمس وغروبها ، والمعنى : إذ عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب.

وقيل : فاعل « توارت » ضمير « الصافنات » ذكره ابن مالك ، وابن العربي[7] في « الفتوحات » .

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٨ .
(٢) سورة : الأنعام . آية : ١٢١ .
(٣) سورة : النساء . آية : ٨ .
(٤) سورة : الواقعة . آية : ٨٣ .
(٥) سورة : القيامة . آية : ٢٦ .
(٦) سورة : صَ . آية : ٣٢ .

(٧) هو : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري ، الإشبيلي ، المالكي ، أبو بكر بن العربي : قاضٍ ، من حفاظ الحديث . ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ ، ورحل إلى المشرق ، وبرع =

ويرجّحه أن اتفاق الضمائر أولى من تخالفها ، وسنذكره في الثامن .

وكذا قوله : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ﴾(١) ، قيل : الضمير لمكان « الإغارة » بدلالة « والعاديات » عليه ، فهذه الأفعال إنما تكون لمكان .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾(٢) ، أضمر القرآن ؛ لأن الإنزال يدل عليه .

وقوله : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾(٣) ، فـ « عفى » يستلزم « عافياً » إذ أغنى ذلك عن ذكره ، وأعيد الهاء من ﴿ إليه ﴾ عليه .

الخامس : أن يدلّ عليه السياق فيضمر ، ثقةً بفَهْم السامع ، كإضمار « الأرض » في قوله : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾(٤) ، وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٥) .

وجعل ابن مالك الضميرَ للدنيا ، وقال : وإن لم يتقدم لها ذكر ، لكن تقدّم ذكر بعضها ، والبعض يدلّ على الكلّ .

وقوله تعالى : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾(٦) ، يعني : القرآن أو المسجد الحرام .

= في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين . وصنف في الحديث ، والفقه ، والأصول ، والتفسير والتاريخ . توفي سنة ٥٤٣ هـ . من كتبه : العواصم من القواصم ، وأحكام القرآن ، وقانون التأويل ، وعارضة الأحوذي ، وغير ذلك .

(أنظر : وفيات الأعيان ٤٨٩/١ . ونفح الطيب ٣٤٠/١ . والوافي بالوفيات ٣٣٠/٣ . والمغرب في حلي المغرب ٢٤٩/١ . وقضاة الأندلس ١٠٥ . والصلة ٥٣١ . والديباج المذهب ٢٨١ . والأعلام ٢٣٠/٦) .

(١) سورة : العاديات آية : ٤/٥ .

(٢) سورة : القدر . آية : ١ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٧٨ .

(٤) سورة : فاطر . آية : ٤٥ .

(٥) سورة : الرحمٰن . آية : ٢٦ .

(٦) سورة : المؤمنون . آية : ٦٧ .

وقوله : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾[1] .

﴿ يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ ﴾[2] .

﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾[3] ، الضمير يعود على الميت ، وإن لم يتقدم له ذِكْر ، إلا أنه لمّا قال : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[4] عَلِمَ أَن ثَمَّ ميتاً يعود الضمير عليه .

وقوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾ ثم قال : ﴿ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾[5] ؛ أي : من الموروث ، وهذا وجه آخر غير ما سبق .

وقوله : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً ٱتَّخَذَهَا ﴾[6] ولم يقل « اتخذه » ، ردًّا للضمير إلى « شيئاً » ، لأنه لم يقتصر على الاستهزاء بما يسمع من آيات الله ؛ بل كان إذا سمع بعض آيات الله استهزأ بجميعها .

وقيل : « شيئاً » بمعنى الآية ؛ لأن بعض الآيات آية .

وقد يعود الضمير على الصاحب المسكوت عنه لاستحضاره بالمذكور وعدم صلاحيته له :

كقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾[7] ، فأعاد الضمير للأيدي ؛ لأنها تصاحب الأعناق في الأغلال ، وأغنى ذكر الأغلال عن ذكرها .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾[8] ، أي : من عمر غير المعمّر ، فأعيد الضمير على غير المعمّر ؛ لأن ذكر المعمّر يدل عليه لتقابلهما ، فكان يصاحبه الاستحضار الذهنيّ .

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٢٦ .
(٢) سورة : القصص . آية : ٢٦ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١١ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١١ .
(٥) سورة : النساء . آية : ٨ .
(٦) سورة : الجاثية. آية : ٩ .
(٧) سورة : يسٓ. آية : ٨ .
(٨) سورة : فاطر . آية : ١١ .

وقد يعود الضمير على بعض ما تقدم ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً ﴾ ، بعد قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾[2] ؛ فإنه عائد على المطلّقات ؛ مع أن هذا خاصّ بالرُّجْعى .

وهل يقتضي ذلك تخصيص الأول ؟ فيه خلاف أصوليّ .

وقوله : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3] ؛ فإن الفضة بعض المذكور ، فأغنى ذكرُها عن ذكر الجميع ؛ حتى كأنه قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ﴾[4] ، أصناف ما يكنز .

وقد يعود على اللفظ الأوّل دون معناه :

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾[5] ، وقد سبق فيه وجه آخر .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾[6] ، على أحد الأقوال .

ومما يُتخرّج عليه : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾[7] ، ويستراح من إلزام تخصيص الأول .

وقد يعود على المعنى : كقوله في آية الكلالة : ﴿ فَإِنْ كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾[8] ، ولم يتقدم لفظ مثنى يعود عليه الضمير من « كانتا » .

قال الأخفض : إنما يثنّى ، لأن الكلام لم يقع على الواحد والاثنين

---

(١) سورة : النساء . آية : ١١ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٢٨ .
(٣) سورة : التوبة . آية : ٣٤ .
(٤) سورة : التوبة . آية : ٣٤ .
(٥) سورة : فاطر . آية : ١١ .
(٦) سورة : السجدة . آية : ٢٣ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٢٨ .
(٨) سورة : النساء . آية : ١٧٦ .

والجمع ، فثنى الضمير الراجع إليها ، حملاً على المعنى ، كما يعود الضمير جمعاً في « مَنْ » حملاً على معناها .

وقال الفارسي : إنما جازت من حيث كان يفيد العدد ، مجرداً من الضغير والكبير .

السادس : ألاّ يعود على مذكور ، ولا معلوم بالسياق أو غيره وهو الضمير المجهول الذي يلزمه التفسير بجملة أو مفرد ، فالمفرد في نعم وبئس ، والجملة ضمير الشأن والقصة ، نحـو:

هو زيد منطلق .

وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1] ، أي : الشأن الله أحدٌ .

وقوله : ﴿ لَكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾[2] .

وقوله : ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ ﴾[4] .

وقد يكون مؤنثاً إذا كان عائده مؤنثاً :

كقوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾[5] .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ﴾[6] فذكّر الضمير مع اشتمال الجملة على جهنم وهي مؤنثة ؛ لأنها في حكم الفضلة ، إذ المعنى : مَنْ يأت ربه مجرماً يجز جهنم .

تنبيـــه :

والفرق بينه وبين ضمير الفصل أن الفصـل يكون على لفظ الغـائب

---

(١) سورة : الإخلاص . آية : ١ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٢٨ .
(٣) سورة : طه . آية : ١٤ .
(٤) سورة : الحج . اية : ٤٦ .
(٥) سورة : الانعام . آية : ٢٩ .
(٦) سورة : طه . آية : ٧٤ .

والمتكلم والمخاطب، قال تعالى: ﴿ هَذَا هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾[1]. ﴿ كُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ ﴾[2]. ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً ﴾[3]، ويكون له محل من الإعراب، وضمير الشأن لا يكون إلا غائباً ويكون مرفوعَ المحلّ ومنصوبه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4]. ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[5].

البحث الثالث: قد يعود على لفظ شيء، والمراد به الجنس من ذلك الشيء:

كقوله تعالى: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾[6]؛ فإن الضمير في «به» يرجع إلى المرزوق في الدارين جميعاً؛ لأن قوله: ﴿ هَذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾[7] مشتمل على ذكر ما رزقوه في الدارين.

قال الزمخشري: ونظيره: ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾[8]، أي: بجنس الفقير والغني، لدلالة قوله: ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً ﴾ على الجنسين، ولو رجع إلى المتكلم به لوحّدَه.

البحث الرابع: قد يذكر شيئان، ويعاد الضمير على أحدهما، ثم الغالب كونه للثاني:

كقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾[9]، فأعاد الضمير للصلاة لأنها أقرب.

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾[10] والأصل: «قدرهما» لكن اكتفى برجوع الضمير للقمر لوجهين: قربه من الضمير، وكونه هو الذي يعلم به الشهور، ويكون به حسابها.

---

(١) سورة: الأنفال. آية: ٣٢.
(٢) سورة: المائدة. آية: ١١٧
(٣) سورة: الكهف. آية: ٣٩.
(٤) سورة: الإخلاص. آية: ١
(٥) سورة: الجن. آية: ١٩.
(٦) سورة: البقرة. آية: ٢٥.
(٧) سورة: البقرة. آية: ٢٥.
(٨) سورة: النساء. آية: ١٣٥.
(٩) سورة: البقرة. آية: ٤٥.
(١٠) سورة: يونس. آية: ٥.

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1] ، أعاد الضمير على الفضة لقربها . ويجوز أن يكون إلى المكنوز ، وهو يشملها .

وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾[2] ، أراد يرضوهما ، فخصّ الرسول بالعائد ، لأنه هو داعي العباد إلى الله ، وحجته عليهم ، والمخاطب لهم شفاهاً بأمره ونهيه ، وذكر الله تعالى في الآية تعظيماً ، والمعنى تام بذكر الرسول وحده ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾[3] ، فذكر الله تعظيماً ، والمعنى تام بذكر رسوله .

ومثله قوله تعالى : ﴿يَأَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا، أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ .

وجعل منه ابن الأنباريّ : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾[4] أعاد الضمير للإثم ، لقربه ، ويجوز رجوعه إلى الخطيئة والإثم على لفظها ، بتأويل : ومن يكسب إثماً ثم يرم به .

وقال ابن الأنباري : ولم يؤثر الأوّل بالعائد في القرآن كلّه إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[5]، معناه: «إليهما»، فخصّ التجارة بالعائد؛ لأنّها كانت سبب الانفضاض عنه، وهو يخطب.

قال : فأما كلام العرب فإنها تارة تؤثر الثاني بالعائد وتارة الأول ، فتقول : إن عبدك وجاريتك عاقلة ، وإن عبدك وجاريتك عاقل .

قلت : ليس من هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[6] . وقوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً ﴾[7] ، لأن الإخبار عن أحدهما لوجود لفظه ، أو هي لإثبات أحد المذكورين ، فمن جعله نظير هذا فلم يُصِب ، إلا أن يدّعي أنّ « أو » بمعنى الواو .

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٣٤ .
(٢) سورة : التوبة . آية : ٣٤ .
(٣) سورة : النور . آية : ٤٨ .
(٤) سورة : الأنفال . آية : ٢٠ .
(٥) سورة : النساء . آية : ١١٢ .
(٦) سورة : الجمعة . آية : ١١ .
(٧) سورة : الجمعة . آية : ١١ .
(٢) سورة : النساء . آية : ١١٢ .

وفي هاتين الآيتيْن لطيفة : وهي أنّ الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما ، أعاده في الآية الأولى على التجارة ، وإن كانت أبعد ، ومؤنّثة ، لأنها أجذب لقلوب العباد عن طاعة الله من اللهو ، بدليل أن المشتغلين بها أكثر من اللهو ؛ ولأنها أكثر نفعاً من اللهو . أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً ؛ لأنه ضُرِب بالطبل لقدومها على ما عرف من تفسير الآية . وأعاده في الآية الثانية على الإثم ، رعايةً لمرتبة القرب والتذكير .

[البحث][1] الخامس :

قد يذكر شيئان ، ويعود الضمير جمعاً ؛ لأن الاثنين جَمْع في المعنى :

كقوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾[2] ، يعني : حكم سليمان وداود .

وقوله : ﴿ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾[3] ، فأوقع « أولئك » وهو جمع ، على عائشة ، وصفوان بن المعطّل[4] .

البحث السادس : قد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين :

كقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[5] ، قالوا : وإنما يخرج من أحدهما .

---

(١) « البحث » كلمة أضفناها للتوضيح .

(٢) سورة : الأنبياء . آية : ٧٨ .

(٣) سورة : النور . آية : ٢٦ .

(٤) هو : صفوان بن المعطل بن رخصة السلمي الذكواني ، أبوعمرو : صحابي ، شهد الخندق والمشاهد كلها . وحضر فتح دمشق ، واستشهد بأرمينية سنة ١٩ هـ ، وقيل : في سمساط . وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا . روي عن النبي ﷺ حديثين .

(أنظر : تاريخ ابن عساكر ٤٣٨/٦ . واللباب ٤٤٣/١ . والأعلام ٢٠٦/٣) .

(٥) سورة : الرحمٰن . آية : ٢٢ .

وقوله : ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[1] وإنما نسيه الفتى .

[البحث][2] السابع : قد يجيء الضمير متّصلاً بشيء وهو لغيره :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ، يعني آدم ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾[3] فهذا لولده ، لأنَّ آدم لم يخلق من نطفة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[4] .

قيل : نزلت في ابن حُذافة[5] حين قال للنبي ﷺ : مَنْ أبي ؟ قال : « حذافة » ، فكان نسبه ، فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾[6] .

وقيل : نزلت في الحج ، حين قالوا : أفي كل عام مرة ؟ ثم قال : ﴿ وَإِنْ تسألوا عنها ﴾ ، يريد : إن تسألوا عن أشياء أخر من أمر دينكم ، بكم إلى علمها حاجة تبد لكم، ثم قال : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، أي طلبها ، والسؤال عنها طلب ، فليست الهاء راجعة لأشياء متقدمة ، بل لأشياء أخر مفهومة من قوله : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾[7] ويدلّ على ما ذكرنا أنه لو كان الضمير عائداً على أشياء مذكورة لتعدى إليها بـ « عن » لا بنفسه ، ولكنه مفعول مطلق لا مفعول به .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[8] ، يتبادر إلى الذهن أن الضمير في قوله : ﴿ هُوَ ﴾ عائد لإبراهيم ، لأنه أقرب المذكورين ، وهو

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٦١ . (٣) سورة : المؤمنون . آية : ١٣/١٢ .

(٢) « البحث » كلمة أضفناها للتوضيح . (٤) سورة : المائدة . آية : ١٠٢/١٠١ .

(٥) هو : عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي ، أبو حذافة : صحابي أسلم قديماً ، وبعثه النبي ﷺ إلى كسرى . وهاجر إلى الحبشة . وقيل : شهد بدراً . وأسره الروم في أيام عمر ، ثم أطلقوه . وشهد فتح مصر ، وتوفي بها في أيام عثمان ٣٣٠ هـ . وكانت فيه دعابة ، وله حديث .

(أنظر : تهذيب التهذيب ٥/ ١٨٥ . وإمتاع الأسماع ١/ ٣٠٨ وحسن الصحابة ٣٠٥ . والمحبر ٧٧ . وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٨٧ . والأعلام ٤/ ٧٨) .

(٦) سورة : المائدة . آية : ١٠٢/١٠١ .

(٧) سورة : المائدة . آية : ١٠٢/١٠١ . (٨) سورة : الحج . آية : ٧٨ .

مشكل لا يستقيم ؛ لأن الضمير في قوله : ﴿ وفي هذا ﴾ ، راجع للقرآن ، وهو لم يكن في زمن إبراهيم ، ولا هو قاله .

والصواب : أن الضمير راجع إلى الله سبحانه ، يعني ﴿ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[1] ، يعني : في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلكم ، وفي هذا الكتاب الذي أنزل عليكم ، وهو القرآن .

والمعنى : جاهدوا في الله حقّ جهاده ، هو اجتباكم ، وهو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا الكتاب لتكونوا . أي : سماكم وجعلكم مسلمين ، لتشهدوا على الناس يوم القيامة .

وقوله : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾[2] ، منصوب بتقدير « اتّبعوا » ؛ لأنَّ هذا الناصب نصبه قوله : ﴿ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾[3] ، لأنَّ الجهادَ من ملة إبراهيم .

وفي سورة يسٓ موضعان ، تَوهَّم فيهما كثير من الناس :

أحدهما : قوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾[4] .

فقد يُتَوَهَّم أنّ الضمير في « هم » راجع إلى الليل والنهار ، بناءً على أن أقلّ الجمع اثنان .

وهو فاسد لوجهين :

أحدهما : أنَّ النهار ليس مظلماً .

والثاني : أنَّ كون أقلّ الجمع اثنانِ مذهب مرجوح ، إنما الضمير راجع إلى الكفار الذين يحتج عليهم بالآيات ، و﴿ مظلمون ﴾ : داخلو الظلام ، كقولك : « مصبحون » و« ممسون » إذا دخلوا في هذه الأشياء .

---

(١) سورة : الحج . آية : ٧٨ .
(٢) سورة : الحج . آية : ٧٨ .
(٣) سورة : الحج . آية : ٧٨ .
(٤) سورة : يسٓ . آية : ٣٧ .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[1] .

يظنُّ بعضهم أن معناه : مِثْل السموات والأرض .

وهو فاسد لوجهين :

أحدهما : أنهم ما أنكروا إعادة السموات والأرض حتى يدلَّ على إنكارهم إعادتهما بابتدائهما ؛ وإنما أنكروا إعادة أنفسهم ، فكان الضمير راجعاً إليهم ، ليتحقق حصول الجواب لهم ، والردّ عليهم .

الثاني : لتبيّن المراد في قوله : ﴿ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[2] .

فإن قيل : إنما أثبت قدرتَه على إعادة مثلهم ، لا على إعادتهم أنفسهم ، فلا دلالة فيه عليهم ؟!

قلنا : المراد بمثلهم « هم » كما في قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[3] ، وقولهم : مثلي لا يفعل كذا ، أيْ : أنا . وبدليل الآية الأخرى .

وقوله : ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[4] .

قد يتوهَّم عودُهُ على الله ، وليس كذلك ، وإلا لنصب « العمل » ، كما تقول : قام زيد وعمراً يضربه ؛ وإنما الفاعل في « يرفعه » عائد إلى العمل ، والهاء لِلْكَلِم .

قال الفارسيّ في « التَّذكرة » : المنصوب في ﴿ يَرْفَعُهُ ﴾ عائد للكَلِم ؛ لأن « الكلم » جمع كلمة ، قال : كلم : الشجر ، في أنه قد وصف بالمفرد في قوله : ﴿ مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ ﴾[5] ، وكذلك وصف الكلم بالطيّب ، ولو كان

---

(١) سورة : يسٓ . آية : ٨١ .
(٢) سورة : الأحقاف . آية : ٣٣ .
(٣) سورة : الشورى . آية : ١١ .
(٤) سورة : فاطر . آية : ١٠ .
(٥) سورة : يسٓ . آية : ٨٠ .

الضمير المنصوب في ﴿ يرفعه ﴾ عائداً إلى « العمل » لكان منصوباً في هذا الوجه. وما جاء التنزيل عليه، من نحو: ﴿ وَٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[1]. والضمير المرفوع في ﴿ يَرْفعه ﴾ عائد إلى العمل، فلذلك ارتفع العمل، ولم يحمل على قوله: ﴿ يصعد ﴾، ويضمر له فعل ناصب، كما أضمرت لقوله: ﴿ والظالمين ﴾[2]، والمعنى: يُرفع العمل الصالح الكلم الطيِّب، ومعنى « يرفع العمل » أنه لا يحبط ثوابه فيرفع لصاحبه، ويثاب عليه، وليس كالعمل السيىء الذي يقع معه الإحباط، فلا يرفع إلى الله سبحانه.

[البحث][3] الثامن:

إذا اجتمع ضمائر، فحيث أمكن عودُها لواحد فهو أوْلى من عودها لمختلف.

ولهذا لما جوّز بعضهم في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ... ﴾[4] إلخ: أن الضمير في ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾[5]، للتابوت وما بعده، وما قبله لموسى، عابه الزمخشري، وجعله تنافراً ومخرجاً للقرآن عن إعجازه، فقال: والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت، فيه هجنة لما يؤدّي إليه من تنافر النظر[6].

فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل.

قلت: ما ضرك لو جعلت المقذوف والملقى إلى الساحل هو موسى في جوف التابوت، حتى لا تفرّق الضمائر، فيتنافر عليك النظم الذي هو قوام إعجاز القرآن، [والقانون الذي وقع عليه التحدّي][7] ومراعاته أهم ما يجب على المفسّر. انتهى، ولا مزيد على حسنه.

---

(١) سورة: الإنسان. آية: ٣١.
(٢) سورة: الإنسان. آية: ٣١.
(٣) « البحث » كلمة أضفناها للتوضيح.
(٤) سورة: طه. آية: ٣٩.
(٥) سورة: طه. آية: ٣٩.
(٦) أنظر: الكشاف للزمخشري ٣/٤٩.
(٧) « والقانون الذي وقع عليه التحدي » غير موجودة بالأصول وهي إضافة من الكشاف للزمخشري ٣/٤٩.

وقال في قوله : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾[1] : الضمائر لله عز وجل ، والمراد بتعزير الله : تعزير دينه[2] ورسوله ومن فرّق الضمائر فقد أبعد .

أي : فقد قيل إنها للرسول إلا الأخير ؛ لكن قد يقتضي المعنى التخالف ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾[3] ، الهاء والميم في « فيهم » لأصحاب الكهف ، والهاء والميم في « منهم » لليهود . قاله ثعلب ، والمبرد .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[4] بعد قوله : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾[7] ، أي : عَمَروا الأرض الذين كانوا قبل قريش ، أكثر مما عمرتها قريش .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ . . . ﴾[8] الآية فيها اثنا عشر ضميراً ، خمسة للنبي ﷺ وله[9] . . . والثالث : ضمير ﴿ في ٱلْغَارِ ﴾ ، لأنه يتعلق باستقرار محذوف ، فيحتمل ضميراً ، والرابع : ﴿ صَاحِبُهُ ﴾ ، والخامس : ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ ، والسادس : ﴿ معنا ﴾ ، والسابع : في ﴿ عليه ﴾ على قول الأكثر فيما نقله السهيلي ؛ لأن السكينة على النبي ﷺ دائماً ، لأنه كان قد علم أنه لا يضره شيء ، إذ كان خروجه بأمر الله .

---

(١) سورة : الفتح . آية : ٩ .
(٢) في النسخة ب : « تعزير نبيه » .
(٣) سورة : الكهف . آية : ٢٢ .
(٤) سورة : المؤمنون . آية : ٥٩ .
(٥) سورة : النحل . آية : ١٠٠ .
(٦) سورة : سبإ . آية : ٤٥ .
(٧) سورة : الروم . آية : ٩ .
(٨) سورة : التوبة . آية : ٤٠ .
(٩) هكذا جاءت العبارة في الأصول ، وكما هو واضح أن هناك نقص في الكلام .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾[1] ، فالسكينةُ نزلت على النبيِّ ﷺ يوم حنين ، لأنه خاف على المسلمين ولم يخف على نفسه ، فنزلت عليه السكينة من أجلهم لا من أجله .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَنْسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾[2] ، قيل : الضميران عائدان على يوسف ، قال للنَّاجي : ذكّر الملك بأمري .

ورجح ابن السِّيد هذا ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[3] أي : بعد حين .

وفي قراءة ابن عامر بعد « أَمَة » بالتخفيف ، أي نسيان ؛ وإلا لم يكن ليذكر تذكُّر الفتى بعد النسيان . والذِّكْر على هذا يحتمل وجهين : أن يكون بمعنى التذكير ، ويكون مصدر ذكرته ذكراً ، فالتقدير : فأنساه الشيطان ذكره عند ربه ، فأضاف الذكر إلى الربّ ، وهو في الحقيقة مضاف إلى ضمير يوسف ، وجاز ذلك لملاءمته بينهما .

وقد يخالَف بين الضمائر حذراً من التنافر ، كقوله تعالى : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[4] ، كما عاد الضمير على « الاثني عشر » ، ثم قال : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾[5] ، لما أعاد على « أربعة » ، وهو جمع قلة .

وجوز بعضهم عودَه على « الاثني عشر » أيضاً ، بل هو الصواب ، لأنه لا يجوز أن ينهى عن الظلم في الأربعة ، ويبيح الظلم في الثمانية ؛ بل تَرْك الظلم في الكلّ واجب .

قلت : لكن يجوز التنصيص على أفضليَّة الحُرم ، فإن الظُّلْم قبيح مطلقاً ، وفيهن أقبح ، فالظاهر الأول .

---

(1) سورة : التوبة . آية : ٢٦ .
(2) سورة : يوسف . آية : ٤٢ .
(3) سورة : يوسف . آية : ٤٥ .
(4) سورة : التوبة . آية : ٣٦ .
(5) سورة : التوبة . آية : ٣٦ .

[البحث][1] التاسع : قد يسدّ مسدَّ الضمير أمور :

منها : الإشارة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾[2] .

ومنها : الألف واللام ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ . وَآثَرَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا . فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾[4] ، أي : رسلك .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5] ، أصل الكلام « أجره وصبره » ، ولما كان « المحسنون » جنساً ، و« من يتق ويصبر » واحد تحته ، أغنى عمومه من عود الضمير إليه .

وقول الكوفيين : الألف واللام عوض من الضمير .

قال ابن مالك : وعليه يحمل قوله : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ ٱلْأَبْوَابُ ﴾[6] .

وزعم الزمخشري أن الأبواب بدل من المستكنّ في « مفتحة »[7] .

وهذا تكلف ، فوجب أن تكون « الأبواب » مرتفعة بمفتحة المذكور ، أو بمثله مقدّراً . وقد صح أن مفتحة صالح للعمل في الأبواب ، فلا حاجة إلى إبدال أيضاً .

ومنها : الاسم الظاهر ، بأن يكون المقام يقتضي الإضمار فيعدّل عنه إلى الظاهر ، وقد سبق الكلام عليه في أبواب التأكيد .

---

(١) « البحث » كلمة زدناها للتوضيح .
(٢) سورة : الإسراء . آية : ٣٦ .
(٣) سورة : النازعات . آية : ٣٧ - ٤١ .
(٤) سورة : إبراهيم . آية : ٤٤ .
(٥) سورة : يوسف . آية : ٩٠ .
(٦) سورة : صٓ . آية : ٥ .
(٧) أنظر : الكشاف للزمخشري ٧٧/٤

[البحث][1] العاشر : الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور ، ولنا أصل آخر ، وهو أنه إذا جاء مضاف ومضاف إليه ، وذكر بعدها ضمير عاد إلى المضاف ؛ لأنّه المحدَّث عنه دون المضاف إليه .

نحو : لقيت غلام زيد فأكرمته ؛ فالضمير للغلام .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[2] .

وعند التعارض راعى ابنُ حزم ، والماوردي الأصل الأول ، فقالا : إن الضمير في قوله : ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾[3] ، يعود على الخنزير دون لحمه ، لقربه .

وقواه بعضُ المتأخرين ، لأن الضمير للمضاف دون المضاف إليه ليس بأصل مطرد ، فقد يعود إلى المضاف إليه ، كقوله تعالى :

﴿ وَٱشْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[4] .

وكذا الصفة ، فإنها كما في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾[5] .

وللجمهور أن يقولوا : وكذا عوده للأقرب ليس بمطَّرد ، فقد يخرج عن الأصل لدليل ، وإذا تعارض الأصلان تساقطا، ونُظِر في الترجيح من خارج . بل قد يقال : عوده إلى ما فيه العمل بهما أوْلى كما يقوله الماوردي : إن الضمير يعود إلى الخنزير ؛ لأن اللحم موجود فيه .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[6] ، فأخبر بـ « خاضعين » عن المضاف إليه ، ولو أخبر عن المضاف لقال : « خاضعة » .

---

(1) « البحث » كلمة زدناها للتوضيح .
(2) سورة : إبراهيم . آية : ٣٤ .
(3) سورة : الأنعام. آية : ١٤٥ .
(4) سورة : النحل . آية : ١١٤ .
(5) سورة : يوسف . آية : ٤٣ .
(6) سورة : النازعات . آية : ٤٦ .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾[١]، فقد عاد الضمير في قول المحققين للمضاف إليه وهو : موسى ، والظن بفرعون ، وكأنه لما رأى نفسه قد غلط في الإقرار بالإلٰهيّة من قوله ﴿ إلٰه موسى ﴾ استدرك ذلك بقوله هذا .

[البحث][٢] **الحادي عشر** : إذا عطف بـ « أو » وجب إفراد الضمير ، نحو : إن جاء زيد أو عمرو فأكرمْه ؛ لأن « أو » لأحد الشيئين .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾ [٣] .

فقيل : إنّ « أو » بمعنى الواو .

وقيـل : بل المعنى أن « يكن الخصمان » ، فعاد الضمير على المعنى .

وقيل : للتنويع لا للعطف .

وعكس هذا إذا عطف بالواو وجب تثنية الضمير .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾[٤] ، فقد سبق الكلام عليه .

فائـــدة :

قوله : ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾[٥] ، أي : « وضحى يومها » ؛ فدلّ بالجُزْء على الكلّ .

قال الشيخ عز الدين : وإنما أَضَاف الضُّحى إلى نهار العشية ؛ لأنّه لو أطلقها من غير إضافة لم يحسُن الترديد بـ « أو » ؛ لأن عشيةَ كلِّ نهار من الظهر إلى الغروب ، وهو نصف النهار ، وضحاها مقدار ربعه مثلاً ، وهو مقدار نصف العشية ؛ فلما أضافَه إلى نهارها ، عُلِم تقاربهما ، فحسُن الترديد . لإفادته

---

(١) سورة : الأحقاف . آية : ٣٥ .

(٢) « البحث » كلمة زدناها للتوضيح .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٣٥ .

(٤) سورة : التوبة . آية: ٦٢ .

(٥) سورة : النازعات . آية : ٤٦ .

الترديد بين اللُّبث الطويل والقصير ، ولو أطلقه لجاز أن يُتوَهَّم عشية نهار قصير ، وضحى يوم طويل ، فتساوَى ذلك الضحى بالعشية فلا يحسن الترديد بينهما .

فإن قيل : كيف يجمع بين قوله : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾[1]، وهو الجزء اليسير من الزمان ، وبين الضحى والعشية ؟ وكيف حَسُن الترديد ؟

فالجواب : أن هذا الحساب يختلف باختلاف الناس ، فمنهم من يعتقده طويلاً ، ومنهم من يحسبه قصيراً ، قال تعالى : ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ﴾[2] ، ثم قال : ﴿ إِذ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ﴾[3] .

وقد يكون بحسب شدة الأمر وخفته ، و « لبثتم » يحتمل أن يكون في الدنيا ، ويحتمل أن يكون في البرزخ ؛ والأول أظهر .

فائـــدة :

وقد يتجوّز بحذف الضمير للعلم به ، كقوله : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾[4] ، أي : بعثه ، وهو كثير .

ومنه قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[5] إذا جعلناه الخبر ، فالأصل « يتربصن أزواجهن » فوضع الضمير موضع الأزواج لتقدم ذكرهنّ ، فأغْنَى عن الضمير .

فائـــدة :

المضمر لا يكون إلا بعد الظاهر لفظاً أو مـرتبة ، أو لفـظاً ومرتبـة ، ولا يكـون قَبْل الظاهر لفظاً ومرتبة ، إلا في أبواب ضمير الشأن والقصة ، كما سبق ، وباب نعم ، وبئس .

كقوله تعالى : ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[6] و ﴿ سَاءَ مَثَلاً ﴾[7] ، والضمير في « رُبَّهُ

---

(1) سورة : الأحقاف . آية : ٣٥ .
(2) سورة : طه . آية : ١٠٣ .
(3) سورة : طه . آية : ١٠٤ .
(4) سورة : الفرقان . آية : ٤١ .
(5) سورة : البقرة . آية : ٢٣٤ .
(6) سورة : البقرة . آية : ٢٧١ .
(7) سورة : الأعراف . آية : ١٧٧ .

رجلاً » . وباب الإعمال ، إذا أعملت الثاني والأول يطلب عمدة ، فمذهب سيبويه أنك تضمر في الأول ، فتقول : ضربوني وضربت الزيدين .

فائـــدة :

الضمير لا يعود إلا على مشاهد محسوس .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[1] ، فضمير « له » عائد على الأمر ، وهو إذ ذاك غير موجود ، فتأويله : أنه لما كان سابقاً في علم الله كونُه ، كان بمنزلة المشاهَد الموجود ، فصحَّ عودُ الضمير إليه .

وقيل : بل يرجع للقضاء ؛ لدلالة « قضى » عليه ، واللام للتعليل بمعنى « من أجل » ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[2] أي : من أجل حبّه .

---

(١) سورة : مريم . آية : ٣٥ .

(٢) سورة : العاديات . آية : ٨ .

قاعدة : فيما يتعلق بالسؤال والجواب

الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال ، إذا كان السؤال متوجّهاً ، وقد يُعْدَل في الجواب عما يقتضيه السؤال ، تنبيهاً على أنّه كان من حقّ السؤال أن يكون كذلك ، ويُسَمّيه السكاكي : الأسلوب الحكيم .

وقد يجيء الجواب أعمَّ من السؤال ، للحاجة إليه في السؤال وأغفله المتكلم .

وقد يجيء أنقص لضرورة الحال .

مثال ما عُدِل عنه : قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[1] .

فعُدِل عن الجواب لمّا قالوا : ما بالُ الهلال يبدو رَقيقاً مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلىء ويستوي ، ثم لا يزال ينقصُ حتى يعود كما بدأ ؟

فأُجيبوا بما أجيبوا به ، لينتهوا على أنّ الأهمّ ما تركوا السؤال عنه .

وكقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] .

سألوا عما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصْرَف ؛ تنزيلاً لسؤالهم منزلة سؤال

(١) سورة : البقرة . آية : ١٨٩ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢١٥ .

غيره ، لينبه على ما ذكرنا ، ولأنه قد تضمن قوله : ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ ﴾(١) بيان ما يُنفقونه وهو خير ، ثم زيدوا على الجواب بيان المَصْرَف .

ونظيره : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾(٢) ، فيكون طابق وزاد .

نعم روي عن ابن عباس أنه قال : جاء عمرو بن الجموح(٣) ، وهو شيخ كبير له مال عظيم ، فقال : ماذا أنفق من أموالنا ؟ وأين نضعها ؟ فنزلتْ ، فعلى هذا ليست الآية مما نحنُ فيه ، لأن السائل لم يتعلق بغير ما يطلُب ، بل أجيب ببعض ما سأل عنه .

وقال ابن القشيريّ : السؤال الأول كان سؤالاً عن النفقة إلى من تُصْرف ، ودلّ عليه الجواب ، والجواب يخرج على وفق السؤال ؛ وأمّا هذا السؤال الثاني فعن قَدْرِ الإنفاق ، ودلّ عليه الجواب أيضاً .

ومن ذلك : أجوبة موسى عليه السلام لِفرْعون ، حيث قال فرعون : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾(٤) ، لأن « ما » سؤالٌ عن الماهية ، أو عن الجنس ، ولمّا كان هذا السؤال خطأ ؛ لأنّ المسئول عنه ليس تُرى ماهيته فتُبين ، ولا جنس له فيُذكر ، عَدَل الكليم عن مقصود السائل إلى الجواب بما يعرف الصواب عند كيفية الخطاب ؛ ولا يستحق الجريَان معه ، فأجابه بالوصف المنبّه ، عن الظنّ المؤدّي لمعرفته ، لكنه لما لم يطابق السؤال عنه فرعون لجهله ، واعتقد الجواب خطأ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾(٥) ،

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢١٥ .

(٢) سورة : طه . آية : ١٧ .

(٣) هو : عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي : صحابي ، كان في الجاهلية من سادات بني سلمة وأشرافهم ، وكان له صنم في داره من خشب يعظمه . وهو آخر الأنصار إسلاماً ، وفي الحديث لبني سلمة : « سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح » استشهد بأحد سنة ٣ هـ .

(أنظر : الإصابة ت ٥٧٩٩ . وصفة الصفوة . ١/٢٦٥ . والأعلام ٥/٧٥) .

(٤) سورة : الشعراء . آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) سورة : الشعراء . آية : ٢٥ .

فأجابه الكليم بجواب يعمّ الجميع ، ويتضمن الإبطال لعين ما يعتقدونه من ربوبية فرعون لهم بقوله : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1] ، فأجاب بالأغلظ ، وهو ذكر الربوبية لكلّ ما هو من عالمهم نصّاً .

ولما لم يرهم موسى عليه السلام تَفطِنوا غلّظ عليهم في الثالثة ، بقوله : ﴿ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] ، فكأنّه شك في حصول عقلهم .

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[3] .

ولم يقل : « عن قتال في الشهر الحرام » ، لأنهم لم يسألوا إلّا من أجْلِ القتال فيه ، فكان ذكرُهُ أولى .

قيل : لم يقع السؤال إلا بعد القتال ؛ فكان الاهتمام بالسؤال عن هذا الشهر : هل أبيح فيه القتال ؟ وأعاده بلفظ الظاهر ، ولم يقل : « هو كبير » ؛ لِيُعْلَم حكم قتال وقع في الشهر الحرام .

وقد يُعْدَل عن الجواب إذا كان السائلُ قصده التعنّت :

كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[4] .

فذكر صاحب « الإيضاح »[5] في خلق الإنسان : إنّ اليهود إنما سألوا تعجيزاً وتغليظاً ، إذا كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان وجبريل وملك آخر ، يقال له الروح ، وصِنْف من الملائكة والقرآن وعيسى ، فقصد اليهود أن يسألوه ، فبأيّ يسمّى أجابهم قالوا : ليس هو ، فجاءهم الجواب مجملاً ، فكان هذا الإجمال كَيْداً يرسل به كيدهم .

وقيل : إنما سألوا عن الروح : هل هي محدَثة مخلوقة ، أم ليست كذلك ؟

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ٢٦ .
(٢) سورة : الشعراء . آية : ٢٨ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ .
(٤) سورة : الإسراء . آية : ٨٥ .
(٥) في النسخة ب : « صاحب الإفصاح » .

فأجابهم ، بأنها من أمر الله ؛ وهو جواب صحيح ؛ لأنّه لا فرق بين أن يقول في الجواب ذلك ، أو يقول : « من أمر ربي » ؛ لأنّه إنما أراد أنها من فعله وخلقه .

وقيل : إنهم سألوه عن الروح الذي هو في القرآن ، فقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب ، وحينئذٍ فوقع الجواب موقعه ؛ لأنه قال لهم : الروح الذي هو القرآن من أمر ربي ، ومما أنزله الله على نبيه ، يجعله دلالة وَعَلَماً على صدقه ، وليس من فعل[1] المخلوقين ، ولا مما يدخل في إمكانهم .

وحكاه الشريف المرتضى في « الغرر »[2] ، عن الحسن البصري ، قال : ويقويه قوله بعد هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾[3] ، فكأنه قال تعالى : إن القرآن من أمر ربي ولو شاء لرفعه .

ومثال الزيادة في الجواب ، قوله تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾[4] .

فإنه عليه السلام ، فَهِم أن السؤالَ يَعْقبه أمر عظيم يُحْدِثه الله في العصا ، فينبغي أن ينبّه لصفاتها ، حتى يظهر له التفاوت بين الحالين .

وكذا قوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾[5] .

وَحَسَّنه إظهارُ الابتهاج بعبادتها ، والاستمرار على مواظبتها ، ليزداد غيظ السائل .

---

(١) في الأصول « وليس فعل » وما أثبتناه من « أمالي » المرتضى ١/١٢ .
(٢) أنظر المرجع السابق .
(٣) سورة : الإسراء . آية : ٨٦ .
(٤) سورة : طه . آية : ١٧/١٨ .
(٥) سورة : الشعراء . آية : ٧٠/٧١ .

وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴾[1] بعد قوله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً . . . ﴾[2] الآية .

ولولا قصد بسط الكلام ليشاكل ما تقدم ، لقال « ينجيكم الله » .

ومثال النقصان منه قوله تعالى ذاكراً عن مشركي مكة :

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ٱئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾[3] .

أي : ائت بقرآن ليس فيه سبّ آلهتنا ، أو بدّله بأن تجعل مكان آية عذاب آيةَ رحمة ، وليس فيه ذكر آلهتنا ، فأمره الله أن يجيبَهم على التبديل ، وطوَى الجواب عن الاختراع .

قال الزمخشريّ : لأن التبديلَ في إمكان البشر ، بخلاف الاختراع ، فإنه ليس في المقدور ، فطوى ذكره ، للتنبيه على أنه سؤال محال .

وذكر غيرُه أنّ التبديل قريب من الاختراع ، فلهذا اقتصر على جواب واحد لهما .

وَخَطَرَ لي أنّه لما كان التبديل أسهَلَ من الاختراع ، وقد نفى إمكان التبديل ، كان الاختراع غيرَ مقدور عليه من طريق أوْلَى .

فائـــدة :

قيل : أصل الجواب أن يعاد فيه نفس سؤال السائل ، ليكون وفق السائل ، قال الله تعالى : ﴿ أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ﴾[4] ، و « أنا » في جوابه عليه السلام هو « أنت » في سؤالهم .

وقال : ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾[5] ، فهذا

---

(١) سورة : الانعام . آية : ٦٤ .
(٢) سورة : الانعام . آية : ٦٣ .
(٣) سورة : يونس . آية : ١٥ .
(٤) سورة : يوسف . آية : ٩٠ .
(٥) سورة : آل عمران . آية : ٨١ .

أصله ، ثم إنهم أتوا عوض ذلك محذوف الجواب اختصاراً ؛ وتركاً للتكرار .

وقد يُحف السؤال ثقةً بفهم السامع بتقديره ، كقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[1] .

فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد ، فتعين أن يكون ﴿قُلِ ٱللَّهُ ﴾ جواب سؤال ، كأنهم سألوا لما سمعوا من رسول الله ﷺ ، وهو ﴿ مَنْ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[2] ، فأجابه الله عز وجلّ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[3] ، فترك ذكر السؤال :

ونظيره قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلحَقِّ ﴾[4] .

---

(١) سورة : يونس . آية : ٣٤ .

(٢) سورة : يونس . آية : ٣٤ .

(٣) سورة : يونس . آية : ٣٤ .

(٤) سورة : يونس . آية : ٣٥ .

قاعـــدة

الأصل في الجواب : أن يكون مشاكلاً للسؤال .

فإن كان جملة إسمية فينبغي أن يكون الجواب كذلك ، ويجيء ذلك في الجواب المقدّر أيضاً .

إلا أن ابن مالـك قال في قولك : « من قرأ ؟ » فتقول : زيد ، فإنّه من باب حذف الفعل ، على جعل الجواب جملة فعلية .

قال : وإنما قدرته كذلك ، لا مبتدأ ، مع احتماله ، جرياً على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا تمامها ، قال تعالى :

﴿ مَنْ يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا ﴾(١) .

ومثله : ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٢) .

﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ ﴾(٣) .

فلما أتى بالجملة الفعلية ، مع فواتِ مشاكلة السؤالِ ، عُلِمَ أنّ تقدير الفعل أوّلاً أوْلى . انتهى .

ومما رُجِّح به أيضاً تقدير الفعل أنّه حيث صرِّح بالجزء الأخير ، صُرِّح

---

(١) سورة : يسٓ . آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) سورة : الزخرف . آية : ٩ .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٤ .

بالفعل ، والتشاكل ليس واجباً ؛ بل اللائق كون زيد فاعلاً ، أي : قرأ زيداً أو خبراً ؛ أي : القارىء زيد ، لا مبتدأ ؛ لأنه مجهول .

بقي أن يقال في الأوْلى : التصريح بالفعل أو حذفه ؟ وهل يختلف المعنى في ذلك ؟

والجواب : قال ابن يعيش : التصريح بالفعل أجود .

وليس كما زعم بل الأكثر الحذف ، وأما قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ ﴾[1] ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] ، ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا ﴾[3] .

فكان الشيخ شهاب الدين بن المرحل[4] رحمه الله يجعله من باب ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[5] ، مِن أنهم أجيبوا بغير ما سألوا لنكتة . وفيه نظر .

وأما المعنى فلا شك أنه يختلف ، فإنه إذا قيل : من جاء ؟ فقلت : جاء زيد ، احتمل أن يكون جواباً وأن يكون كلاماً مبتدأ .

ولو قلت : « زيد » ، كان نصاً في أنه جواب ، وفي العموم الذي دلت

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٤ .

(٢) سورة : الزخرف . آية : ٩ .

(٣) سورة : يسٓ . آية : ٧٩ .

(٤) هو : مالك بن عبد الرحمٰن بن خرج ابن أزرق ، أبو الحكم ، ابن المرحل : أديب ، من الشعراء . من أهل مالقة ، ولد بها سنة ٦٠٤ هـ ، وولي القضاء بجهات غرناطة وغيرها من موالي بني مخزوم ، مصمودي الأصل . كان من الكتاب ، من كتبه : « الموطأة » ، و « الوسيلة الكبرى » و « التبيين والتبصير في نظم كتاب التيسير » ، و « العروض » و « أرجوزة في النحو » وغير ذلك . توفي عام ٦٩٩ هـ .
(أنظر : بغية الوعاة ٣٨٤ . وغاية النهاية : ٢ / ٣٦ . وجذوة الاقتباس ٦ . وبروكلمان ٣٢٣/١ . والأعلام للزركلي ٢٦٣/٥) .

(٥) سورة : البقرة . آية : ١٨٩ .

عليه « مَنْ » ، وكأنك قلت : الذي جاء زيد ، فيفيد الحصر . وهاتان الفائدتان ، إنما حَصَلتا من الحذف .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْواحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1] ؛ إذ التقدير : الملك لله الواحد ، فحذف المبتدأ من الجواب ، إذ المعنى : لا ملك إلا لله .

ومن الحذف قوله تعالى : ﴿ لِمَنِ ٱلأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾[2].

﴿ لِمَنْ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾[3] .

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾[3] .

ومن الإثبات قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[4].

ولعلّه للتنصيص على الإحياء الذي أنكروه : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلسَّبْعِ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[6] .

لأن ظاهر أمرهم أنهم كانوا معطِّلة ودهريّة ، فأريد التنصيص على اعترافهم بأنها مخلوقة .

وقوله : ﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[7] ، لأنها استغربت حصول النبأ الذي أسرّته .

وقال ابن الزَّمْلَكَانِيّ في « البرهان » :

أطلق النحويون القول بأن « زيداً » فاعل ، إذا قلت : « زيد » في جواب

---

(١) سورة : غافر . آية : ١٦ .
(٢) سورة : المؤمنين . آية : ٨٤ .
(٣) سورة : سبإ. آية : ٢٤ .
(٤) سورة : يس. آية : ٧٩ .
(٥) سورة : المؤمنون . آية : ٨٦ .
(٦) سورة : الزخرف . آية : ٩ .
(٧) سورة : التحريم . آية : ٣

« مَنْ قام ؟ » على تقدير : قام زيد ، والذي يُوجبه جماعة علم البيان ، أنه مبتدأ لوجهين :

أولهما : أنه مطابق للجملة التي هي جواب الجملة المسئول بها في الإسمية ، كما وقع التطابق ، في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾[1] في الجملة الفعلية ، وإنما لم يقع التطابق في قوله تعالى : ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2] ؛ لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرّين بالإنزال ، وهم من الإذعان به على تفاوت .

الثاني : أن اللّبس لم يقع عند السائل إلا فيمن فعل الفعل ، فوجَب أن يقدّم الفاعل في المعنى ، لأنّه متعلق بغرض السائل ، وأما الفعلُ فمعلوم عنده ، ولا حاجةَ إلى السؤال عنه ، فحريٌّ أن يقع في الأخرى التي هي محل التكملات والفضلات .

وكذلك: أزيد قام أم عمرو؟ فالوجه في جوابه أن تقول: زيد قام، أو عمرو قام.

وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في جواب:

﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا ﴾[3] .

فإنّ السؤال وقع عن الفاعل ؛ لا عن الفعل ، ومع ذلك صَدَر الجواب بالفعل ، مع أنهم لم يستفهموه عن كسر الأصنام ، بل كان عن الشخص الكاسر لها !

والجواب : أنّ ما بعد « بل » ليس بجواب للهمزة ، فإن « بل » لا يصلح أن يصدّر بها الكلام ؛ ولأنّ جواب الهمزة بنعم ، أو بلى . فالوجه أن يُجعل إخباراً مستأنفاً ، والجواب المحقق مقدّر ، دل عليه سياق الكلام ، ولو صرح به

---

(١) سورة : النحل . آية : ٣٠ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٢٤ .

(٣) سورة : الأنبياء . آية : ٦٢ .

لقال : « ما فعلته بل فعله كبيرهم » ، وإنما اخترنا تقدير الجملة الفعلية على الجملة المعطوفة عليها في ذلك .

فإن قلت : يلزم على ما ذكرت أن يكون الخلف واقعاً في الجملتين : المعطوف عليها . المقدرة ، والمعطوفة الملفوظ بها بعد « بل » .

قلت : وإنه لازم ، على أن يكون التقدير : ما أنا فعلته بل فعله كبيرهم هذا ، مع زيادته بالخلف عما أفادته الجملة الأولى من التعريض ، إذ منطوقها نفي الفعل عن إبراهيم عليه السلام ، ومفهومها إثبات حصول التكسير من غيره .

فإن قلت : ولا بد من ذكر ما يكون مخْلَصاً عن الخلف على كل حال .

فالجواب من وجوه :

أحدها : أن في التعريض مَخْلَصا عن الكذب ، ولم يكن قصده عليه السلام أن ينسب الفعل الصادر منه إلى الصنم حقيقة ، بل قصده إثبات الفعل لنفسه على طريق التعريض ، ليحصل غرضُه من التبكيت ، وهو في ذلك مثبِت معترف لنفسه بالفعل ؛ وليس هذا من الكذب في شيء .

والثاني : إنه غضب من تلك الأصنام ، غَيْرة لله تعالى ؛ ولما كانوا لأكْبَرِها أشدّ تعظيماً ، كان منه أشدّ غضباً ، فحمله ذلك على تكسيرها ، وذلك كلّه حَامِلٌ للقوم على الأَنفَة أن يعبدوه ، فضلاً عن أن يخصّوه بزيادة التعظيم ، ومُنَبِّهٌ لهم على أن المتكسرة متمكن فيها الضَّعْف والعجز ، منادًى عليها بالفَناء ، منسلخة عن رِبْقَة الدفع ، فضلاً عن إيصال الضرر والنفع . وما هذا سبيلُهُ حقيق أن يُنظر إليه بعين التحقير لا التوقير ، والفعل يُنْسَب إلى الحامل عليه ، كما ينسب إلى الفاعل والمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب ، إذْ للفعل بهذه الأمور تعلّقات وملابسات ، يصحّ الإسناد إليها على وجه الاستعارة .

الثالث : أنّه لما رأى عليه السلام منهم بادرَةَ تعظيم الأكبر ، لكونه أكملَ من باقي الأصنام ، وعلم أن ما هذا شأنه ، يُصان أن يشترك معه مَنْ دونه في

التبجيل والتكبير ، حمله ذلك على تكسيرها ، منبِّهاً لهم على أن الله أغير ، وعلى تمحيق الأكبر أقدر .

وَحَرِيٌّ أن يخصّ بالعبادة ؛ فلما كان الكبير هو الحامل على تكسير الصغير ، صَحَّتِ النسبة إليه ، على ما سَلَفَ . ولما تبين لهم الحق رَجَعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون ، إذ وضعتم العبادة بغير موضعها .

وذكر الشيخ عبد القاهر : أن السؤال إذا كان ملفوظاً به ، فالأكثرُ تركُ الفعل في الجواب والاقتصار على الاسم وحدَه . وإن كان مضمراً ، فوجب التصريح بالفعل لضعف الدلالة عليه ، فتعين أن يلفظ به .

وهو مشكل بقوله تعالى : ﴿ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ . رِجَالٌ ﴾[1] . فيمن قرأها بفتح الباء ، كأن قيل : من يسبحه ؟ فقيل : يسبّحه رجال .

ونظيره ضُرِب زيد وعمرو ، على بناء « ضرب » للمفعول ، نعم الأَوْلى ذكر الفعل لما ذكر ، وعليه يخرج كلّ ما ورد في القرآن من لفظ « قال » مفصولاً ، غير منطوق به ، نحو : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً . قَالَ سَلَامٌ . . . ﴾[2] .

كأنه قيل : فما قال لهم ؟ ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[3] ولذلك قالوا : « لا تخف » .

وعلى هذه السياقة تخرج قصة موسى عليه السلام في قوله :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[4] إلى قوله : ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[5] .

---

(١) سورة : النور . آية ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) سورة : الذاريات . آية : ٢٤ ـ ٢٥ .
(٣) سورة : الذاريات . آية : ٢٧ .
(٤) سورة : الشعراء . آية : ٢٣ .
(٥) سورة : الشعراء . آية : ٣١ .

وعلى هذا كل كلام جاء فيه لفظة « قال » هذا المجيء ، غير أنه يكون في بعض المواضع أوضح ، كقوله تعالى :

﴿ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ ﴾[1] ، فإنه لا يخفى أنه جواب لقوله : ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[2] .

ومثله : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً ﴾[3] .

فائـــدة :

نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما كان قوم أقلّ سؤالاً من أمة محمد ﷺ ، سألوه عن أربعة عشر حرفاً ، فأجيبوا .

قال الإمام : ثمانية منها في البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾[4] ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلأَهِلَّةِ ﴾[5] ، والباقي ستة فيها[6] .

والتاسعة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾[7] في المائدة .

والعاشرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلأَنْفَالِ ﴾[8] .

الحادي عشر في بني إسرائيل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾[9] .

الثاني عشر في الكهف : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾[10].

الثالث عشر في طه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾[11].

---

(١) سورة : الذاريات . آية : ٣٢ .
(٢) سورة : الذاريات. آية : ٣١ .
(٣) سورة : يس. آية : ١٣ ـ ٢١ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١٨٦ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ١٨٩ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ .
(٧) سورة : المائدة . آية : ٤ .
(٨) سورة : الأنفال . آية : ١ .
(٩) سورة : الإسراء . آية : ٨٥ .
(١٠) سورة : الكهف . آية : ٨٣ .
(١١) سورة : طه . آية : ١٠٥ .

الرابع عشر في النّازعات : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾[١] .

ولهذه المسألة ترتيب :

اثنان منها في شرح المبدأ .

كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾[٢] فإنه سؤال عن الـذات .

وقوله : ﴿ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ [٣] ، سؤال عن الصفة .

واثنـان في الآخـر في شـرح المعـاد ، وقـولـه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ ؟ [٤] .

وقوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾[٥] .

ونظير هذا أنه ورد في القُرآن سورتان :

أولهما : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [٦] ، في النصف الأول ، وهو السورة الرابعة ، وهي سورة النساء .

والثانية في النصف الثاني ، وهي سورة الحج ، ثم ﴿ يَأَيها الناس ﴾ الّذي في الأول ، يشتمل على شرح المبدأ ، والذي في الثاني يشتمل على شرح حال .

فإن قيل : كيف جاء ﴿ يسألونك ﴾ ثلاث مرات بغير واو :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾[٧] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٨] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾[٩] .

---

(١) سورة : النازعات . آية : ٤٢

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٨٦ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٨٩ .

(٤) سورة : طه . آية : ١٠٥ .

(٥) سورة : الأعراف . آية : ١٧٨ .

(٦) سورة : الحج . آية : ١ .

(٧) سورة : البقرة . آية : ١٨٩ .

(٨) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ .

(٩) سورة : البقرة . آية : ٢١٩ .

ثم جاء ثلاث مرات بالواو : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾[1] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ ﴾[2] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[3] ؟

قلنا : لأنّ سؤالهم عن الحوادث ؛ الأول وقع متفرقاً عن الحوادث ، والآخر وقع في وقت واحد ، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك .

فإن قيل : كيف جاء : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[4] ، وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بـ « قُلْ » نحو :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[5] ونظائره ؟

قيل : حذفت للإشارة إلى أن العبْد في حالـة الدعـاء ، مُسْتَغْنٍ عن الواسطة ، وهو دليل على أنّه أشرف المقامات ، فإن الله سبحانه لم يجعل بينه وبين الداعي واسطة ، وفي غير حالة الدعاء تجيء الواسطة .

---

(1) سورة : البقرة . آية : ٢١٩ .

(2) سورة : البقرة . آية : ٢٢٠ .

(3) سورة : البقرة . آية : ٢٢٢ .

(4) سورة : البقرة . آية : ١٨٦ .

(5) سورة : البقرة . آية : ١٨٩ .

الخطاب بالشّيء عن اعتقاد المخاطب دُون ما في نفس الأمر

كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَيْن شُرَكَاؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(١) .

وقعت إضافة الشريك إلى الله سبحانه على ما كانوا يقولون ؛ لأنّ القديم سبحانه أثبته .

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَنْدَاداً ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ لأَنْتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾(٤) ، أي : بزعمك واعتقادك .

وقوله : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾(٦) .

وقوله : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(٧) .

وقوله : ﴿ وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾(٨) ، أي : أنّكم لو علمتم قساوة قلوبكم ، لقلتم إنها كالحجارة ، أو أنها فوقها في القسوة ،

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ٢٢ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٦٥ .
(٣) سورة : الدخان . آية : ٤٩ .
(٤) سورة : هود . آية : ٨٧ .
(٥) سورة : الحجر . آية : ٦ .
(٦) سورة : الصافات . آية : ١٤٧ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٧٤ .
(٨) سورة : النحل . آية : ٧٧ .

ولو علمتم سرعة الساعة لعلمتم أنه في سرعة الوقوع ، كلمح البصر ، أو هو أقرب عندكم .

وأرسلناه إلى قوم هُمْ من الكثرة بحيث لو رأيتموهم لشككتم ، وقلتم : مائة ألف أو يزيدون عليها .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾[1] ، ونحوه ، مما كان عند المتكلم ؛ لأنه لا يكون خلافه ، فإنّه كان على طمع ألاّ يكون منهم تكذيب .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[2] ، أي : بالنسبة إلى ما يعتاده المخلوقون في أن الإعادة عندهم أهون من البداءة ، لأنّه أهون بالنسبة إليه سبحانه ، فيكونُ البعثُ أهونَ عليه عندكم من الإنشاء .

وحكى الإمام الرازي في « مناقب الشافعيّ » قال : معنى الآية « في العبرة عندكم » ؛ لأنه لما قال للعدم : « كن » فخرج تاماً كاملاً بعينيه ، وأذنيه ، وسمعه ، وبصره ، ومفاصله ، فهذا في العبرة أشدُّ من أن يقول لشيء قد كان : « عد إلى ما كنت عليه » ، فالمراد من الآية : وهو أهْوَنُ عليه بحسب عِبْرتكم ؛ لا أنّ شيئاً يكون على الله أهوَن من شيء آخر .

وقيل : الضمير في ﴿ عليه ﴾ يعود للخلق ، لأنه يُصاح بهم صيحة فيقومون ، وهو أهون من أن يكونوا نُطَفاً ، ثم عَلَقاً ، ثم مُضَغاً ، إلى أن يصيروا رجالاً ونساءً .

وقوله : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلسَّاحِرُ ﴾[3] ، أي : يأيها العالم الكامل ؛ وإنما قالوا هذه تعظيماً وتوقيراً منهم له ؛ لأن السحر عندهم كان عظيماً ، وصنعة ممدوحَة .

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ١١٧ .
(٢) سورة : الروم . آية : ٢٧ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ٤٩ .

وقيل : معناه يـأيها الـذين غَلَبنا بسحـره ، كقوْل العـرب : خاصمتـه فخصمتُه ، أي : غلبته بالخصومة ، ويحتمل أنهم أرادوا تعييب موسى عليه السلام بالسحر ، ولم ينافسهم في مخاطبتهم به ، رجاء أن يؤمنوا .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾[1] ، جيء بـ « إن » التي للشك وهو واجب ، دون « إذْ » التي للوجوب ، سَوْقاً للكلام على حسب حسبانهم أنَّ معارضته فيها للتهكُّم ، كما يقوله الواثق بغلبته على مَنْ يعاديه : « إن غلبتك » ، وهو يعلم أنه غالبُهُ تهكماً به .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾[2] .

والمراد به « من لا يخلق » الأصنام ، وكان أصله كما لا يخلق ، لأن « ما » لمن لا يعقل بخلاف « من » ، لكن خاطبهم على معتَقدهم ؛ لأنهم سموْها آلهة ، وعبدوها فأجروْها مجرى أولي العلم .

كقوله للأصنام : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ . . . ﴾ الآية[3] ، أجرى عليهم ضمير أولي العقل . كذا قيل .

ويرد عليه أنه إذا كان معتقدهم خطأً وضلالة، فالحكم يقتضي ألَّا ينزعوا عنه ويُقْلعوا ، لا أن يبقوا عليه ؛ إلا أن يقال : الغرض من الخطاب الإيهام ، ولو خاطبهم على خلاف معتقدهم فقال : « كما لا يخلق » ، لاعتقدوا أن المراد به غير الأصنام من الجماد .

وكذا ما وَرَدَ من الخطاب بعسى ولعلّ ؛ فإنها على بابها في الترجّي والتوقع ، ولكنه راجعٌ إلى المخاطبين .

قال الخليل[4] ، وسيبويه في قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٤ .

(٢) سورة : النحل . آية : ١٧ .

(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٩٥ .

(٤) هـو : الخليل بن أحمـد بن عمرو بن تميم الفـراهيـدي ، الأزدي اليحمـدي ، =

أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1] :

اذهبا إلى رجائكما وطمعكما ، لعلّه يتذكر عندكما ، فأما الله تعالى فهو عالم بعاقبة أمره ، وما يؤول إليه ؛ لأنّه يعلم الشيء قبل أن يكون .

وهذا أحسنُ مِنْ قول الفَرّاء : إنها تعليلية ، أي : كي يتذكر ، لما فيه من إخراج اللفظ عن موضوعه .

ومنه التعجب الواقع في كلام الله ، نحو : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[2] ، أي : هم أهْل أن يتعجَّب منهم ، ومن طول تمكنهم في النار .

ونحوه : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[3] .

و ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾[4] .

ومنه قوله تعالى في نعيم أهل الجنة وشقاء أهل النار :

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضُ ﴾[5] .

مع أنهما لا يزولان ، لكن التقييد بالسماء والأرض ، جرت عادة العرب إذا قصدوا الدوام أن يُعَلِّقوا بهما ، فجاء الخطاب على ذلك .

تنبيـــه :

يقرب من هذا التهكّم ، وهو إخراج الكلام على ضدّ مقتضى الحال :

= أبو عبد الرحمٰن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها . وهو أستاذ سيبويه النحوي : ولد بالبصرة سنة ١٠٠ هـ ومات بها سنة ١٧٠ هـ . من كتبه : « العين » و « معاني الحروف » و « جملة آلات العرب » و « تفسير الحروف» و «العروض» و «النقط والشكل» و «النغم» وغير ذلك.

(أنظر : وفيات الأعيان ١/١٧٢ . وإنباه الرواة ١/٣٤١ . والحور العين ١١٢ . والجاسوس على القاموس ٢٢ . ونزهة الجليس ١/٨٠ . والأعلام ٢/٣١٤) .

(١) سورة : طه . آية : ٤٤ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٧ .

(٣) سورة : عبس . آية : ١٧ .

(٤) سورة : الكهف . آية : ٢٧ .

(٥) سورة : هود . آية : ٧ .

كقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[1] .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[2] ، مع العلم بأنه لا يحفظ من أمره الله[3] شيء .

---

(١) سورة : الدخان . آية : ٤٩ .

(٢) سورة : الرعد . آية : ١١ .

(٣) في النسخة ب : « من أمره شيء » .

التأدّب في الخطاب بإضافة الخير إلى الله
وأن الكل بيده

كقوله تعالى : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[1] ، ثم قال : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[2] ، ولم يقل : غير الذين غضبتَ عليهم .

وقوله : ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾[3] ، ولم يقل : « والشر » ، وإن كانا جميعاً بيده ؛ لكن الخير يضاف إلى الله تعالى إرادة محبة ورضا ، والشر لا يضاف إليه إلاّ إلى مفعولاته ؛ لأنه لا يضاف إلى صفاته ولا أفعاله ، بل كلها كمال لا نقص فيه . وهذا معنى قوله : « والشر ليس إليك » ؛ وهو أولى من تفسير مَنْ فسره : لا يُتقرب به إليك .

وتأمل قوله : ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾[4] ، فأضافه إلى نفسه ، حيث صرفه ، ولما ذكر السجن أضافه إليهم فقال : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[5] ، وإن كان سبحانه هو الذي سبّب السجن له ، وأضاف ما منه الرحمة إليه ، وما منه الشدة إليهم .

ومنه قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[6] ، ولم يقل : « أمرضني » .

---

(١) سورة : الفاتحة . آية : ٧ .
(٢) سورة : الفاتحة . آية : ٧ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ٢٦ .
(٤) سورة : يوسف . آية : ٣٤ .
(٥) سورة : يوسف . آية : ٣٥ .
(٦) سورة : الشعراء . آية : ٨٠ .

وتأمل جواب الخِضْر عليه السلام عمّا فعله ، حيث قال في إعابة السفينة : ﴿ فَأَرَدْتُ ﴾[1] .

وقال في الغلام : ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾[2] .

وفي إقامة الجدار : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾[3] .

قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في كتاب « فك الأزرار عن عنق الأسرار » :

لما أراد ذكر العيب للسفينة نسبَه لنفسه أدباً مع الربوبية، فقال : « فأردتُ » ، ولما كان قَتْلُ الغلام مشتركَ الحكم بين المحمود والمذموم ، استتبع نفسه مع الحق ، فقال في الإخبار بنون الاستتباع ، ليكونَ المحمودُ من الفعل ـ وهو راحة أبويْه المؤمنيْن من كفره ـ عائداً على الحق سبحانه ، والمذموم ظاهراً ـ وهو قتلُ الغلام بغير حق ـ عائداً عليه . وفي إقامة الجدار كان خيراً محضاً ، فَنَسَبَه للحق فقال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ ، ثم بيّن أن الجميع من حيث العلم التوحيدي من الحق ، بقوله : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾[4] .

وقال ابن عطية : إنما أفرد أولاً في الإرادة ؛ لأنها لفظ غيب ؛ وتأدّب بأن لم يسند الإرادة فيها إلاَّ إلى نفسه ، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[5] ، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله ، وأسند المرضَ إلى نفسه ، إذ هو معنى نقص ومعابة ، وليس من جنس النعم المتقدمة .

وهذا النوع مطّرد في فصاحة القرآن كثيراً ، ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[6] !؟ وتقديم فعل الله في قوله

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٧٩ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٨١ .
(٣) سورة : الكهف . آية : ٨٢ .
(٤) سورة : الكهف . آية : ٨٢ .
(٥) سورة : الشعراء . آية : ٨٠ .
(٦) سورة : الصف . آية : ٥ .

تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾[1] .

وإنما قال الخضر في الثانية : ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾ ؛ لأنه قد رواه الله وأصحابه الصالحون ، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالديْن ، وتمني التبديل لهما ؛ وإنما أسْنَدَ الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى ؛ لأنها أمر مستأنف في الزمن طويل ، غيب من الغيوب ، فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى .

ومثله قول مؤمني الجن : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾[2] ، فحذف الفاعل في إرادة الشر تأدباً مع الله ، وأضافوا إرادة الرشد إليه .

وقريب من هذا قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام ، في خطابه لما اجتمع أبوه وإخوته : ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾[3] ، ولم يقل : « من الجبّ » مع أن الخروج منه أعظم من الخروج من السجن ، وإنما آثر ذكر السجن لوجهين ذكرهما ابن عطية :

أحدهما : أنّ في ذكر الجبّ تجديد فعل إخوته ، وتقريعهم بذلك ، وتجديد تلك الغوائل .

والثاني : أنه خرج من الجبّ إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، والنعمة هنا أوضح . انتهى .

وأيضاً ولأن بين الحالين بَوْناً من ثلاثة أوجه : قِصَر المدة في الجب ، وطولها في السجن . وأنّ الجبّ كانَ في حال صغره ، ولا يعقل فيها المصيبة ، ولا تؤثر في النفس كتأثيرها في حالِ الكبرَ . والثالث أن أمرَ الجبّ كان بغياً وظلماً لأجل الحسَد ، وأمْرَ السجن كان لعقوبة أمرٍ دينيّ هو منزه عنه ، وكان أمكَن في نفسه . والله أعلم بمراده .

ومثله قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾[4] .

---

(1) سورة : التوبة . آية : ١١٨ .
(2) سورة : الجن . آية : ١٠ .
(3) سورة : يوسف . آية : ١٠٠ .
(4) سورة : البقرة . آية : ١٨٧ .

وقال : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾[1] .

فحذف الفاعل عند ذكر الرفث ؛ وهو : الجماع ، وصرح به عند إحلال العقد .

وقال تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[2]، فحذف الفاعل عند ذكر هذه الأمور.

وقال : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[3] .

وقال : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[4] .

ونظائر ذلك كثيرة في القرآن .

وقال السهيلي في « كتاب الإعلام » في قوله[5] تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ ﴾[6] وقال للنبي ﷺ : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ ﴾[7] ، والمكان المشار إليه واحد ، قال :

ووجهُ الفرق بين الخطابين أن الأيمن إمّا مشتق من اليمن ، وهو البركة ، أو مشارك له في المادة ، فلما حكاه عن موسى في سياق الإثبات أتى بلفظه ، ولما خاطب محمداً ﷺ في سياق النفي عَـدَل إلى لفظ « الغربيّ » ، لئـلا

---

(١) سورة : النساء . آية : ٢٤ .
(٢) سورة : المائدة . آية : ٣ .
(٣) سورة : الأنعام . آية : ١٥١ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٧٥ .
(٥) هو كتاب « التعريف والإعلام » ، أنظر هذا النص فيه ص ٩٨ ، ٩٩ . ط . الأزهر .
(٦) سورة : مريم . آية : ٥٢ .
(٧) سورة : القصص . آية : ٤٤ .

يخاطبه ، فيسلب عنه فيه لفظاً مشتقّاً من اليُمْن ، أو مشاركاً في المادة ، رفقاً بهم في الخطاب ، وإكراماً لهما . هذا حاصل ما ذكره بمعناه موضح .

وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب .

وقال أيضاً في الكتاب المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً . . . ﴾[1] الآية أضافه هنا إلى « النون » وهو الحوت ، وقال في سورة القلم : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾[2] ، وسماه هنا « ذا النون » ، والمعنى واحد ، ولكنْ بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالين ، وتنزيل الكلام في الموضعين ، فإنه حين ذكره في موضع الثناء عليه ، قال : ﴿ ذا النون ﴾ ، ولم يقل « صاحب الحوت » ، ولفظ « النون » أشرف ، لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء ، في أوائل السور ، نحو ﴿ نٓ والقلم ﴾[3] .

وقد قيل : إنّ هذا قسم بالنون والقلم ، وإن لم يكن قسماً ، فقد عظمه بعطف المقسم به عليه ، وهو القلم ، وهذا الاشتراك يشرف هذا الاسم وليس في الاسم ، وليس في اللفظ الآخر ـ وهو الحوت ـ ما يشرفه[4] .

فالتفِتْ إلى تنزيل الكلام في الآيتين يَلُحْ لك ما أشرت إليه في هذا ، فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترض .

وقال الشيخ أبو محمد المرجاني[5] في قوله تعالى :

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ٨٧ .

(٢) سورة : القلم . آية : ٤٨ .

(٣) سورة : القلم . آية : ١ .

(٤) في الأصول : « نحو : ﴿ نٓ والقلم ﴾ وليس في اللفظ الآخر ما يشرفه » والزيادات من كتاب التعريف والإعلام ص ٨٣ .

(٥) لعله محمد بن أبي بكر بن علي ، نجم الدين المرجاني ، الذروي الأصل ، المكي المولود والوفاة : نحوي مكة . . في عصره . . له معرفة بالأدب ، ونظم ونثر ، كان مولده سنة ٧٦٠ هـ ، ووفاته ٨٢٧ هـ .

من كتبه : « مساعد الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب » قصيدة من نظمه ، =

﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ﴾ [1]، خاطبه بمقدمة الصدق مواجهة ، ولم يقدّم الكذب ؛ لأنّه متى أمكن حَمْلُ الخبر على الصدق لا يُعْدَل عنه ، ومتى كان يحتمل ويحتمل ، قُدّم الصدق ؛ ثم لم يواجهه بالكذب ، بل أدمجه في جملة الكذابين ، أدباً في الخطاب .

ومثله : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾ [2].

وكذا قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ .

وهذان المثالان من باب إرخاء العنان للخصم ، ليدخل في المقصود بألطف موعود .

= وشرحها . و « طبقات فقهاء الشافعية » ، ومنظومة في « دماء الحج » وشرحها .

(أنظر : بغية الوعاة ٢٥ . والضوء اللامع ١٨٢/٧ . والأعلام ٥٧/٦) .

(١) سورة : النمل . آية : ٢٧ .

(٢) سورة : يوسف . آية : ٢٦ ـ ٢٧ .

قاعدة : [ذكر الرحمة قبل العذاب][1] :

من أساليب القرآن : حيثُ ذكر الرحمة والعذاب ، أن يبدأ بذكر الحرمة :

كقوله تعالى : ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾[2] .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3] .

وعلى هذا جاء قولُ النبيِّ ﷺ حكايةً عن الله تعالى : « إنّ رحمتي سبقتْ غضبي »[4] .

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديمَ ذكر العذاب ترهيباً وزجراً :

منها : قوله في سورة المائدة : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5] .

لأنها وردت في ذكر قُطّاع الطّريق ، والمحاربين ، والسّراق[6] ، فكان

---

(١) هذا العنوان غير موجود بالأصول ، وقد أضفناه للتوضيح .

(٢) سورة : المائدة . آية : ١٨ .

(٣) سورة : فصلت . آية : ٤٣ .

(٤) أنظر الحديث في : الدر المنثور للسيوطي ٣/٦ . والبعث والنشور ٥٣ . وحسن الظن بالله (ابن أبي الدنيا ٣٣ . والأسماء والصفات للبيهقي ٣١٩ . والسنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٧٠ . ومختصر العلو ٩٢ للعلي الغفار .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٤٠ .

(٦) الآية ٣٣، ٣٨ من سورة المائدة .

المناسبُ تقديم ذكر العذاب ؛ ولهذا ختم آية السرقة بـ « عزيز حكيم » ، وفيه الحكاية المشهورة[1]، وختمها بالقدرة مبالغةً في الترهيب، لأن مَنْ توعّده قادرٌ على إنفاذ الوعيد ، كما قاله الفقهاء في الإكراه على الكلام ونحوه .

ومنها : قوله في سورة العنكبوت : ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾[2] ؛ لأنّها في سياق حكاية إنذار إبراهيم لقومه .

ومثلها : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] .

وبعدها : ﴿ بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[4] .

ومنها : في آخر الأنعام ، قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[5] ؛ لأنَّ سورة الأنعام كلّها مناظرَة للكفار ووعيد لهم ، خصوصاً وفي آخرها قبل هذه الآيات بيَسير : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ . . . ﴾[6] الآية ، وهو تهديد ووعيد إلى قوله : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا . . . ﴾[7] الآية ، وهو تقريع للكفار وإفساد لدينهم ، إلى قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾[8] ، فكان المناسب تقديمَ ذكر العقاب ترهيباً للكفار ، وزجراً لهم عن الكفر والتفرق ، وزجراً للخلائق عن الجوْر في الأحكام .

ونحو ذلك : في أواخر الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[9] لأنّها في سياق ذكر معصية أصحاب السَّبت وتعذيبه إياهم ، فتقديم العذاب مناسب .

---

(١) أنظر في ذلك : البحر المحيط ، لأبي حيان .
(٢) سورة : العنكبوت . آية : ٢١ .
(٣) سورة : العنكبوت . آية : ١٩ ـ ٢٠ .
(٤) سورة : العنكبوت . آية : ٢٢ .
(٥) سورة : الأنعام . آية : ١٦٥ .
(٦) سورة : الأنعام . آية : ١٥٩ .
(٧) سورة : الأنعام . آية : ١٦٤ .
(٨) سورة : الأنعام . آية : ١٦٥ .
(٩) سورة : الأعراف . آية : ١٦٨ .

والفرقُ بين هذه الآية وآية الأنعام ، حيث أتى هنا باللام ، فقال : ﴿ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ دُون هناك ، أنّ اللام تفيد التوكيد ، فأفادت هنا تأكيد سرعة العقاب ؛ لأن العقاب المذكور هنا عقاب عاجل ، وهو عقاب بني إسرائيل بالذلّ والنِّقْمة وأداء الجزية بعد المسخ ؛ لأنّه في سياق قوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾(١) ، فتأكيدُ السرعة أفاد بَيانَ التعجيل ، وهو مناسب ، بخلاف العقاب المذكور في سورة الأنعام ، فإنّه آجل ، بدليل قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٢)، فاكتفى فيه بتأكيد « إن » .

ولمّا اختصت آية الأعراف بزيادة العذاب عاجلاً اخْتُصَّت بزيادة التأكيد لفظاً بـ « إنَّ » ، وجميع ما في القرآن على هذا اللفظ يناسبه التقديم والتأخير ، وعليه دليلان :

أحدهما : تفصيليّ ، وهو الاستقراء ، فانظر أيَّ آية شئت تجد فيها مناسباً لذلك .

والثاني : إجماليّ وهو أن القرآنَ كلامُ أحكم الحكماء ، فيجب أن يكون على مقتضى الحكمة ؛ فوجب اعتباره كذلك .

وهذان دليلان عامّان في مضمون هذه الفائدة وغيرها .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾(٣) ، ولم يقل : « ذو عقوبة شديدة » ؛ لأنّه إنما قال ذلك نفياً للاغترار بسعة رحمة الله في الاجتراء على معصيته ؛ وذلك أبلغ في التهديد ؛ معناه : لا تغترّوا بسعة رحمة الله ، فإنه مع ذلك لا يُرَدُّ عذابه .

ومثله : قوله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾(٤) ، وقد سبقت .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٦٨ .
(٢) سورة : الأنعام . آية : ١٦٤ .
(٣) سورة : الأنعام . آية : ١٤٧ .
(٤) سورة : مريم . آية : ٤٥ .

فائـــدة :

في الفرق بين الخطاب بالاسم والفعل ، وأنّ الفعلَ يدلّ على التجدد والحدوث ، والاسم على الاستقرار والثبوت ، ولا يحسن وضعُ أحدهما موضع الآخر .

فمنه : قوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾(١) ، لو قيل : « يبسط » لم يؤدّ الغرض ؛ لأنه لم يُؤذن بمزاولة الكلب البسط ، وأنه يتجدّد له شيء بعد شيء ، فـ « باسط » أشعر بثبوت الصفة .

وقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾(٢) ، لو قيل : « رازقكم » لفات ما أفاده الفعل من تجدّد الرزق شيئاً بعد شيء ؛ ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع ، مع أن العامل الذي يفيده ماضٍ ، كقولك : جاء زيد يضرب ، وفي التنزيل : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾(٣) ، إذ المراد أن يريد صورة ما هم عليه وقتَ المجيء ، وأنهم آخذون في البكاء يجدّ دونه شيئاً بعد شيء ، وهذا هو سرّ الإعراض عن إسم الفاعل والمفعول ، إلى صريح الفعل والمصدر .

ومن هذا يعرف لما قيل : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾(٤) ، ولم يقل « المنفقين » في غير موضع ؟ وقيل كثيراً : « المؤمنون » و « المتقون » ؛ لأن حقيقة النفقة أمر فعليّ شأنه الانقطاع والتجدد ، بخلاف الإيمان ، فإن له حقيقةً تقومُ بالقلب يدوم مقتضاها ، وإن غَفَلَ عنها .

وكذلك التقوى والإسلام ، والصبر والشكر ، والهدى والضلال ، والعمى والبصر ، فمعناها ، أو معنى وصف الجارحة ؛ كلّ هذه لها مسميات حقيقية أو مجازية تستمرّ ، وآثار تَتَجدّد وتنقطع ، فجاءت بالاستعمالين ؛ إلاّ أنّ لكلِّ محلٍ

---

(١) سورة : الكهف . آية : ١٨ .

(٢) سورة : فاطر . آية : ٣ .

(٣) سورة : يوسف . آية : ١٦ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٧٤ .

ما يليق به ، فحيث يراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال ، وحيث يراد ثبوت الاتصاف بها فالأسماء .

وربما بولغ في الفعل فجاء تارة بـالصيغة الاسميـة ، كالمجـاهدين ، والمهاجرين ، والمؤمنين ؛ لأنه للشأن والصفة ، هذا مع أن لها في القلوب أصولاً ، وله ببعض معانيها التصاق قوّى هذا التركيب ، إذ القلبُ فيه جهاد الخواطر الرديئة ، والأخلاق الدنيئة ، وعقد على فعل المهاجرة ، كما فيه عَقْدٌ على الوفاء بالعهد ، وحيث يستمر المعاهد عليه إلى غير ذلك .

وانظر هنا إلى لطيفة ؛ وهو أنّ ما كان من شأنه ألّا يفعل إلا مجازاة ، وليس من شأنه أن يذكر الاتصاف به ، لم يأتِ إلا في تراكيب الأفعال :

كقوله تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾(٢) .

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾(٣) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾(٤) ، فإنّ الإهلاك نوع اقتدار بَيّن ، مع أنّ جنسه مقضيٌّ به على الكلّ ؛ عالين وسافلين ؛ لا كالضلال الذي جرى مجرى العصيان .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٥) ؛ لأن البصرَ صفة لازمة للمتقي ، وعين الشيطان ربما حجبت ، فإذا تذكرَ رأى المذكور ، ولو قيل : « يبصرون » لأنبأ عن تجدد واكتساب فعل ، لا عوْد صفة .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾(٦) ، أتى بالماضي في « خلق » ، لأن خلْقه مفروغ منه ، وأتى بالفاء دون الواو ، لأنه كالجواب ؛ إذ مَنْ صَوّر

---

(١) سورة : إبراهيم . آية : ٢٧ .
(٢) سورة : الحج . آية : ٥٤ .
(٣) سورة : الرعد . آية : ٧ .
(٤) سورة : القصص . آية : ٥٩ .
(٥) سورة : الأعراف . آية : ٢٠١ .
(٦) سورة : الشعراء . آية : ٧٨ ، ٧٩ .

المنيّ ، قادر على أن يُصَيِّرَه ذا هدًى ؛ وهو للحصر ، لأنهم كانوا يزعمون أن آلهتهم تهديهم .

ثم قال : ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾[1] ، فأتى بالمضارع لبيان تجدد الإطْعام والسقيا ، وجاءت الواو دون الفاء ؛ لأنهم كانوا لا يفرقون بين المطعِم والساقي ، ويعلمون أنهما من مكان واحد ، وإن كانوا يعلمون أنه من إله ، وأتى بـ « هو » لرفع ذلك ، ودخلت الفاء في ﴿ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ؛ لأنّه جواب ، ولم يقل : « إذا مرضت فهو يشفين » إذ يفوت ما هو موضوع لإفادة التعقيب ، ويذهب الضمير المعطِي معنى الحصر ، ولم يكونوا منكرين الموت من الله ، وإنما أنكروا البعث ، فدخلت « ثم » لتراخي ما بين الإماتة والإحياء .

وقوله تعالى : ﴿ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾[2] ؛ لأن الفعل الماضي يحتمل هذا الحكم دائماً ووقتاً دون وقت ، فلما قال : ﴿ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ، أي سكوتكم عنهم أبداً ودعاؤكم إياهم واحد ؛ لأنَّ « صامتون » ، فيه مراعاة للفواصل ، فهو أفصح ، وللتمكين من تطريفه بحرف المد واللّين ، وهو للطبع أنسب من صمتهم ، وصلاً ووقفاً .

وفيه وجه آخر ، وهو أن أحد القسمين موازن للآخر ، فيدلُّ على أن المعنى : « أنتم داعون لهم دائماً أم أنتم صامتون » . فإن قيل : لم لا يعكس ؟

قلنا : لأن الموصوف الحاضر والمستقبل ، لا الماضي ؛ لأن قبله : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾[3] ، والكلام بآخره ، فالحكم به قد يرجح .

وقوله تعالى : ﴿ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ ﴾[4] ، ولم يقل : « أم لعبت » ؛ لأن العاقل لا يمكن أن يلعب بمثل ما جاء به ظاهراً ، وإنما يكون ذلك أحدَ رجلين ؛ إما محقّ وإما مستمرّ على لهو الصبا ، وغيّ الشباب ، فيكون

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ٨٠ .
(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٩٣ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٩٣ .
(٤) سورة : الأنبياء . آية : ٥٥ .

اللعب من شأنه حتى يصدر عنه مثل ذلك ، ولو قال : « أم لعبت » لم يعط هذا .

وقوله تعالى حاكياً عن المنافقين : ﴿ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ، يريدون أَحدَثنا الإيمان ، وأعرضنا عن الكفر ، ليروح ذلك خلافاً منهم ، كما أخبر تعالى عنهم في قوله : ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] .

وجاءت الإسمية في الردّ عليهم بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[3] ؛ لأنه أبلغ من نفي الفعل ، أذ يقتضي إخراج أنفسهم وذواتهم عن أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين ، وينطوي تحته على سبيل القطع نفيٌ بما أثبتوا لأنفسهم من الدعوى الكاذبة ، على طريقة :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾[4] .

مبالغة في تكذيبهم ، ولذلك أجيبوا بالباء ، وكلامهم في هذا ـ كما قيل :

* خليٌّ من المعنى ولكن مفرقع *

وإذا قيل : « أنا مؤمن » أبلغ من « آمن » ، ونفيُ الأبلغ لا يستلزم نفي ما دونه : وما حقيقة إخراج ذواتهم من جنس المؤمنين لم يرجع في البيان إلا على عيّ أو ترويج ، ولكن ذمّ الله تعالى طائفة تقول « آمنا » ، وهي حالة القول ليست بمؤمنة ، بياناً لأن هذا القول إنما صدر عنها ادعاء ، بحضور الإيمان حالة القول ، والانتظام بذلك في سلك المتصفين بهذه الصفة ، وهم ليسوا كذلك ؛ فإذا ذمّهم الله ، شَمَلَ الذمُّ أن يكونوا آمنوا يوماً ثم تخلّوا ، وأن يكونوا ما آمنوا قطّ من طريق الأولى والتعميم فقط ، وأعلم به أنّ ذلك حكم مَنْ ادعى هذه الدعوى على هذه الحال ، وبيّن أن هذا القول إنما قصدوا به التمويه ، بقوله :

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٨ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٩ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٨ .

(٤) سورة : المائدة . آية : ٣٧ .

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] .

ولو قال : وما آمنوا ، لم يفد إلا نفيَه عنهم في الماضي ، ولم يفد ذمَّهم إن كانوا آمنوا ثم ارتدّوا ؛ وهذا أفاد نفيه في الحال ، وذمّهم بكل حال ، ولأنّ ما فيه « مؤمنين » أحسن من « آمنوا » لوجود التمكين بالمدّ ؛ والوقف عقبه على حرف له موقف .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[2] . دون « يخرجون » فقيل ما سبق .

وقيل : استوى هنا « يخرجون » و « خارجين » في إفادة المعنى ، واختير الاسم لخفته وأصالته .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾[3] ، يخبرون عن أنفسهم بالثبات على الإيمان بهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[4] .

قال الإمام فخر الدين الرازي : لأن الاعتناء بشأن إخراج الحيّ من الميت ، لما كان أشدّ أتى بالمضارع ، ليدلّ على التجدد ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[5] .

تنبيـــه :

مضمر الفعل كمظهره في إفادة الحدوث ، ومن هذه القاعدة قالوا : إن سلامَ الخليل عليه السلام أبلغ من سلام الملائكة ، حيث قال : ﴿ قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ ﴾[6] : فإنّ نصب ﴿ سلاماً ﴾ إنما يكون على إرادة الفعل ، أي سلّمنا

---

(1) سورة : البقرة . آية : ٩ .
(2) سورة : الحجر . آية : ٤٨ .
(3) سورة : البقرة . آية : ١٤ .
(4) سورة : الروم . آية : ١٩ .
(5) سورة : البقرة . آية : ١٥ .
(6) سورة : هود . آية : ٦٩ .

سلاماً ، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم ، إذ الفعل تأخر عن وجود الفاعل ، بخلاف سلام إبراهيم ، فإنه مرتفع بالابتداء ، فاقتضى الثبوت على الإطلاق ، وهو أولى بما يعرض له الثبوت ، فكأنه قصد أن يحيّيهم بأحسن مما حيوه به ، اقتداءً بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[1] .

وذكروا فيه أوجهاً أخرى تَليق بقاعدة الفلاسفة في تفضيل الملائكة على البشر ، وهو أن السلام دعاء بالسّلامة من كل نقص ، وكمال البشر تدريجيّ ، فناسب الفعل ، وكمال الملائكة مقارِن لوجودها على الدوام ، فكان أحقَّ بالاسم الدالّ على الثبوت .

قيل : وهو غلط ، لأن الفعل المنشأ هو تسليمهم ، أما السلامُ المدعوّ به فليس في موضوعه تعرض لتدرّج ، وسلامه أيضاً منشأ فعل ، ولا يتعرض للتدريج ، غير أن سلامه لم يدل بوضعه اللغويّ وقوع إنشائه ، ثم لو كان هذا المعنى معتبَراً لشُرع السلام بيننا بالنصب دون الرفع .

تنبيـــه :

هذا الذي ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت ، والفعل على التجدد والحدوث ؛ هو المشهور عند البيانيين .

وأنكر أبو المطرف بن عميرة[2] في كتاب « التمويهات » على كتاب « التبيان » لابن الزَّمْلكاني ، قال :

(١) سورة : النساء . آية : ٨٦.

(٢) هو: أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين ، ابن عميرة المخزومي ، أبو المطرف : أديب ، من أجلاء المغرب ومن فحول كتابه ، ولد في شقورة سنة ٥٨٢ هـ ، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ . وألف كتاباً في « فاجعة المرية » وتغلب الروم عليها ، نحا فيه منحى العماد الأصفهاني ، في الفتح القدسي . من كتبه : « التنبيه على المغالطة والتنويه » و « التنبيهات على ما في التبيان ـ لابن الزملكاني ـ من التمويهات » و « تقييد الرسائل » وغير ذلك .

هذا الرأي غريب ، ولا مستَند له نعلمه ، إلا أن يكون قد سمع أن في مقولة[1] : أن يفعل وأن ينفعل هذا المعنى من التجدّد ، فظن أنه الفعل القسيم للأسماء ، فغلط . ثم قوله : الاسم يثبتُ المعنى للشيء عجيب ، وأكثر الأسماء دلالتها على معانيها فقط ، وإنما ذاك في الأسماء المشتقة ؛ ثم كيف يفعل بقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ .

وقوله في هذه السورة بعينها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟[2] .

وقال ابن المنيِّر : طريقة العرب تدبيج الكلام وتلوينه ومجيء الفعلية تارة ، والإسمية أخرى ، من غير تكلّف لما ذكروه ، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخلّص ، اعتماداً على أنّ المقصود الحاصل بدون التأكيد ، كقولته تعالى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾[3] ، ولا شيء بعد ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾[4] ، وقد جاء التأكيد في كلام المنافقين فقال : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[5] .

= (أنظر : الإحاطة ١/٦٠ . وجذوة الاقتباس ٧٢ . وبغية الوعاة ١٣٧ . ولسان الميزان ١/٢٠٣ . وعنوان الدراية ١٧٨ . والإعلام بمن حل مراكش ١/٣٥٤ . والأعلام للزركلي ١/١٥٩) .

(١) في النسخة ب : « قوله » .

(٢) سورة : المؤمنين . آية : ١٥ ـ ١٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ٥٣ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٨٥ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ١١ .

قاعـــدة

جاء في التنزيل في موضعٍ : ﴿ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وفي موضعٍ ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

والأول : جاء في تسعة مواضع : أحدها : في الرحمٰن : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] .

والثاني : في أربع مواضع ، أولها : في يونس : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] .

وجاء قوله تعالى : ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ في أحد عشر موضعاً ، أولها : في البقرة : ﴿ سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾[3] .

وجاء قوله : ﴿ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ في ثمانية وعشرين موضعاً ، أولها في آية الكرسي[4] .

قال بعضهم : وتأمّلت هذه المواضع ، فوجدتُ أنّه حيث قصد التنصيص على الإفراد ذكر الموصول والظرف ، ألا ترى إلى المقصود في سورة يونس[5] ،

---

(1) سورة : الرحمٰن . آية : ٢٩ .
(2) سورة : يونس . آية : ٦٦ .
(3) سورة : البقرة . آية : ١١٦ .
(4) سورة : البقرة . آية : ٢٥٥ .
(5) سورة : يونس . آية : ٦٦ .

مِنْ نفي الشركاء الذين اتخذوهم في الأرض ، وإلى المقصود في آية الكرسي من إحاطة الملك[1] .

وحيث قُصد أمرٌ آخر لم يذكر الموصول ، إلا مرة واحدة ، إشارة إلى قصد الجنس وللاهتمام[2] بما هو المقصود في تلك الآية .

ألا ترى إلى سورة الرحمٰن المقصود منها علو قدرة الله تعالى وعلمه ، وشأنه وكونه مسئولاً ، ولم يقصد إفراد السائلين ! ؟

فتأمل هذا الموضع .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٥٥ .

(٢) في النسخة ب : « والاهتمام » .

قاعـــدة

قد يكون نحو هذا اللفظ في القرآن : كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ﴾[1] .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[2] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[3] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ . . . ﴾[4] إلى غير ذلك .

والمفسرون على أنَّ هذا الاستفهام معناه النفي ، فحينئذٍ فهو خبر ، وإذا كان خبراً ، فتوهَّم بعض الناس أنَّه إذا أخذت هذه الآيات على ظواهرها أدّى إلى التناقض ، لأنه يقال : لا أحد أظلمُ ممن منع مساجد الله ، ولا أَحَدَ أظلم ممن افترى على الله كذباً ، ولا أحد أظلم ممَّنْ ذكِّر بآيات الله فأعرض عنها .

واختلفَ المفسِّرون في الجواب عن هذا السؤال على طرق :

أحدها : تخصيص كلّ واحد في هذه المواضع بمعنى صلته : فكأنّه قال : لا أحدَ من المانعين أظلم ممَّنْ منع مساجد الله ، ولا أحدَ من المفترين أظلمُ ممن افترى على الله كذباً ، وكذلك باقيها ، وإذا تخصص بالصِّلات زال عنه التناقض .

(١) سورة : الأنعام . آية : ٩٣ .
(٢) سورة : الزمر . آية : ٣٢ .
(٣) سورة : السجدة . آية : ٢٢ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١١٤ .

الثاني : أن التخصيص بالنِّسبة إلى السبق لما لم يَسْبِقْ أحدٌ إلى مثله ، حُكْمٌ عليهم بأنّهم أظلمُ ممَّنْ جاء بعدهم سالكاً طريقتهم ، وهذا يئول معناه إلى السبق في المانعية ، والافترائية .

الثالث : ـ وادّعى الشيخ أبو حيان الصواب ـ ونفي الأظلمية لا يستدعي نفيَ الظالمية ، لأن نفيَ المقيَّد لا يدلُّ على نفي المطلق ، فلو قلت : ما في الدار رجل ظريف ، لم يدلّ ذلك على نفي مطلق رجل ، وإذا لم يدلّ على نفي الظالمية لم يلزم الناقض ؛ لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية ، وإذا ثبتت التسوية في الأظلمية ، لم يكن أحدٌ ممن وصف بذلك يزيد على الآخر ؛ لأنّهم يتساووْن في الأظلمية ، وصار المعنى : لا أحد أظلمُ ممن افترى وممن كذب ونحوها .

ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية ، ولا يدلّ على أن أحد هؤلاء أظلمُ من الآخر ، كما أنك إذا قلت : لا أحد أفقه من زيد وعمرٍو وخالد ، لا يدلّ على أن أحدهم أفقه من الآخر ، بل نفى أن يكون أحدهم أفقه منهم(١) .

لا يقال : إن مَنْ منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمُهُ ، وَسَعَى في خرابها ، ولم يفتر على اللهِ كذباً ؛ أقلُّ ظلماً ممَّن جَمَع بينهما ، فلا يكون مساوياً في الأظلمية ؛ لأنا نقول : هذه الآيات كلّها إنما هي في الكُفّار ، فهم متساوون في الأظلمية ، وإن اختلفتْ طرق الأظلمية ، فهي كلها صائرة إلى الكفر ، وهو شيء واحد ، لا يمكن فيه الزيادة بالنسبة لإفراد من اتصف به ، وإنّما تمكن الزيادة في الظلم بالنسبة ، لهم ، وللعصاة المؤمنين ، بجامع ما اشتركوا فيه من المخالفة ، فتقول : الكافر أظلمُ من المؤمن ، وتقول : لا أحدَ أظلم من الكافر ؛ ومعناه : أن ظلم الكافر يزيد على ظلمِ غيره . انتهى(٢) .

---

(١) في الأصول : « لا أحد أفقه منهم » والإضافة من البحر المحيط لأبي حيان ٣٥٧/١ .
(٢) أنظر المرجع السابق الجزء والصفحة وما بعدهما.

وقال بعضُ مشايخنا : لم يدّع القائلُ نفيَ الظالميّة ، فيقيمَ الشيخُ الدليلَ على ثبوتها ، وإنّما دعواه أنّ « ومن أظلم ممن منع مثلاً » ، والغرضُ : أنّ الأظلمية ثابتة لغير ما اتصف بهذا الوصف ، وإذا كان كذلك حصل التعارض ، ولا بد من الجمع بينهما . وطريقة التخصيص ، فيتعين القول به .

وقول الشيخ: إن المعنى «لا أحدَ أظلم ممن منع وممن ذكر» صحيح، ولكن لم يستَفد ذلك إلا من جهة التخصيص ؛ لأن الأفراد المنفيّ عنها الأظلمية في آية ، أثبتتْ لبعضها الأظلمية أيضاً في آية أخرى ، وهكذا بالنسبة إلى بقيَّة الآيات الواردة فيها ذلك .

وكلام الشيخ يقتضي أن ذلك استفيد لا بطريق التخصيص ، بل بطريق أن الآيات المتضمنة لهذا الحكم في آية واحدة . وإذا تقرَّر ذلك ، علمتَ أن كلّ آية خُصَّتْ بأخرى ، ولا حاجة إلى القول بالتخصيص بالصِّلات ، ولا بالسبق .

الرابع : طريقة بعض المتأخرين ، فقال : متى قدّرنا : « لا أحدَ أظلم » ، لزِم أحدُ الأمرين :

إمّا استواءُ الكلِّ في الظُّلم ، وأن المقصود نفي الأظلمية من غير المذكور ، لا إثبات الأظلمية له ، وهو خلاف المتبادر إلى الذهن .

وإمّا أن كلَّ واحد أظلمُ في ذلك النوع .

وكلا الأمرين إنّما لزم من «جَعْل مدلولها إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ، أو نفيها عن غيره .

وهنا معنى ثالث ، وهو : أمكنُ في المعنى وسالم عن الاعتراض، وهو الوقوف مع مدلول اللفظ من الاستفهام ، والمقصود به أنّ هذا الأمر عظيم فظيع، قصدنا بالاستفهام عنه تخييل أنه لا شيء فوقه ، لامتلاء قلب المستفهم عنه بِعظمته امتلاء يمنعه من ترجيح غيره ، فكأنه مضطر إلى أن يقول : لا أحد أظلم ؛ وتكون دلالته على ذلك استعارة لا حقيقة ، فلا يردُ كون غيره أظلم منه إن فرض .

وكثيراً ما يستعمل هذا في الكلام إذا قصد به التهويل ، فيقال : أيّ شيء أعظم من هذا ، إذا قصد إفراط عظمته ؟ ولو قيل للمتكلم بذلك : أنت قلت إنه أعظم الأشياء ، لأبى ذلك . فليفهم هذا المعنى ، فإنّ الكلامَ ينتظم معه والمعنى عليه .

قاعـــدة

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾[1] .

قال صاحب[2] « الياقوتة » : قال ثعلب والمبرّد جميعاً : العرب إذا جاءت بين الكلامين بِجَحْدَيْن ، كان الكلامُ إخباراً ، فمعناه : إنما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام .

ومثله : ما سمعت منك ولا أقبل منك مالاً .

وإذا كان في أول الكلام جَحْد كان الكلام مجحوداً جحداً حقيقيًّا ، نحو : « ما زيد بخارج » ، فإذا جمعت بين جَحْدَين في أول الكلام ، كان أحدهما زائداً ، كقوله : ما ما قمت يريد : « ماقمت » ، ومثله : ما إن قمت ، وعليه قوله تعالى : ﴿ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾[3] ، وفي أحد الأقوال .

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ٨ .

(٢) هو : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمرو الزاهد المطرز الباوردي ، المعروف بغلام ثعلب : أحد أئمة اللغة ، المكثرين من التصنيف . كانت صناعته تطريز الثياب . صحب ثعلباً النحوي زماناً حتى لقب « غلام ثعلب » . من كتبه : « الياقوتة » في غريب القرآن ، و « المداخل » و « غريب الحديث » ، و « أخبار العرب » ، و « العشرات » . توفي سنة ٣٤٥ هـ .

(أنظر : وفيات الأعيان ١/٥٠٠ . وإرشاد الأريب ٧/٢٦ : ٣٠ . وتاريخ بغداد ٢/٣٥٦ . ولسان الميزان ٥/٢٦٨ . وتذكرة الحفاظ ٣/٨٦ . وآداب اللغة ٢/٣٠٤ . والأعلام ٦/٢٥٤ .

(٣) سورة : الأحقاف . آية : ٣٦ .

قاعـــدة

في ألفاظ يُظنُّ بها الترادف وليست منه

ولهذا وُزِّعَتْ بحسب المقامات ، فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر ، فعلى المفسر مراعاةُ الاستعمالات ، والقطع بعدم الترادف ما أمكن ؛ فإنَّ للتركيب معنىً غير معنى الإفراد ؛ ولهذا مَنَعَ كثير من الأصوليّين وقوعَ أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب ؛ وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد .

فمن ذلك : « الخوف » و « الخشية » ، لا يكادُ اللُّغوي يفرّق بينهما .

ولا شكَّ أن الخشْيَةَ أعْلَى من الخوف ، وهي أشدّ الخوف ، فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خَشيّة ؛ إذا كانت يابسة ، وذلك فوات بالكلية .

والخوف من قولهم : ناقة خَوْفاً ؛ إذا كان بها داء ، وذلك نقص وليس بفوات ؛ ومن ثَمَّةَ خُصّت الخشية بالله تعالى في قوله سبحانه :

﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ ٱلْحِسَابِ ﴾(1) .

وفُرِق بينهما أيضاً ، بأن الخشية تكون من عِظم المخشيّ ، وإن كان الخاشي قويًّا ، والخوف يكون من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف أمراً يسيراً ، ويدلّ على ذلك أن الخاء ، والشين ، والياء في تقاليبها تدلُّ على العظمة ؛ قالوا : شيخ للسيد الكبير ، والخيش لما عظم من الكَتَّان ، والخاء ، والواو ، والفاء في تقاليبها تدلّ على الضعف .

---

(1) سورة : الرعد . آية : ٢١ .

وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة .

وقال تعالى : ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ ٱلْحِسَابِ ﴾(١) .

فإن الخوف من الله لعظمته ، يخشاه كلّ أحد كيف كانت حاله ، وسوء الحساب ربما لا يخافه مَنْ كان عالماً بالحساب ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسَب .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ﴾(٢) .

وقال لموسى : ﴿ لَا تَخَفْ ﴾(٣) ؛ أي : لا يكونُ عندك من ضعف نفسِك ما تخاف منه من فرعون .

فإن قيل : وَرَد : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ؟

قيل : الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيفٌ ، فيصحّ أن يقول : « يخشى ربه » لعظمته ، ويخاف ربه ، أي لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى .

وفيه لطيفة ، وهي : أنَّ الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ، ذكر صفتَهم بين يديه ، فقال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٤) ، فبيّن أنهم عند الله ضعفاء ، ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء ، لا حاجة إلى بيان ضعفهم ، ذكر ما يدلّ على عظمة الله تعالى ، فقال : ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾(٥) ، ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال : ﴿ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾(٦) ، والمراد : فوقيّة بالعظمة .

ومن ذلك : الشحّ ، والبخل .

والشحّ : هو البخل الشديد ؛ وفرَّق العسكريّ بين البُخل والضّنّ ، بأن الضّنّ : أصله أن يكون بالعواري ، والبخل : بالهيئات ، ولهذا يقال : هو ضنين

---

(١) سورة : الرعد . آية : ٢١ .
(٢) سورة : فاطر . آية : ٢٨ .
(٣) سورة : النمل . آية : ١٠ .
(٤) سورة : النحل . آية : ٥٠ .
(٥) سورة : الرعد . آية : ٢١ .
(٦) سورة : النحل . آية : ٥٠ .

بعلمه ، ولا يقال : هو بخيل ، لأن العِلْم أشبهُ بالعاريّة منه بالهيئة ؛ لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه ، بخلاف العاريّة ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[1] ، ولم يقل بـ « بخيل » .

ومن ذلك : الغبطة ، والمنافسة ، كلاهما محمود ، قال تعالى :

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾[2] .

وقال ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين »[3]، وأراد الغبطة ، وهي : تمنِّي مثل ما له من غير أن يغتمّ لنيل غيره ؛ فإن انضمّ إلى ذلك الجدّ والتشمير إلى مثله أو خيرٍ منه ، فهو منافسة .

وقريب منها الحسد والحقد ، فالحسد : تمنّي زوال النعمة من مستحقها ، وربما كان مع سعيٍ في إزالتها ، كذا ذكر الغزالي هذا القيد ، أعني الاستحقاق ، وهو يقتضي أن تمنى زوالها عمن لا يستحقها لا يكون حَسداً .

ومن ذلك : « السبيل » و « الطريق » ، وقد كثُر استعمال السبيل في القرآن ؛ حتى إنه وقع في الربع الأول منه في بضع وخمسين موضعاً :

أولها : قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[4] .

---

(١) سورة : التكوير. آية : ٢٤ .

(٢) سورة : المطففين . آية : ٢٦ .

(٣) أنظر الحديث في : صحيح البخاري ٢٣٦/٦ . وصحيح سلم صلاة المسافرين بـ ٤٧ رقم ٢٦٧ . ومسند الإمام أحمد ٣٨٥/١ ، ٤٣٢ ، ٣٦/٢ ، ٨٨ ، ١٥٢ ، ٤٥٩ . وسنن الدارمي ٣٥٣ ، ٤٢٢٣ . ومجمع الزوائد ٢٥٦/٢ ، ١٠٨/٣ . وكنز العمال ١٦٠٥٠ ، ٢٣٣٩ ، ٢٣٤٠ . وإتحاف السادة المتقين ٦١/٨ . ومشكل الآثار للطحاوي ١٩١/١ . ومشكاة المصابيح للتبريزي ٢٠٢ . ومصنف ابن أبي شيبة ٥٥٧/١٠ ، ٥٥٨ . والمطالب العالية لابن حجر ٣٥٠٤ . وفتح الباري ١٦٥/١ ، ٣٣١/٢ ، ٧٣/٩ . وإحياء علوم الدين ١٢/١ ، ١٨٧/٣ ، ٣٤١/٤ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٧٣ .

ولم يقع ذكر الطريق مراداً به الخير ، إلا مقترناً بوصف أو بإضافة ، مما يخلّصه لذلك ، كقوله تعالى :

﴿ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) .

ومن ذلك : « جاء » و « أتى » يستويان في الماضي ، « ويأتي » أخف من « يجيء » وكذا في الأمر و « جيئوا بمثله » أثقل من « فأتوا بمثله » ولم يذكر الله إلا « يأتي » و « يأتون » وفي الأمر « فأت » «فـأتنـا» « فأتوا » ؛ لأنَّ إسكان الهمزة ثقيل لتحريك حروف المد واللين ، تقول « جيء » أثقل من « ائت » .

وأما في الماضي ففيه لطيفة ، وهي : أن « جاء » يقال في الجواهـر والأعيان ، « وأتى » في المعاني والأزمان ، وفي مقابلتهما : ذهب ومضى ، يقال ذهب في الأعيان ، ومضى في الأزمان ؛ ولهذا يقال : حُكْم فلان ماضٍ ، ولا يقال : ذاهب ؛ لأن الحكم ليس من الأعيان .

وقال : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾(٢) ، ولم يقل : « مضى » ؛ لأنّه يضرب له المثل بالمعاني المفتقرة إلى الحـال ، ويضرب لـه المثل بـالأعيان القـائمة بأنفسها ؛ فذكْر الله « جاء » في موضع الأعيان في الماضي ، « وأتى » في موضع المعاني والأزمان .

وانظر قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾(٣) ؛ لأن الصُّواع عين .

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ ﴾(٤) لأنه عين .

وقال : ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾(٥) لأنها عين .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾(٦) ؛ فلأنّ الأجل كالمشاهد ، ولهذا يقال : حضرتْه الوفاة وحضره الموت .

---

(١) سورة : الأحقاف . آية : ٣٠ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٧ .
(٣) سورة : يوسف . آية : ٧٢ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٨٩ .
(٥) سورة : الفجر . آية : ٢٣ .
(٦) سورة : النحل . آية : ٦١ .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[1] ، أي : العذاب لأنه مرئيّ يشاهدونه .

وقال : ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[2] ، حيث لم يكن الحق مرئيًّا .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً ﴾[3] .

وقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾[4] ، فجعل الأمرَ آتياً وجائياً .

قلنا : هذا يؤيد ما ذكرناه ؛ فإنه لما قال : ﴿ جاء ﴾ وهم ممن يرى الأشياء ، قال : ﴿ جاء ﴾ أي عياناً ، ولما كان الزرع لا يبصِر ولا يرَى ، قال : ﴿ أتاها ﴾ .

ويؤيد : هذا أن « جاء » يُعدّى بالهمزة ، ويقال : أجاءه .

قال تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾[5] ، ولم يرد « أتاه » بمعنى « أئت » من الإتيان ، لأن المعنى لا استقلال له ، حتى يأتي بنفسه .

ومن ذلك : « الخطف » و « التخطف » لا يفرّق الأديب بينهما ، والله تعالى فَرَق بينهما ، فتقول : « خطِف » بالكسر ، لِما تكرر ، ويكون من شأن الخاطف الخطف ، و « خَطَفَ » بالفتح حيث يقع الخطف من غير من يكون من شأنه الخطف بكلفة ، وهو أبعد من « خَطَفَ » بالفتح ؛ فإنه يكون لمن اتفق له على تكلّف ، ولم يكن متوقعاً منه .

ويدل عليه أن « فَعَل » بالكسر لا يتكرر ، كعلم وسمع ، و « فَعَل » لا يشترط فيه ذلك ، كقتل وضرب .

قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾[6] فإن شغل الشيطان ذلك .

---

(١) سورة : الحجر . آية : ٦٣ .
(٢) سورة : الحجر . آية : ٦٤ .
(٣) سورة : يونس . آية : ٢٤ .
(٤) سورة : هود . آية : ٥٨ .
(٥) سورة : مريم . آية : ٢٣ .
(٦) سورة : الصافات . آية : ١٠ .

وقال : ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾[1] لأنّ من شأنه ذلك .

وقال : ﴿ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾[2] ؛ فإنّ الناس لا تخطف الناس إلا على تكلّف .

وقال : ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[3] .

وقال : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾[4] ؛ لأن البرق يخاف منه خطف البصر إذا قَوِيَ .

ومن ذلك : « مدّ » ، و « أمد » قال : الراغب[5] : أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب :

﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ ﴾[6] .

﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾[7] .

والمدّ في المكروه : ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾[8] .

ومن ذلك : و « أسقى » وقد سبق .

ومن ذلك : « عمل » ، و « فعل » ، والفرق بينهما أن العملَ أخصّ من الفعل ، كلُّ عمل فعل ولا ينعكس ؛ ولهذا جعل النحاة الفعل في مقابلة الاسم ؛ لأنه أعمّ ، والعمل من الفعل ما كان مع امتداد ؛ لأنه « فَعِل » وباب « فعِل » لما تكرر .

وقد اعتبره الله تعالى ، فقال : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ ﴾[9] ، حيث كان فعلهم بزمان .

---

(١) سورة : الحج . آية : ٣١ .
(٢) سورة : الأنفال . آية : ٢٦ .
(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٦٧ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .
(٥) أنظر : مفردات الراغب الأصبهاني ٤٨١ .
(٦) سورة : الطور . آية : ٢٢ .
(٧) سورة : الواقعة . آية : ٣٠ .
(٨) سورة : مريم . آية : ٧٩ .
(٩) سورة : سبإ . آية : ١٣ .

وقال : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] ، حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين ، فينقلون المدن بأسرع من أن يقوم القائم من مكانِهِ .

وقال تعالى : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾[2] .

﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] .

فإنّ خَلْق الأنعام ، والثمار ، والزروع بامتداد .

وقال : ﴿ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ ﴾[4] .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[5] .

﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾[6] ؛ فإنها إهلاكات وقعت من غير بطء .

وقال : ﴿ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾[7] ، حيث كان المقصود المثابرةَ عليها ، لا الإتيانَ بها مرة .

وقال : ﴿ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ ﴾[8] ، بمعنى : سارعوا .

كما قال : ﴿ فَاسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ ﴾[9] .

وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾[10] ؛ أي يأتون بها على سرعة من غير توانٍ في دفع حاجة الفقير .

فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كل موضع .

ومن ذلك : « القعود » ، و « الجلوس » . إن القعود لا يكون معه لَبْثة ، والجلوس لا يعتبر فيه ذلك ؛ ولهذا تقول : « قواعد البيت » ، ولا تقول :

---

(١) سورة : النحل . آية : ٥٠ .
(٢) سورة : يس . آية : ٧١ .
(٣) سورة : يس . آية : ٣٥ .
(٤) سورة : الفيل . آية : ١ .
(٥) سورة : الفجر . آية : ٦ .
(٦) سورة : إبراهيم . آية : ٤٥ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .
(٨) سورة : الحج . آية : ٧٧ .
(٩) سورة : البقرة . آية : ١٤٨ .
(١٠) سورة : المؤمنون . آية : ٤ .

« جوالسه » ؛ لأنَّ مقصودك ما فيه ثبات ؛ والقاف ، والعين ، والدال كيف تقلَّبت دَلَّتْ على اللُّبث ؛ والقعدة بقاء على حالة ، والدقّعاء : للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لَبث طويل ؛ وأما الجيم ، واللام ، والسين فهي للحركة ، منه : السجلّ للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده ؛ ولهذا قالوا في قَعَد : يَقْعُد بضم الوسط ، وقالوا : جلس يجلِس بكسره ؛ فاختاروا الثقيل لما هو أثبت .

إذا ثبت هذا فنقول :

قال الله تعالى : ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾[1] ، فإنّ الثبات هو المقصود .

وقال : ﴿ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[2] ، أي : لا زوالَ لكم ، ولا حركة عليكم بعد هذا .

وقال : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾[3] ، ولم يقل « مجلس » ، إذ لا زوال عنه .

وقال : ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾[4] ، إشارة إلى أنّه يجلس فيه زماناً يسيراً ليس بمقعد ؛ فإذا طُلِب منكم التفسح فافْسحوا ؛ لأنه لا كُلْفة فيه لقصره ، ولهذا لا يقال : قعِيد الملوك ، وإنما يقال : جليسهم ، لأن مجالسةَ الملوك يستحبّ فيها التخفيف ؛ والقعيدة للمرأة ؛ لأنها تلبَث في مكانها .

ومن ذلك : « التمام » ، « والكمال » ، وقد اجتمعا في قوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[5] ، والعطف يقتضي المغايرة .

فقيل : الإتمام لإزالة نقصان الأصل ، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل ؛ ولهذا كان قوله تعالى :

---

(1) سورة : آل عمران . آية : ١٢١ .
(2) سورة : التوبة . آية : ٤٦ .
(3) سورة : القمر . آية : ٤٥ .
(4) سورة : المجادلة . آية : ١١ .
(5) سورة : المائدة . آية : ٣ .

﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[1] ؛ أحسن من « تامّة » ، فإنّ التمام من العدد قد عُلِم ؛ وإنما بقيَ احتمالُ نقص في صفاتها .

وقيل : « تَمَّ » يشعر بحصول نقص قبله ، و« كَمَل » لا يشعر بذلك ؛ ومن هذا قولُهُمْ : رجل كامل ، إذا جَمَعَ خصالَ الخير ، ورجل تامّ إذا كان غير ناقص الطول .

وقال العسكريّ : الكمال إسم لاجتماع أبعاض الموصوف به ، والتمام إسم للجزء الذي يتمّ به الموصوف ؛ ولهذا يقولون : القافية تمام البيت ، ولا يقولون كماله ، ويقولون : البيت بكماله .

ومن ذلك : الضياء والنور .

فائــــدة :

قال الجُوَيْنيّ : لا يكاد اللغويون يَفْرقون بين : الإعطاء ، والإتيان ، وظهرَ لي بينهما فَرق انبنى عليه بلاغةٌ في كتاب الله ، وهو : أنّ الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله ، لأنّ الإعطاء له مطاوع ، يقال : أعطاني فَعَطَوْتُ ، ولا يقال في الإتيان : أتاني فأتيت ، وإنما يقال : أتاني فأخذت ، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له ؛ لأنك تقول : قطعته فانقطع ، فيدلّ على أن فعل الفاعل كمان موقوفاً على قبول المحلّ ، لولاه لما ثبت المفعول ؛ ولهذا يصحّ : قطعته فما انقطع ، ولا يصحّ فيما لا مطاوع له ذلك ، فلا يجوز أن يقال : ضربتُه فانضرب أو ما انضرب ، ولا قتلته فانقتل أو ما انقتل ؛ لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحلّ ، والفاعل مستقلٌّ بالأفعال التي لا مطاوعَ لها ؛ فالإيتاء إذن أقوى من الإعطاء .

قال : وقد تفكّرت في مواضع من القرآن ، فوجدت ذلك مراعىً .

قال الله تعالى في المُلْك : ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾[2] ؛ لأن الملك

(١) سورة : البقرة . آية : ١٩٦ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ٢٦ .

شيء عظيم لا يُعطيه إلاّ مَنْ له قوة ؛ ولأنّ المِلك في المُلك أثبت من المِلك في المالك ؛ فإن الملِك لا يخرج الملك من يده ، وأما المالك فيخرجه بالبيع والهبة .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ ﴾(١) ؛ لأنّ الحكمة إذا ثبتتْ في المحل دامت .

وقال : ﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ ٱلْمَثَانِي ﴾(٢) ؛ لعظم القرآن وشأنه .

وقال : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾(٣) ؛ لأن النبيّ ﷺ وأمته يَرِدُون على الحوض ورود النازل على الماء ، ويرتحلون إلى منازل العزّ والأنهار الجارية في الجنان، والحوض للنبي ﷺ وأمته عند عطش الأكباد قبل الوصول إلى المقام الكريم ، فقال فيه : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ ؛ لأنه يترك ذلك عن قرب ، وينتقل إلى ما هو أعظم منه .

وقال : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾(٤) ؛ لأنّ من الأشياء ما له وجود في زمان واحد بلفظ الإعطاء .

وقال : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾(٥) ؛ لأنه تعالى بعدما يرضى النبيّ ﷺ يزيده ، وينتقل به من كلّ الرضا إلى أعظم ما كان يرجو منه ، لا بل حال أمته كذلك ، فقوله : ﴿ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾(٦) فيه بشارة .

وقال : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ﴾(٧) ؛ لأنها موقوفة على قبولٍ منّا ، وهم لا يُؤتون إيتاء عن طيب قلب ، وإنما هو عن كُرْه ، إشارةً إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوة ، لا يكون كإعطاء الجزية .

فانظر إلى هذه اللطيفة الموقفة على سرّ من أسرار الكتاب ! .

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٦٩ .
(٢) سورة : الحجر . آية : ٨٧ .
(٣) سورة : الكوثر . آية : ١ .
(٤) سورة : طه . آية : ٥٠ .
(٥) سورة : الضحى . آية : ٥ .
(٦) سورة : الضحى . آية : ٥ .
(٧) سورة : التوبة . آية : ٢٩ .

قاعـــدة

في التعريف والتنكير

اعلم أن لكل واحد منهما مقاماً لا يليق بالآخر :

فأمّا التعريف ، فله أسباب :

الأول : الإشارة إلى معهود خارجيّ .

كقوله تعالى : ﴿ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ . فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾(١) ، على قراءة الأعمش ، فإنه أشيرَ بالسَّحَرة إلى « ساحر » مذكور(٢) .

وقوله : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾(٣) .

وأغرب ابنُ الخشّاب فجعلَها للجنس ، فقال : لأنَّ مَنْ عَصَى رسولاً فقد عصى سائر الرسل .

ومنهم مَنْ لا يشترط تقدُّم ذكره ، وجعل منه قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ ٱلسُّفَهَاءُ ﴾(٤) ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنّ الناسَ الّذين آمنوا سفهاء .

وقوله : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ ﴾(٥) ؛ أي : الذَّكر الذي طلبتْه كالأنثى التي وُهِبَتْ لها ، وإنما جُعل هذا للخارجيّ لمعنى الذّكر في قولها :

(١) سورة : الشعراء . آية : ٣٧ ـ ٣٨ .
(٢) أنظر : إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ٣٣١ .
(٣) سورة : المزمل . آية : ١٥ ـ ١٦ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١٣ .
(٥) سورة : آل عمران . آية : ٣٦ .

﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً ﴾[1] .

ومعنى الأنثى في قولها : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾[2] .

الثاني : لمعهود ذهنيّ ، أي : في ذهن مخاطبك ، كقوله تعالى : ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾[3] ، ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[4] .

وإمّا حضوريّ ؛ نحو : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[5] ، فإنها نزلت يوم عرفة .

الثالث : الجنس ، وهي فيه على أقسام :

أحدُها: أنْ يقصد المبالغة في الخبر ، فيقصَرَ جنس المعنى على المخبر عنه ؛ نحو زيد الرجل ، أي الكامل في الرجولية . وجعل سيبويه صفاتِ الله تعالى كلّها من ذلك .

وثانيها : أن يَقْصره على وجه الحقيقة لا المبالغة ، ويسمى تعريف الماهية ، نحو :

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[7] ، أي جَعلْنا مبتدأ كل حيّ هذا الجنس ، الذي هو الماء .

وقال بعضهم : المراد بالحقيقة ثبوتُ الحقيقة الكليّة الموجودة في الخارجِ ، لا الشاملةُ لأفراد الجنس ، نحو : الرجلُ خير من المرأة ، لا يريدون امرأة بعينها ، وإنّما المراد : هذا الجنس خير من ذلك الجنس ؛ من حيث هو ، وإن كان يتفق[8] في بعض أفراد النساء مَنْ هو خير من بعض أفراد الرجال ، بسبب عوارض .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ٣٥ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ٣٦ .

(٣) سورة : التوبة . آية : ٤٠ .

(٤) سورة : الفتح . آية : ١٨ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٣ .

(٦) سورة : الأنعام . آية : ٨٩ .

(٧) سورة : الأنبياء . آية : ٣٠ .

(٨) في النسخة ب : « متفقاً » .

وهذا معنى قول ابن بَابْشَاذ : إنّ تعريف العهد لما ثبت في الأعيان، وتعريف الجنس لما ثبت في الأذهان ؛ لأن التفضيلَ في الجنس راجع إلى الصورتين الكلّيتين في الذهن ؛ إذ لا معنى للتفضيل في الصور الذهنية ، وإنما أضاف إلى الذهن لأنّ تلك الحقيقة التي ذكرناها ؛ وإن كانت موجودة في الخارج ؛ لاشتمال الأفراد الخارجية عليها ، لكنّها كلها مطابقة للصور الذهنية التي لتلك الحقيقة ، ولهذا تسمى الكلية الطبيعية .

الرابع : أن يقصد بها الحقيقة ، باعتبار كليّة ذلك المعنى ، وتعرف بأنها التي إذا نزعت حَسُن أن يخلفها « كلّ » وتُفيد معناها الذي وضعت له حقيقة ؛ ويلزم من ذلك الدلالة على شمول الأفراد ، وهي الاستغراقية ، ويظهر أثره في صحة الاستثناء منه ، مع كونه بلفظ الفرد ، نحوه : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[١] .

وفي صحة وصفه بالجمع نحو : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا ﴾[٢] .

قال صاحب « ضوء المصباح »[٣] : سواء أكان الشمول باعتبار الجنس ، كالرجل والمرأة ، أو باعتبار النوع كالسارق والسارقة ، ويُفْرَق بينهما ، بأن ما دخلت عليه من أجل فعله فيزول عنه الاسم بزوال الفعل ، فهي للنوع . وما دخلت عليه من أجل وصفه فلا يزول عنه الاسم أبداً .

هــذا كله إذا دخلت على مفــرد ، نحــو : ﴿ إِلَى عَــالِـمِ ٱلْغَـيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ﴾[٤] .

---

(١) سورة : العصر . آية : ٢ - ٣ .

(٢) سورة : النور . آية : ٣١ .

(٣) هو: محمد بن محمد بن أحمد، تاج الدين الأسفراييني: عالم بالنحو. توفي سنة ٦٨٤ هـ. من كتبه: «ضوء المصباح». في شرح المصباح للمطرزي، و «لباب الإعراب» و «لب الألباب» و «فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة» و «رسالة في الجملة الخبرية» و «شرح القصيدة الطنطرانية».

(أنظر : بروكلمان ٣٥٦/١ . وكشف الظنون ١٥٤٤ ، ١٧٠٨ . والأعلام ٣١/٧) .

(٤) سورة : التوبة . آية : ٩٤ .

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[1] .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾[2] .

خلافاً للإمام فخر الدين وَمَنْ تبعه في قولهم : إن المفرد المحلَّى بالألف واللام لا يعمّ ، ولنا الاستثناء في قوله تعالى :

﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا ﴾[3] .

وليس في قوله : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[4] دلالة على العموم ، كما زعم صاحب الكشاف .

فإن قلت : فإذا لم يكن السارق عامًّا ، فبماذا تقطع يد كل سارق من لدن سُرِق رداء صفوان إلى انقضاء العالم .

قيل : لأن المرادَ منه الجنس ؛ أي نفس الحقيقة : والمعنى أنَّ المتصفَ بصفة السَّرِقة تقطع يده ، وهو صادق على كل سارق ؛ لأن الحقيقة كما توجد مع الواحد توجد مع المتعدّد أيضاً ؛ فإنْ دخلت على جَمْع .

فاختلف العلماء : هل سلبه معنى الجمع ، ويصير للجنس ويحمل على أقلّه ، وهو الواحد لئلا يجتمع على الكلمة عمومان ؟ أو معنى الجمع باقٍ معها ؟

مذهب الحنفية الأوّل ، وقضية مذهبنا الثاني . ولهذا اشترطوا ثلاثة من كل صِنْف في الزكاة إلا العاملين . ويلزم الحنفيَّةَ ألّا يصح منه الاستثناء ولا يخصصه ، وقد قال تعالى :

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾[5] .

وقال : ﴿ فَاقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ ﴾[6] .

---

(١) سورة : النساء . آية : ٢٨ .
(٢) سورة : العصر . آية : ٢ ، ٣ .
(٣) سورة : النور . آية : ٣١ .
(٤) سورة : المائدة . آية : ٣٨ .
(٥) سورة : الحجر . آية : ٣٠ ـ ٣١ .
(٦) سورة : التوبة . آية : ٥ ـ ٢٩ .

وقد حَققتُه في باب العموم من « بحر الأصول »(١) .

ثم الأكثر في نعتها وغيرها موافقة اللفظ ، كقوله تعالى :

﴿ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَىٰ . ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَىٰ . ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾(٣) .

وتجيء موافقة معنىً لا لفظاً على قلة ، كقوله : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ ﴾ .

وأما التنكير ، فله أسباب :

الأول : إرادة الوحدة ، نحو : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾(٤) .

الثاني : إرادة النوع ، كقوله : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾(٥) أي : نوع من الذِّكر .

﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾(٦) ؛ وهي التعامي عن آيات الله الظاهرة لكلِّ مبصر ؛ ويجوز أن يكون للتعظيم وجرياً في قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾(٧) .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾(٨) ؛ لأنهم لم يحرصوا على أصل الحياة حتى تعرف ، بل على الازدياد من نوع ؛ وإن كان الزائدُ أقلَّ شيء ينطلق عليه اسم الحياة .

---

(١) هو كتاب « البحر المحيط » في أصول الفقه للمؤلف ، منه عدة نسخ خطية في دار الكتب المصرية .

(٢) سورة : النساء . آية : ٣٦ .

(٣) سورة : الليل . آية : ١٥ ـ ١٨ .

(٤) سورة : القصص . آية : ٢٠ .

(٥) سورة : ص. آية : ٤٩ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٧ .

(٧) سورة : النور . آية : ٤٥ .

(٨) سورة : البقرة . آية : ٩٦ .

الثالث : التعظيم كقوله تعالى : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(١) ؛ أي : بحرب وأيّ حرب .

وكقوله : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(٢) ، أي : لا يُوقف على حقيقته .

وجعل منه السّكّاكي قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ ﴾(٣) ، والظاهر من قول الزمخشري خلافه ؛ وهذا لم يصرّح بأن العذاب لاحقٌ به ، بل قال : ﴿ يمسّك ﴾ ، وذكر الخوف وذكر اسم الرحمٰن ؛ ولم يقل : « المنتقم » ، وذلك يدل على أنه لم يرد التعظيم .

وقوله : ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾(٤) .

فإن قلت : لِمَ لم ينكّر « الأنهار » في قوله : ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾(٥) ؟

قلت : لا غرضَ في عظم الأنهار وسعتها ، بخلاف الجنات .

ومنه : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾(٦) .

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴾(٧) .

وإنما لم ينكر « سلام عيسى » في قوله : ﴿ وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ﴾(٨)؛ فإنه في قصة دعائه ، الرّمز إلى ما اشتق منه إسم الله تعالى ، والسلام: إسم من أسمائه ، مشتق من السلامة ، وكلّ إسم ناديته به متعرض لما يشتق منه ذلك الاسم ؛ نحو : يا غفور يا رحيم .

الرابع : التكثير ؛ نحو « إنَّ له لإبلا » ، وجعل منه الزمخشريّ قوله

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٧٩ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٠ .
(٣) سورة : مريم . آية : ٤٥ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .
(٦) سورة : الصافات . آية : ١٠٩ .
(٧) سورة : مريم . آية : ٤ .
(٨) سورة : مريم . آية : ٣٣ .

تعالى: ﴿ إِنَّ لَنَا لأَجْراً ﴾[1] ، أي : أجراً وافراً جزيلاً ، ليقابل المأجور عنه من الغلبة على مثل موسى عليه السلام ؛ فإنه لا يقابل الغلبة عليه بأجر ؛ إلا وهو عديم النظير في الكثرة .

وقد أفاد التكثير والتعظيم معاً قولُه تعالى : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ ﴾[2] ؛ أي : رسل عظام ذوو عدد كثير ، وذلك لأنه وقع عوضاً عن قوله : « فلا تحزن وتصبّر » ، وهو يدلّ على عِظَم الأمر وتكاثر العدد .

الخامس : التحقير ، كقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾[3] .

قال الزمخشري[4] : أيْ : من شيء حقير مهين ، ثم بينه بقوله ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾[5] .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا ﴾[6] ، أي : لا يعبأ به ، وإلا لاتّبعوه ، لأن ذلك ديدنهم ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ ﴾[7] .

السادس : التقليل ، كقوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[8] ؛ أي : رضوان قليل من بحار رضوان الله الَّذِي لا يتناهى ، أكبر من الجنات ؛ لأن رضا المولى رأس كل سعادة .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾[9]؛ إذ المعنى أنه يحصل فيه أصل الشفاء في جملة صور ، ويجوز أن يكون للتعظيم .

وعدّ صاحب الكشاف منه : ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾[10]، أي : بَعْض الليل .

وفيه نظر ؛ لأن التقليل عبارة عن تقليل الجنْس إلى فرد من أفـراده

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١١٣ .
(٢) سورة : فاطر . آية : ٤ .
(٣) سورة : عبس . آية : ١٨ ـ ١٩ .
(٤) أنظر : الكشاف للزمخشري ٥٦٢/٤ .
(٥) سورة : عبس . آية : ١٨ ـ ١٩ .
(٦) سورة : الجاثية . آية : ٣٢ .
(٧) سورة : النجم . آية : ٢٣ .
(٨) سورة : التوبة . آية : ٧٢ .
(٩) سورة : النحل . آية : ٦٩ .
(١٠) سورة : الإسراء . آية : ١ .

لا يبعض فرد إلى جزء من أجزائه .

تنبيـــه :

هذه الأمور إنما تعلم من القرائن والسياق ، كما فهم التعظيم في قوله تعالى : ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ ؛ من قوله بعده : ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾[1] .

وكما فُهِم التحقير من قوله : ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ؛ من قوله بعده :

---

(١) سورة : المرسلات . آية : ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ .

(٢) سورة : عبس . آية : ١٨ ـ ١٩ .

قاعـــدة

إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال ؛ لأنه إما أن يكونا معرفتين ، أو نكرتين ؛ أو الثاني معرفة والأول نكرة ، أو عكسه .

فالأول : أن يكونا معرفتين :

والثاني فيه هو الأول غالباً ، حملاً له على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة ، كـ « العسر » في قوله :

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً ﴾(١) .

ولذلك ورد : « لن يغلب عُسْر يسرين »(٢) .

قال التَّنوخيّ : إنما كان مع العسر واحداً ؛ لأنّ للاّم طبيعة لا ثانيَ لها ، بمعنى أن الجنس هي ، والكليّ لا يوصف بوحدة ولا تعدد .

وقـوله : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَـهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبـاً وَلَقَـدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّـةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾(٤) .

---

(١) سورة : الانشراح . آية : ٥ ـ ٦ .

(٢) أنظر الحديث في : المستدرك ٥٢٨/٢ . وكنز العمال ٢٩٤٦ . وفتح الباري ٧١٢/٧ . والطبري ١٥١/٣٠ . والقرطبي ١٠٧/٢٠ ، كشف الخفا ٢٠٧٩ . والدرر المنتثرة ٣٤٥ . والجامع الصغير ٧٣٩٢ . والتذكرة للزركشي ص ١٢٩ .

(٣) سورة : الصافات . آية : ١٥٨ .

(٤) سورة : الزمر . آية : ٢ ، ٣ .

وقوله : ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ . ٱلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ ٱلَّذِينَ ﴾[5] .

وهذه القاعدة ليست مطّردة ، وهي منقوضة بآيات كثيرة .

كقوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ ﴾[6] ، فإنهما معرفتان وهما غَيْران ؛ فإنّ الأول هو العمل ، والثاني الثواب .

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[7] أي : القاتلة والمقتولة .

وقوله : ﴿ ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ ﴾[8] .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ ﴾[9] .

وقوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ ﴾[10] .

وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[11] .

---

(١) سورة : غافر . آية : ٩ .
(٢) سورة : غافر . آية : ١٦ ، ١٧ .
(٣) سورة : غافر . آية : ٥٧ .
(٤) سورة : فصلت . آية : ٣٧ .
(٥) سورة : الفاتحة . آية : ٦ ، ٧ .
(٦) سورة : الرحمٰن . آية : ٦٠ .
(٧) سورة : المائدة . آية : ٤٥ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ١٧٨ .
(٩) سورة : الإنسان . آية : ١ ، ٢
(١٠) سورة : الإنسان . آية : ١ - ٢ .
(١١) سورة : المئدة . آية : ٤٨ .

وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ فَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (٢) .

فالمُلْك الذي يؤتيه الله للعبد لا يمكن أن يكون نفس مُلْكه ، فقد اختلفا وهما معرفتان ، لكن يصدُق أنّه إياه باعتبار الاشتراك في الاسم ، كما صرح بنحوه في قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٣) .

فقد أعاد الضمير في المنفصل المستغرق باعتبار أصل الفضل .

ونظيرها قوله تعالى : ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ (٥) .

فالأول عام ، والثاني خاص .

وقوله : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٧) .

وقوله : ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (٨) .

فالأول نصب على القسم ، والثاني نصب بـ « أقول » .

وهذا بخلاف قوله: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (٩) .

(١) سورة : العنكبوت . آية : ٤٧ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ٢٦ ـ ٧٣ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ٢٦ ـ ٧٣ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١٣٩ .
(٥) سورة : سبإ. آية : ٩ .
(٦) سورة : غافر . آية : ٥٧ .
(٧) سورة : غافر . آية : ٦١ .
(٨) سورة : صٓ. آية : ٨٤ .
(٩) سورة : الإسراء . آية : ١٠٥ .

وأما قوله : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1] ؛ فالأولى معرفة بالضمير ، والثانية عامة ، والأولى خاصة ، فالأول داخل في الثاني .

وكذا قوله : ﴿ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ ٱلسَّمٰوَاتِ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[5] .

وقوله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[6] ، فهما وإن اختلفا يكون الأول خاصًا ، والثاني عاماً متفقان بالجنس .

وكذلك : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً ﴾[7] ، ولذلك استبدل بها على أن الأصل إلغاء الظنّ مطلقاً .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَاءٍ ﴾ بعد قوله : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا ﴾[8] ؛ فيحتمل أن تكون الأولى هي الثانية وألّا تكون .

ونظيرها قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[9] .

فإن كانت « إحداهما » الثانية مفعولاً ، فالاسم الأول هو الثاني على قاعدة المعرفتين ، هو إن كانت فاعلاً فهما واحد باعتبار الجنس . وأكثر النحاة على أن الإعراب إذا لم يظهر في واحد من الاسمين تعيّن كون الأول فاعلاً ، خلافاً لما قاله الزجاج في قوله تعالى :

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٥٣ .

(٢) سورة : صَ . آية : ٢٦ .

(٣) سورة : الشعراء . آية : ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) سورة : غافر . آية : ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) سورة : الفتح . آية : ٢٣ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ١٨٥ .

(٧) سورة : النجم . آية : ٢٨ .

(٨) سورة : القصص . آية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٩) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .

﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾(1) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾(2) ، فالكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم ، ثم كرره بقوله :

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾(3) .

والكتاب الثاني : التوراة ، والثالث : جنس كتب الله تعالى ، أي ما هو من شيء في كتب الله تعالى وكلامه ، قاله الراغب(4) .

الثاني : أن يكونا نكرتين .

فالثاني غير الأول ، وإلّا لكان المناسب هو التعريف ؛ بناءً على كونه معهوداً سابقاً . قالوا : والمعنى في هذا والذي قبله أن النكرة تستغرق الجنس ، والمعرفة تتناول البعض ؛ فيكون داخلاً في الكلّ ، سواء قدم أو أخّر .

والمشهور في تمثيل هذا القسم « اليسر » : في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾(5) .

وقد قيل : إن تنكير « يسراً » للتعميم ، وتعريف « اليسر » للعهد الذي كانوا عليه ، يؤكده سبب النزول ، أو الجنس الذي يعرفه كل أحد ، ليكون « اليسر » الثاني مغايراً للأول ، بخلاف العسر .

والتحقيق : أن الجملة الثانية هنا تأكيد للأولى لتقديرها في النفس ، وتمكينها من القلب ، ولأنها تكرير صريح لها ، ولا تدل على تعدد اليسر ، كما لا يدل قولنا : إن مع زيد كتاباً ، إن مع زيد كتاباً ، على أن معه كتابين ، فالأصح أن هذا تأكيد .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ . . . ﴾(6) الآية ؛ فإنّ كلا

(1) سورة : الأنبياء . آية : 15 .
(2) سورة : آل عمران . آية : 78 .
(3) سورة : البقرة . آية : 79 .
(4) أنظر : المفردات للراغب ، ص 437 .
(5) سورة : الشرح . آية : 5 ، 6 .
(6) سورة : الروم . آية : 54 .

من المذكور غير الآخر ، فالضعف الأول : النطفة أو التراب ، والثاني : الضعف الموجود في الطفل والجنين ، والثالث : في الشيخوخة . والقوة الأولى التي تجعل للطفل حركة وهداية لاستدعاء اللبن ، والدفع عن نفسه بالبكاء ، والثانية بعد البلوغ .

قال ابن الحاجب في قوله تعالى : ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[1] :

الفائدة في إعادة لفظ « شهر » الإعلام بمقدار زمن الغدوّ وزمن الرواح ، والألفاظ التي تأتي مبيّنة للمقادير لا يحسنُ فيها الإضمار .

واعلم أنه ينبغي أن يأتي في هذا القِسْم الخلاف الأصوليّ ، في نحو : « صلّ ركعتين ، صلّ ركعتين » هل يكون أمرين بمأمورين والثاني تأسيس ، أولاً ؟ وفيه قولان .

وقد نقضوا هذا القسم بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[2] فإن فيه نكرتين ؛ والثاني هو الأول . وأجاب الطِّيْبي ، بأنه من باب التكرير وإناطة أمر زائد .

وهذه القاعدة فيما إذا لم يقصد التكرير ، وهذه الآية من قصد التكرير .

ويدلّ عليه تكرير ذكر الرب فيما قبله من قوله : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ ﴾[3] .

وأجاب غيره بأنّ « إله » بمعنى معبود ، والاسم المشتق إنما يقصد به ما تضمّنه من الصفة ، فأنت إذا قلت : زيد ضارب عمرو ، ضارب بكر ، لا يُتخيل أن الثّاني هو الأول ، وإن أخبر بهما عن ذات واحدة ؛ فإن المذكور حقيقة إنما هو المضروبان لا الضاربان ، ولا شكّ أن الضميرين مختلفان .

---

(1) سورة : سبإ . آية : ١٢ .
(2) سورة : الزخرف . آية : ٨٤ .
(3) سورة : الزخرف . آية : ٨٢ .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾(1) الثاني هو الأول .

وأجيب بأنَّ أحدهما محكيٌّ من كلام السائل ، والثاني من كلام النبيِّ ﷺ ؛ وإنَّما الكلامُ في وقوعهما من متكلِّم واحد .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾(2) .

ومنها : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾(3) .

ومنها : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً . . . ﴾(4) .

الثالث : أن يكون الأول نكرة والثاني معرفة .

فهو كالقسم الأول ، يكون الثاني فيه هو الأول :

كقوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾(5) .

وقوله : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾(6) .

وقوله : ﴿ وَلَمَنِ ٱنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾(7) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ ٱللَّهِ ﴾(8) .

وهذا منتقض بقوله : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَٱبْتَغُوا عِنْدَ ٱللَّهِ

---

(1) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ .
(2) سورة : البقرة . آية : ٩٠ .
(3) سورة : الملك . آية : ٨ ، ٩ .
(4) سورة : الأنعام . آية : ٣٧ .
(5) سورة : المزمل . آية : ١٥ ، ١٦ .
(6) سورة : النور . آية : ٣٥ .
(7) سورة : الشورى . آية : ٤١ ، ٥٢ .
(8) سورة : الشورى . آية : ٤١ ، ٥٢ .

آلرِّزْقَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[2] ، فإنهم استدلوا بها على استحباب كلّ صلح ، فالأول داخل في الثاني وليس بجنسه .

وكذلك : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾[4] ، الفضل الأول : العمل ، والثاني : الثواب .

وكذلك : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾[5] .

وكذلك : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[6] .

وكذلك : ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾[7] تعريفه إن المزيد غير المزيد عليه .

وكذلك : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾[8] .

وقوله : ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَابُ ﴾[9] .

الرابع : عكسه فلا يطلق القول به بل يتوقف على القرائن .

فتارة تقوم قرينة على التغاير :

كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[10].

---

(1) سورة : العنكبوت . آية : ١٧ .
(2) سورة : النساء . آية : ١٢٨ .
(3) سورة : يونس . آية : ٣٦ .
(4) سورة : هود . آية : ٣ ، ٥٢ .
(5) سورة : هود . آية : ٣ ، ٥٢ .
(6) سورة : الفتح . آية : ٤ .
(7) سورة : النحل . آية : ٨٨ .
(8) سورة : إبراهيم . آية : ١ .
(9) سورة : الأنعام . آية : ١٥٧ .
(10) سورة : الروم . آية : ٥٥ .

وكذلك قوله : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ . هُدًى ﴾[2] .

قال الزمخشري : المراد بالهدى : جميع ما آتاه من الدين ، والمعجزات ، والشرائع ، والهدى والإرشاد .

وتارة تقوم قرينة على الاتحاد .

كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآناً . عَرَبِيًّا ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً ﴾[4] .

وأما قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[5] .

وقوله أيضاً : ﴿ مِنْ مَعْرُوفٍ ﴾[6] فهو من إعادة النكرة معرفة ، لأن ﴿ من معروف ﴾ وإن كان في التلاوة متأخراً عن ﴿ بالمعروف ﴾ ، فهو في الإنزال متقدم عليه .

---

(1) سورة : النساء . آية : ١٥٣ .
(2) سورة : غافر . آية : ٥٣ ـ ٥٤ .
(3) سورة : الزمر . آية : ٢٧ ـ ٢٨ .
(4) سورة : الأحقاف . آية : ٢٩ ـ ٣٠ .
(5) سورة : البقرة . آية : ١٧٨ .
(6) سورة : البقرة . آية : ٢٤٠ .

قواعد تتعلق بالعطف

١ **القاعدة الأولى :**

ينقسم باعتبارٍ إلى عطف المفرد على مثله ، وعطف الجمل .

فأمّا عطف المفرد : ففائدته تحصيل مشاركة الثاني للأوّل في الاعراب ، ليُعلَم أنّه مثل الأول في فاعليته أو مفعوليته ؛ ليتّصل الكلام بعضُه ببعض ، أو حكمٍ خاصّ دون غيره ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[1] .

فمن قرأ بالنصب عطفاً على « الوجوه » كانت « الأرجل » مغسولة ، ومن قرأ بالجر عطفاً على « الرءوس » كانت ممسوحة ، لكن خولف ذلك لعارض يرجّح .

ولا بدّ في هذا من ملاحظة المشاكلة بين المتعاطفين ، فتقول : جاءني زيد وعمرو ، لأنهما معرفتان ، ولو قلت : جاء زيد ورجل ، لم يستقِم لكون المعطوف نكرة ، نعم إنْ تخصّص فقلت : ورجل آخر ، جاز .

ولذا قال صاحب «المستوفي» من النحويين :

وأما عطف الجملة ، فإن كانت الأولى لا محلّ لها من الإعراب فكما سبق ، لأنّها تحلّ محلّ المفرد ؛ نحو : مررت برجلٍ خَلْقُه حسن ، وخُلُقه

(١) سورة : المائدة . آية : ٦ .

قبيح . وإن كان لا محلّ لها ، نحو : زيد أخوك وعمرو صاحبك ، ففائدة العطف الاشتراك في مقتضى الحرف العاطف ، فإن كان العطف بغير الواو ظهر له فائدة من التعقيب كالفاء ، أو الترتيب كـ « ثم » ، أو نفي الحكم عن الباقي كـ « لا » . وأمّا الواو فلا تفيد شيئاً هنا غير المشاركة في الإعراب .

وقيل : بل تفيد أنهما كالنظيرين والشريكين ؛ بحيث إذا عَلِم السامع حال الأول عَساه أن يعرف حال الثاني .

ومن ثَمّةَ صار بعض الأصوليين إلى أن القِران في اللفظ يوجب القِران في الحكم ، ومن ها هنا شرط البيانيون التناسبَ بين الجمل لتظهر الفائدة ، حتى إنهم منعوا عطف الإنشاء على الخبر وعكسه .

ونقله الصَّفّار في شرح سيبويه عن سيبويه ؛ ألا ترى إلى قوله : يقبح عندهم أن يُدخلوا الكلام الواجب في موضع المنفيّ ، فيصيروا قد ضمّوا إلى الأول ما ليس بمعناه . انتهى .

ولهذا منع الناس من « الواو » ؛ في « بسم الله الرحمٰن الرحيم وصلّى الله على محمد » ، لأن الأولى خبرية والثانية طلبية ، وجوّزه ابنُ الطَّراوة ؛ لأنهما يجتمعان في التبرّك .

وخالفهم كثيرٌ من النحويين ، كابن خروف ، والصَّفّار ، وابن عمرو ، وقالوا : يُعطف الأمر على الخبر ، والنهي على الأمر والخبر .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(١) .

فعطف خبراً على جملة شرط ، وجملة الشرط على الأمر .

وقال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٦٧ .

(٢) سورة : يونس . آية : ٧٢ .

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١) ، فعطف نهياً على خبر .

ومثله : ﴿ يَا بُنَيَّ ٱرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾(٢) .

قالوا : وتعطف الجملة على الجملة ، ولا اشتراكَ بينهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾(٣) ، على قولنا بالوقف على « الله » وأنه سبحانه اختصّ به .

وقال : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾(٤) فإنّه عِلّة تامة بخبرها ، فلا يوجب العطف المشاركة فيما تتمّ به الجملتان الأوليان ، وهو الشرط الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا ﴾(٥) :

كقولك : إن دخلتِ الدار فأنت طالق ، وفلانة طالق ، لا يَتعلّق طلاق الثانية بالشرط .

وعلى هذا يختصّ الاستثناء به ولا يرجع لما تقدمه ، ويبقى المحدود في القذف غير مقبول الشهادة بعد التوبة كما كان قبلها .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ ﴾(٦) ؛ فإنه علّة تامة معطوفة على ما قبلها ، غير داخل تحت الشرط . ولو دخلت كان ختمُ القلب ومحوُ الباطل متعلقيْن بالشرط ، والمتعلّق بالشرط معدوم قبل وجوده ، وقد عدم ختم القلب وَوُجِد محو الباطل ، فعلمنا أنه خارج عن الشرط ، وإنما سقطت الواو في الخطّ ، واللفظ ليس للجزم ، بل سقوطه من اللفظ لالتقاء الساكنين ، وفي الخطّ اتباعاً للفظ ، كسقوطه في قوله تعالى :

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنْسَانُ ﴾(٧) .

(١) سورة : يونس . آية : ١٠٥ .
(٢) سورة : هود . آية : ٤٢ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ٧ .
(٤) سورة : النور . آية : ٤ .
(٥) سورة : النور . آية : ٤ .
(٦) سورة : الشورى . آية : ٢٤ .
(٧) سورة : الإسراء . آية : ١١ .

وقوله : ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[1] .

ولهذا وقف عليه يعقوب بالواو نظراً للأصل ؛ وإن وَقَف عليه غيرُهُ بغير واو اتّباعاً للخط .

والدليل على أنّها ابتداء إعادة الاسم في قوله : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ﴾[2] ولو كانت معطوفة على ما قبلها لقيل « ويُمْحَ الباطل » .

ومثله : ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوىٰ ﴾[5] ، وغير ذلك .

قلت : وَكثيرٌ من هذا لا يَرِدُ عليهم ؛ فإنّ كلامَهم في الواو العاطفة .

وأما ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾[6] وما بعده فهي للاستئناف ؛ إذ لو كانت للعطف لانتصب « نقرّ » ، وجزم و« يتوب » . وكذلك في ﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ ﴾[7] للاستئناف ، ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ﴾[8] .

وقال البيانيون : للجملة ثلاثة أحوال :

فالأول : أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف ، والتأكيد من المؤكّد ، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج ؛ كقوله تعالى :

﴿ الٓمٓ . ذٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[9] .

وقوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[10] مع قوله : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[11] .

---

(١) سورة : العلق . آية : ١٧ .
(٢) سورة : الشورى . آية : ٢٤ .
(٣) سورة : الحج . آية : ٥ .
(٤) سورة : التوبة . آية : ١٥ .
(٥) سورة : الأعراف . آية : ٢٦ .
(٦) سورة : الحج . آية : ٥ .
(٧) سورة : آل عمران . آية : ٧ .
(٨) سورة : الشورى . آية : ٢٤ .
(٩) سورة : البقرة . آية : ١ ، ٢ .
(١٠) سورة : البقرة . آية : ٧ .
(١١) سورة : البقرة . آية : ٦ .

وكذلك : ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[1] مع قوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ؛ فإن المخادعة ليست شيئاً غير قولهم : ﴿ آمَنَّا ﴾ من غير اتصافهم .

وقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إنما نحنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[3] ؛ وذلك لأن معنى قولهم ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أنّا لم نؤمن ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا نحن مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ خبر لهذا المعنى بعينه .

وقوله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً ﴾[4] .

وقوله : ﴿ مَا هٰذَا بَشَراً إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[5] ؛ فإن كونه « ملكاً » ينفي كونه « بشراً » ؛ فهي مؤكدة للأولى .

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[7] .

وقوله : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[8] ؛ فإنها مؤكدة لقوله : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[9] ؛ فإنها بيان للأمر بالصلاة .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾[10]؛ بعد قوله : ﴿ إِنَّ هٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[3] ؛ إذا جعلت ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ خبراً ؛ إذ الخبر لا يعطف على المبتدأ .

---

(1) سورة : البقرة . آية : ٩ .

(2) سورة : البقرة . آية : ٨ .

(3) سورة : البقرة . آية : ١٤ .

(4) سورة : لقمان . آية : ٧ .

(5) سورة : يوسف . آية : ٣١ .

(6) سورة : يس. آية : ٦٩ .

(7) سورة : النجم . آية : ٣ ، ٤ .

(8) سورة : الحج . آية : ١ .

(9) سورة : التوبة . آية : ١٠٣ .

(10) سورة : الدخان . آية : ٥١ .

(11) سورة : الدخان . آية : ٥٠ .

(12) سورة : الكهف . آية : ٣٠ .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[1] ؛ بعد قوله : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾[2] .

والثانية : أنْ يغايرَ ما قبلها ، وليس بينها نوع ارتباط بوجه ، فلا عطف أيضاً ؛ إذْ شرط العطف المشاكلة ؛ وهو مفقود ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾[3] بعد قوله : ﴿ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

فإن قيل : إذا كان حكم هذه الحالة والتي قبلها واحداً أدّى إلى الإلباس ؛ فإنّه إذا لم يعطفْ التبس حالة المطابقة بحالة المغايرة ؛ وهلا عطفت الحالة الأولى بالحالة الثانية ؟ فإنّ ترك العطف يُوهم المطابقة ، والعطف يُوهم عدمها ، فلم اختير الأول دون الثاني ؛ مع أنه لم يخل عن إلباس ؟

قيل : العاطف يوهم الملابسة بوجه قريب أو بعيد ، بخلاف سقوط العاطف ؛ فإنّه وإنْ أوهم المطابقة ؛ إلا أن أمرَه واضح ؛ فبأدنى نظر يعلم ، فزال الإلباس .

الحال الثالثة : أن يغاير ما قبلها ؛ لكن بينهما نوع ارتباط ، وهذه هي التي يتوسطها العاطف ؛ كقوله :

﴿ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6] .

فإن قلت : لم سقط العطف من ﴿ أُولَٰٓئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[7] ، ولم يسقط من ﴿ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[8] ؟

قلت : لأن الغفلة شأن الأنعام ؛ فالجملة الثانية كأنها هي الجملة الأولى .

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ١٠١ .
(٢) سورة : الأنبياء . آية : ١٠٠ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٦ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٥ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٥ .
(٦) سورة : الرعد . آية : ٥ .
(٧) سورة : الأعراف . آية : ١٧٩ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ٥ .

فإن قلت : لم سقط في قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ ﴾[1] ؟

قلت : لأن الثانية كالمسئول عنها ، فنُزِّل تقديرُ السؤال منزلة صريحِهِ .

الحال الرابعة: أن يكون بتقدير الاستئناف ، كأنّ قائلاً قال : لم كان كذا ؟ فقيل : كذا ؛ فها هنا لا عطف أيضاً ، كقوله تعالى :

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا : يَا أَبَانَا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ لِفِرْعَوْنَ قَالُوا أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً ﴾[3] ، التقدير : فما قالوا أو فعلوا ؟ فأجيب هذا التقدير بقوله : « قالوا » .

٢ ـ **القاعدة الثانية**:

ينقسم باعتبار عطف الاسم على مثله ، والفعل على الفعل إلى أقسام :

الأول : عطف الاسم على الاسم ، وشرط ابن عَمْرون ، وصاحبه ابنُ مالك فيه : أن يصحّ أن يُسند أحدُهما إلى ما أسند إلى الآخر ؛ ولهذا منع أن يكون : ﴿ وَزَوْجُكَ ﴾ في ﴿ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ﴾[4] ، معطوفاً على الضمير المستكنّ في « أنت » ، وجعله من عطف الجمل ؛ بمعنى أنه مرفوع بفعل محذوف ، أي ولتسكن زوجك .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى ﴾[5] ؛ لأن من حقّ المعطوف حلوله محلّ المعطوف عليه ، ولا يصحّ حلول « زوجك » ، محلّ الضمير ، لأن فاعل فعل الأمر الواحد المذكر ، نحو « قم » ، لا يكون إلّا ضميراً مستتراً ، فكيف يصحّ وقوع الظاهر موقع المضمر الذي قبله .

وردّ عليه الشيخ أثير الدين أبو حيان ، فأنّه : لا خلاف في صحة « تقوم هند وزيد » ، ولا يصح مباشرةُ « زيد » لـ « تقوم » لتأنيثه .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ١٥ .

(٢) سورة : يوسف . آية : ١٦ ، ١٧ .

(٣) سورة : الشعراء . آية : ٤١ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٣٥ .

وسورة : الأعراف . آية : ١٩ .

(٥) سورة : طه ، آية : ٥٨ .

الثاني : عطف الفعل على الفعل .

قال ابن عمرون وغيره : يشترط فيه اتفاق زمانهما ؛ فإن خالف رُدّ إلى الاتفاق بالتأويل ، لا سيّما إذا كان لا يُلبس ، وكانت مغايرة الصيغ اتساعاً .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ ﴾[1] ، فعطف الماضي على المضارع ؛ لأنها من صلة « الذين » ، وهو يضارع الشرط لإيهامه ، والماضي في الشَّرط في حكم المستقبل ض فقد تغايرت الصيغ في هذا كما ترى ، واللبس مأمون ؛ ولا نظر في الجمل إلى اتفاق المعاني ؛ لأنّ كلّ جملة مستقلة بنفسها . انتهى .

ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ ﴾[2] .

ثم قال : ﴿ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً ﴾[3].

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾[4] .

وقال صاحب « المستوفى » : لا يتمشّى عطفُ الفِعْل على الفعل إلا في المضارع ؛ منصوباً كان ، كقوله تعالى :

﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً ﴾[5] ، أو مجزوماً كقوله :

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[6] .

فإن قيل : كيف حكمتُم بأنَّ العاطف مختصّ بالمضارع ، وهم يقولون : قام زيد ، وقعد بكْر ؛ وعلى هذا قوله تعالى :

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٧٠ .
(٢) سورة : الفرقان . آية : ١٠ .
(٣) سورة : الفرقان . آية : ١٠ .
(٤) سورة : الكهف . آية : ٤٧ .
(٥) سورة : المدثر . آية : ٣١ .
(٦) سورة : نوح . آية : ٤ .

أَمْرِنَا رَشَداً ﴾[1] .

فيه عطف الماضي على الماضي ، وعطف الدعاء على الدعاء .

فالجوابُ : أن المراد بالعطف هنا أن تكون لفظتان ، تتبع الثانية منهما الأولى في إعرابها ، وإذا كانت اللفظة غير معربة ، فكيف يصح فيها التبعية ؟

فصحّ أن هذه الألفاظ لا يصح أن يقال : إنها معطوفة على ما قبلها العطف الذي نقصده الآن .

وإنْ صحّ أنْ يقال معطوفة العطف الذي ليس للإتباع ، بل يكون عطف الجملة على الجملة من حيث هما جملتان ؛ والجملة من حيث هي لا مدخل لها في الإعراب ؛ إلا أن تحلّ محل الفرد ؛ وظهر أنّه يصحّ وقوع العطف عليه وعدمه باعتبارين .

الثالث : عطف الفعل على الاسم ، والاسم على الفعل ، وقد اختلف فيه ؛ فمنهم مَنْ منعه ؛ والصحيح الجواز إذا كان الاسم مقدَّراً بالفعل ، كقوله تعالى :

﴿ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ ﴾[3] .

واحتجّ الزمخشري بهذا على أن اسم الفاعل حمله على معنى المصّدقين الذين تصدقوا .

قال ابن عمرون : ويدلّ لعطف الاسمية على الفعلية قولُه تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] فعطف ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[5] وهي جملة اسمية على ﴿ فَاخْتَلَفَ ﴾ ، وهي فعلية ، بالفاء .

---

(1) سورة : الكهف . آية : ١٠ .
(2) سورة : الملك . آية : ١٩ .
(3) سورة : الحديد . آية : ١٨ .
(4) سورة : مريم . آية : ٣٧ .
(5) سورة : مريم . آية : ٣٧ .

وقال تعالى : ﴿ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ . فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾[٢] .

قال : وإذن جاز عطف الاسمية على الفعلية بـ « أم » في قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾[٣] إذاً لوضع للمعادلة .

وقيل : إنه أوْقع الاسمية موقع الفعلية ، نظراً إلى المعنى : « أصمتّم » فما المانع هنا ؟

وجعل ابن مالك قوله تعالى : ﴿ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[٤] عطفاً على ﴿ يُخْرِجُ ﴾ لأن الاسم في تأويل الفعل .

والتحقيق : ما قاله الزمخشري أنه عطف على : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَى ﴾[٥] ، ولا يصحّ أن يكون عطفاً على ﴿ يُخْرِجُ ﴾ ، لأنّه ليس تفسيراً لقوله : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ ﴾ ، فيعطف على تفسيره ، بل هو قسيم له .

القاعدة الثالثة :

ينقسم باعتبار المعطوف إلى أقسام :

عطف على اللفظ ، وعطف على الموضع ، وعطف على التوهم .

فالأوّل : أن يكون باعتبار عمل موجود في المعطوف عليه ؛ فهو العطف على اللفظ ، نحو : ليس زيد بقائم ولا ذاهب ، وهو الأصل .

والثاني : أن يكونَ باعتبار عملٍ لم يوجد في المعطوف ؛ إلا أنه مقدّر الوجود لوجود طالبه ؛ فهو العطف على الموضع ، نحو ، ليس زيد بقائم ولا ذاهباً ؛ بنصب « ذاهباً » عطفاً على موضع « قائم » لأنه خبر ليس .

---

(١) سورة : التوبة. آية : ٨٧ .
(٢) سورة : الحاقة . آية : ١٨ ، ١٩ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٩٣ .
(٤) سورة : الأنعام . آية : ٩٥ .
(٥) سورة : الأنعام . آية : ٩٥ .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[1] ؛ بأن يكون « يوم القيامة » معطوفاً على محلّ « هذه » . ذكره الفارسي .

وقوله : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2] ؛ في قراءة الجزم أنه بالعطف على محل ﴿ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾ .

وجعل الزمخشري ، وأبو البقاء[3] منه : قوله تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ ﴾[4] ، إن « بُشْرَى » في محل نصب بالعطف على محل « لينذر » لأنه مفعول له .

وغلطا في ذلك ؛ لأن شرطه في ذلك أن يكون الموضع بحقّ الأصالة والمحل ليس هنا . كذلك ؛ لأن الأصل هو الجر في المفعول له ؛ وإنما النصب ناشىء عن إسقاط الخافض .

وجوّز الزمخشري أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ ﴾[5] ، كون الشمس معطوفاً على محل « الليل » .

والثالث : أن يكون باعتبار عَمَلٍ لم يوجد هو ولا طالبه ، هو العطف على التوهوهم ، نحو ليس زيد قائماً ولا ذاهبٍ ، بجر « ذاهب » ، وهو معطوف على خبر « ليس » المنصوب باعتبار جَرّه بالباء ، ولو دخلت عليه فالجر على مفقود ، وعامله وهو الباء مفقود أيضاً ؛ إلا أنه متوهَّم الوجود لكثرة دخوله في خبر ليس ؛ فلما تُوُهِّم وجودُه صَحَّ اعتبار مثله ؛ وهذا قليل من كلامهم .

وقيل : إنه لم يجىء إلّا في الشعر ؛ ولكن جَوَّزه الخليل وسيبويه في

---

(١) سورة : هود . آية : ٦٠ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٨٦ .

(٣) أنظر : إملاء ما من به الرحمٰن ، لأبي البقاء العكبري ، ٢/١٢٤ . والكشاف للزمخشري ٣٣٨/٤ .

(٤) سورة : الأحقاف . آية : ١٢ .

(٥) سورة : الأنعام . آية : ٩٦ .

القرآن ، وعليه خرَّجا قولَه تعالى : ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[١] ؛ كأنه قيل : « أصدق وأكن » .

وقيل : هو من العطف على الموضع ؛ أي محل « أصَّدَّق » .

والتحقيق قول سيبويه : هو على توهّم أن الفاء لم ينطق بها .

واعلم أن بعضهم قد شنّع القول بهذا في القرآن على النحويين ، وقال : كيف يجوزُ التوهّمُ في القرآن .

وهذا جهل منه بمرادِهم ؛ فإنه ليس المراد بالتّوهم الغَلط ؛ بل تنزيل الموجود منه منزلَة المعدوم ؛ كالفاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ ليبني على ذَلِكَ ما يقصد من الإعراب .

وجعل منه الزمخشريّ : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[٢] ، فيمن فتح الباء ، كأنه قيل : « ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » على طريقة :

مشائيم لَيْسُوا مُصْلِحِين عَشِيرةً ... ولا ناعب إلا ببين غرابها[٣]

وقد يجيء إسم آخر ، وهو العطف على المعنى ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾[٤] ؛ ثم قال : ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾[٥]، عطف المجرور بالكاف على المجرور بـ« إلى » ، حملاً على المعنى ؛ لأن قوله : « إِلَىٰ ٱلـذي» في معنى : « أرأيت كالذي » .

وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾[٦] ؛ إنه عطف

(١) سورة : المنافقين . آية : ١٠ .
(٢) سورة : هود . آية : ٧١ .
(٣) في الأصول : « ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب » والإضافة من الكشاف للزمخشري ٢/٣٢١ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٥٨ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .
(٦) سورة : الصافات . آية : ٧ .

على معنى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] ؛ وهو أنا خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينةً للسماء الدنيا .

وفي قوله تعالى: ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ ٱلسَّمَٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ ﴾[2] ، على قراءة النصب : إنه عطف معنى ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ ﴾ ، وهو « لعلي أن أبلغ » ؛ فإن خبر « لَعَلَّ » يقترن بـ « أن » كثيراً .

٤ **القاعدة الرابعة :**

الأصل في العطف التغاير؛ وقد يعطف الشيء على نفسه في مقام التأكيد ، وقد سبق إفراده بنوع في فصول التأكيد .

٥ **القاعدة الخامسة :**

يجوز في الحكاية عن المخاطبين إذا طالت : قال زيد ، قال عمرو ، من غير أن تأتي بالواو وبالفاء ؛ وعلى هذا قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ . . . ﴾[3] الآية .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[4] ، ونظائرها .

وإنَّما حَسُن ذلِكَ للاستغناء عَن حرف العطف ؛ من حيث أنّ المتقدّم من القولين يستدعي التأخّر منهما ؛ فلهذا كان الكلام مبنياً على الانفصال ، وكان كلّ واحدٍ من هذه الأقوال مستأنفاً ظاهراً ؛ وإن كان الذهن يلائم بينهما .

٦ **القاعدة السادسة :**

العطف على المضمر ؛ إن كان منفصلاً مرفوعاً ؛ فلا يجوز من غير فاصل تأكيد أو غيره ؛ كقوله تعالى :

(١) سورة : الصافات . آية : ٦ .
(٢) سورة : غافر . آية : ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٥٨ .
(٤) سورة : الشعراء . آية : ٢٣ ، ٢٤ .

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾[1] .

﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾[2] .

﴿ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[3] عند الجمهور ؛ خلافاً لابن مالك في جعله من عطف الجمل ، بتقدير : « ولْتسْكُنْ زوجُك » .

وقوله : ﴿ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾[4] .

﴿ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ ﴾[5] .

﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾[6] .

وجعل الزمخشريّ منه : ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا ﴾[7] فيمن قرأ بفتح الواو ؛ وجعل الفصل بالهمزة .

ورُدّ بأن الاستفهام لا يدخل على المفردات .

وجعل الفارسيّ منه ﴿ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾[8] ، وأعرب ابن الدّهّان ﴿ وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ مبتدأ خبره ﴿ أشركوا ﴾ مقدراً .

وأجاز الكوفيون العطف من غير فاصل ، كقوله تعلى : ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ ﴾[9] .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[10].

فقال الفارسيّ : ﴿ وَهُوَ ﴾ مبتدأ ، وليس معطوفاً على ضمير

---

(1) سورة : الأعراف . آية : ٢٧ .
(2) سورة : المائدة . آية : ٢٤ .
(3) سورة : البقرة . آية : ٣٥ .
وسورة : الأعراف . آية : ١٩ .
(4) سورة: الأنعام . آية : ٩١ .
(5) سورة : الرعد . آية : ٢٣ .
(6) سورة : آل عمران . آية : ٢٠ .
(7) سورة : الصافات . آية : ١٦ ، ١٧ .
(8) سورة : الأنعام . آية : ١٤٨ .
(9) سورة : المائدة . آية : ٦٩ .
(10) سورة : النجم . آية : ٦ - ٧ .

﴿ فَٱسْتَوَى ﴾ ، وإن كان مجروراً فلا يجوز من غير تكرار الجار فيه ؛ نحو مررت به وبزيد ؛ كقوله تعالى :

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾[1] .

﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ﴾[2] .

﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

وأما قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾[4] ، فإنْ جعلنا ﴿ وَمِن نُّوحٍ ﴾ معطوفاً على ﴿ مِنْكَ ﴾ فالإعادة لازمة ، وإن جُعل معطوفاً على ﴿ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ فجائزة .

وقال الكوفيون : لا تلزم الإعادة ، محتجّين بآيات :

الأولى : قراءة حمزة : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامِ ﴾[5] ، بالجرّ عطفاً على الضمير في ﴿ به ﴾ .

فإن قيل : ليس الخفض على العطف ؛ وإنما هو على القَسَم ، وجوابه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[6] .

قلنا : ردّه الزجّاج بالنهي عن الحلف بغير الله ، وهو عجيب ؛ فإن ذلك على المخلوقين .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾[7] ، ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ ﴾ أوّلها ٱلْمانِعُونَ كَابْنِ الدَّهّان بتقدير : « ويرزق مَنْ لستم » ، والزجاج بتقدير : « أغنى مَنْ لستم » .

قال أبو البقاء[8] : لأن المعنى : « أغناكم وأغنى من لستم » ، وقدّم أنها

---

(1) سورة : المؤمنون . آية : ٢٢ .
(2) سورة : فصلت . آية : ١١ .
(3) سورة : الإسراء . آية : ٤٥ .
(4) سورة : الأحزاب . آية : ٧ .
(5) سورة : النساء . آية : ١ .
(6) سورة : النساء . آية : ١ .
(7) سورة : الحجر . آية : ٢٠ .
(8) أنظر : إملاء ما من به الرحمٰن ، لأبي البقاء العكبري ١/٤٠ .

نَصْب بـ ﴿ جَعَلْنَا ﴾ ، قال : والمراد بـ « من »[1] : العبيد ، والإماء ، والبهائم ، فإنها مخلوقة لمنافعها .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[2] وليس من هذا الباب ؛ لأن ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ معطوف على ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في قوله: ﴿ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3] .

ويدلّ لذلك أنَّهُ صرّح بنسبة الصدّ إلى المسجد في قوله : ﴿ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[4] .

وهذا الوجه حَسَن ، لولا ما يلزم منه الفصل بين ﴿ صَدٌّ ﴾ و ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ بقوله : ﴿ وَكُفْرٌ ﴾ ، وهو أجنبيّ .

ولا يُحسن أن يقال : إنّه معطوف على ﴿ الشهر ﴾[5] ؛ لأنهم لم يسألوا عنه ، ولا على ﴿ سَبيل ﴾ ؛ لأنّه إذ ذاك من تتمّة المصدر ، ولا يعطف على المصدر قبل تمامه .

الرابعة : قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾[6] .

قالوا : الواو عاطفة لـ « مَنْ » على الكاف المجرورة ، والتقدير : حسبك من اتبعك .

ورُدّ بأن الواو للمصاحبة ، و « مَنْ » في محلّ نصب عطفاً على الموضع ؛ كقوله :

* فَحَسْبُكَ والضحّاك سيف مُهَنَّدُ *

الخامسة : قوله تعالى : ﴿ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾[7] ؛ كما

---

(١) في الأصول « ما » ، وما أثبتناه من : إملاء ما من به الرحمٰن .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ .

(٤) سورة : المائدة . آية : ٢ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٢ .

(٦) سورة : الأنفال . آية : ٦٤ .

(٧) سورة : البقرة . آية : ٢٠٠ .

تقول : كذكر قُرَيْش آباءهم ، أو قوم أشدّ منهم ذكراً .

لكن هذا عطف على الضمير المخفوض ؛ وذلك لا يجوز على قراءة حمزة .

وقد خالفه الجمهور وجعلوه مجروراً عطفاً على ﴿ ذِكْرِكُمْ ﴾ المجرور بكاف التشبيه ، تقديره : « أو كذكركم أشدّ » فجعل للذكر ذكراً مجازاً ؛ وهو قول الزجاج ؛ وتابعه ابن عطية ، وأبو البقاء ، وغيرهما .

ومما اختلف فيه العطف على عاملين ، نحو ليس زيد بقائم ولا قاعد عمرو ؛ على أن يكون « ولا قاعد » معطوفاً على « قائم » ، و « عمرو » على « زيد » . منعه الجمهور وأجازه الأخفش ، محتجاً بقوله تعالى : ﴿ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[1] ، ثم قال : ﴿ آيَاتٍ ﴾[2] بالنصب عطفاً على قوله : ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ المنصوب بـ « إنّ » في أول الكلام ، و ﴿ ٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ مجرور بالعطف على ﴿ ٱلسَّمٰوَاتِ ﴾[3] ، المجرور بحرف الجرّ الذي هو « في » ، فقد وجد العطف على عاملين . وأجيب بجعل ﴿ آيَاتٍ ﴾ تأكيد لـ « آيات » الأولى .

---

(١) سورة : الجاثية . آية : ٥ .

(٢) سورة : الجاثية . آية : ٥ .

وانظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٨٩ .

(٣) سورة : الجاثية . آية : ٣ .

قواعد في العدد

القاعدة الأولى :

في إسم الفاعل المشتق من العدد ، له استعمالان :

أحدهما : أن يُرادَ به واحد من ذلك العدد ؛ فهذا يضاف للعدد الموافَق له ، نحو رابع أربعة ؛ وخامس خمسة ، وليس فيه إلاّ الإضافة خلافاً لثعلب ؛ فإنه أجاز . ثالثٌ ثلاثة بالتنوين .

قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾[1] .

وهذا القِسْم لا يجوز إطلاقه في حق الله تعالى ، ولهذا قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[2] .

الثاني: أن يكون بمعنى التصيير، وهذا يضاف إلى العدد المخالف له في اللفظ ؛ بشرط أن يكون أنقصَ منه بواحد ؛ كقولك : ثالث اثنين ، ورابع ثلاثة ، وخامس أربعة ، كقوله تعالى :

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾[3] . أي : يصيّرهم بعلمه ، وإحاطته : أربعة وخمسة .

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٤٠ .

(٢) سورة : المائدة . آية : ٧٣ .

(٣) سورة : المجادلة . آية : ٧ .

فإن قيل : كيف بدأ بالثلاث ، وهلّا جاء : « ما يكون من نجوى واحد إلا هو ثانيه ، ولا اثنين إلا هو ثالثهم » ؟

قيل : لأنه سبحانه لمّا علم أن بعض عباده كفر بهذا اللفظ ، وادّعى أنه ثالث ثلاثة ، فلو قال : ما يكون من نجوى واحد إلّا هو ثانيه ، لثارت ضلالةُ مَنْ كفر بالله وجعله ثانياً ، وقال : وهذا قول الله هكذا . ولو قال : ولا اثنين إلا هو ثالثهم ، لتمسّك به الكفّار ، فعدل سبحانه عن هذا لأجل ذلك ، ثم قال : ﴿ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ ﴾[1] ، فذكر هذين المعنيين بالتلويح لا بالتصريح ، فدخل تحته ما لا يتناهى ، وهذا من بعض إعجاز القرآن .

القاعدة الثانية :

حقّ ما يضاف إليه العدد من الثلاثة إلى العشرة أن يكون اسمَ جنس أو اسم جمع ، وحينئذٍ فيجُرّ بـ « من » نحو ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ ﴾[2] .

ويجوز إضافته ، نحو : ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾[3] .

وإن كان غيرهما من الجموع ، أضيف إليه الجمع على مثال جمع القلّة من التكسير ، وعلّته أن المضاف موضوع للقلة ، فتلزم إضافتُه إلى جمع قلة ، طلباً لمناسبة المضافِ إليه المضافَ في القلّة ؛ لأنّ المفسِّر على حسب المفسَّر ، فتقول : ثلاثة أفلُس وأربعة أعبد .

قال تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾[4] .

وقد استشكل على هذه القاعدة قوله تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[5] ، فإن ، « قروء » جمع كثرة ، وقد أضيف إلى الثلاثة ، ولو جاء على هذه القاعدة لقال « أقراء » .

---

(١) سورة : المجادلة . آية : ٧ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٦ .
(٣) سورة : النمل . آية : ٤٨ .
(٤) سورة : لقمان . آية : ٢٧ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٢٨ .

والجواب من أوجه :

أحدها : أنه أوثر جمع الكثرة هنا ؛ لأنّ بناء القلة شاذّ ، فإنه جمع « قَرْء » بفتح القاف ، وجمع « فَعْل » على « أفعال » شاذّ ، فجمعوه على « فُعول » إيثاراً للفصيح ، فأشبه ما ليس له إلا جمع كثرة ؛ فإنه يُضاف إليه ، كثلاثة دراهم . ذكره ابن مالك .

والثاني : أنّ القلة بالنسبة إلى كل واحد من المطلقات ؛ وإنما أضاف جمع الكثرة نظراً إلى كثرة المتربّصات ؛ لأنّ كل واحدة تتربص ثلاثة . حكاه في « البسيط »[1] عن أهل المعاني .

الثالث : أنه على حذف مضاف ، أي ثلاثة أقراء قروء .

الرابع : أن الإضافة نعت في تقدير الانفصال ؛ لأنه بمعنى « من » التي للتبعيض ، أي ثلاثة أقراء من قروء .

كما أجاز المبرّد « ثلاثة حمير » و « ثلاثة كلاب » ؛ على إرادة « من » أي من حَمِير ومن كلاب .

القاعدة الثالثة :

ألفاظ العدد نصوص ، ولهذا لا يدخلها تأكيد ؛ لأنّه لدفع المجاز ، في إطلاق الكلّ وإرادة البعض ؛ وهو منتف في العدد . وقد أورد على ذلك آيات شريفة .

الأولى : قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[2] .

والجواب : أن التأكيد هنا ليس لدفع نقصان أصْلِ العدد ، بل لدفع نقصان الصِّفة ، لأن الغالب في البَدَل أن يكون دون المبدل منه ؛ معناه[3] أن الفاقد للهدْي لا ينقص من أجره شيء .

---

(١) محسن بن محمد الاستراباذي .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٩٦ .

(٣) في ب : « فأفاد » .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً ﴾[1] .

ولو كانت ألفاظ العدد نصوصاً لما دخلها الاستثناء ؛ إنما يكون عاماً .

والجواب أن التجوّز قد يدخل في الألف ، فإنها تذكر في سياق المبالغة ، للتكثير ، والاستثناء رَفَع ذلك .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾[2] .

وقد سبق في باب التأكيد الجواب عنه .

الرابعة : قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾[3] .

وقوله : ﴿ سَبْعُونَ ذِرَاعاً ﴾[4] .

قالوا : المراد بها الكثرة ، وخصوص السبعين ليس مراداً ؛ وهذا مجاز .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾[5] .

قيل المراد : المراجعة من غير حَصْر ، وجيء بلفظ التثنية ، تنبيهاً على أصل الكثرة ، وهو مجاز .

---

(١) سورة : العنكبوت . آية : ١٤ .
(٢) سورة : النحل . آية : ٥١ .
(٣) سورة : التوبة . آية : ٨٠ .
(٤) سورة : الحاقة . آية : ٣٢ .
(٥) سورة : الملك . آية : ٤ .

أحكام لألفاظ يكثر دورانها في القرآن[1]

. . . .[2] من ذلك لفظ «فعل» :

كثيراً ما يجيء كناية عن أفعال متعددة ؛ وفائدته الاختصار ؛ كقوله تعالى :

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3] .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾[5] ؛ أي : فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تأتوا بسورة من مثله .

وحيث أطلقتْ في كلام اللّه ، فهي محمولة على الوعيد الشديد ، كقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ ﴾[6] .

﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾[7] .

---

(١) هذا العنوان أضافه محقق المطبوعة للتوضيح .

(٢) هناك نقص في الكلام من بداية هذه الفقرة ، وهو واضح لعدم إنتظام الجملة .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٧٩ .

(٤) سورة : النساء . آية : ٦٦ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٤ .

(٦) سورة : الفيل . آية : ١ .

(٧) سورة : إبراهيم . آية : ٤٥ .

١ ـ كان

ومن ذلك : الإخبار عن ذات الله أو صفاته بـ « كان » :

وقد اختلف النحاة وغيرهم في أنها تدلّ على الانقطاع ، على مذاهب :

أحدها : أنها تفيد الانقطاع ؛ لأنها فعل يُشعر بالتجدّد .

والثاني : لا تفيده ؛ بل تقتضي الدوام والاستمرار ، وبه جزم ابن معطٍ[١] في ألفيته ؛ حيث قال :

* وكان للماضي الذي ما انعطفا *

وقال الراغب في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾[٢] : نبه بقوله : « كان » على أنه لم يزل منذ أوجد منطوياً على الكفر .

والثالث : أنّه عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام ؛ وليس فيه دليل على عدم سابق ، ولا على انقطاع طارىء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[٣] ، قاله الزمخشري[٤] في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٥] .

---

(١) هو : يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي ، أبو الحسين ، زين الدين : عالم بالعربية والأدب ، واسع الشهرة في المغرب والمشرق . نسبته إلى قبيلة زواوة، ولد سنة ٥٦٤ هـ ، وتوفي ٦٢٨ هـ .

من كتبه : « الدرة الألفية في علم العربية » و« المثلث » في اللغة ، و« العقود والقوانين » ، و« الفصول الخمسون » ، و« ديوان خطب » ، و« ديوان شعر » ، و« نظم ألفاظ الجَمهرة » ، و« البديع في صناعة الشعر».

(أنظر : وفيات الأعيان ٢/٢٣٥ . ومرآة الجنان ٤/٦٦ . والجواهر المضية ٢/٢١٤ . وتعريف الخلف ٢/٥٨٧ . وبغية الوعاة ٤١٦ . وابن الوردي ٢/١٥٧ . والبداية والنهاية ١٣/١٢٩ ، ١٣٤ . والأعلام ٨/١٥٥) .

(٢) سورة : الإسراء . آية : ٢٧ .

(٣) سورة : الأحزاب . آية : ٥٠ .

(٤) أنظر : الكشاف للزمخشري ، ١/٣٠٧ .

(٥) سورة : آل عمران . آية : ١١٠ .

وذكر ابن عطية في سورة الفتح : أنها حيث وقعت في صفات الله فهي مسلوبة الدلالة على الزّمان .

والصّواب من هذه المقالات : مقالة الزمخشري ، وأنها تفيد في اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي لا غير ، ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى ولا بقائه ؛ بل إن أفاد الكلام شيئاً من ذلك كان لدليل آخر .

إذا علمتَ هذا فقد وقع في القرآن إخبار اللّه تعالى عن صفاته الذاتية وغيرها بلفظ « كان » كثيراً ، نحو :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾[1] .

﴿ وَاسِعاً حَكِيماً ﴾[2] .

﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[3] .

﴿ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾[4] .

﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾[5] .

﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾[6] .

فحيث وقع الإخبار « بكان » عن صفة ذاتية ؛ فالمراد الإخبار عن وجودها ، وأنها لم تفارق ذاته ؛ ولهذا يقررها بعضهم بما زال ؛ فراراً مما يسبق إلى الوهم ، إن كان يفيد انقطاع المخبَر به عن الوجود لقولهم : دخل في خبر كان . قالوا : فكان وما زال مجازان ، يستعمل أحدهما في معنى الآخر مجازاً بالقرينة . وهو تكلّف لا حاجة إليه ، وإنما معناها ما ذكرناه من أزلية الصفة ، ثم تستفيد بقاءها في الحال وفيما لا يزال بالأدلة العقلية ، وباستصحاب الحال .

---

(١) سورة : النساء . آية : ١٤٨ .

(٢) سورة : النساء . آية : ١٣٠ .

(٣) سورة : الأحزاب . آية : ٥٩ .

(٤) سورة : النساء . آية : ٦٤ .

(٥) سورة : الأنبياء . آية : ٨١ .

(٦) سورة : الأنبياء . آية : ٧٨ .

وعلى هذا التقدير سؤالان :

أحدهما : إن البارىء سبحانه وصفاته موجودة قبل الزمان والمكان ، فكيف تدلّ « كان » الزمانيّة على أزلية صفاته ؛ وهي موجودة قبل الزمان ؟

وثانيهما : مدلول « كان » اقتران مضمون الجملة بالزمان اقتراناً مطلقاً ، فما الدليل على استغراقه الزمان ؟

والجواب عن الأوّل : أن الزمان نوعان :

حقيقيّ : وهو مرور الليل والنهار ، أو مقدار حركة الفَلَك على ما قيل فيه .

وتقديريّ : وهو ما قبل ذلك وما بعده ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[1] ، ولا بكرة هنا ولا عشياً ؛ وإنما هو زمان تقديري فَرْضيّ .

وكذلك قوله : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[2] ، مع أن الأيام الحقيقية لا توجد إلا بوجود السموات والأرض والشمس والقمر ؛ وإنّما الإشارة إلى أيام تقديرية .

وعن الثاني : أنّ « كان » لمّا دلّتْ على اقتران مضمون الجملة بالزمان ، لم يكن بعض أفراد الأزمنة بأوْلى بذلك من بعض ، فإمّا ألّا يتعلق مضمونها بزمان فيعطّل ، أو يعلّق بعضها ببعض ، وهو ترجيح بلا مرجح ؛ أو يتعلّق بكلّ زمان ، وهو المطلوب .

وحيث وقع الإخبار بها عن صفة فعلية ، فالمراد تارة الإخبار عن قدرته عليها في الأزل ، نحو : كان اللّه خالقاً ، ورازقاً ، ومحيياً ، ومميتاً .

وتارة تحقيق نسبته إليه ، نحو : ﴿ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة : مريم . آية : ٦٢ .

(٢) سورة : الفرقان . آية : ٥٩ .

(٣) سورة : الأنبياء . آية : ٧٩ .

وتارة ابتداء الفعل وإنشاؤه ؛ نحو : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾[1] ؛ فإن الإرث إنما يكون بعد موت المورّث ، واللّٰه سبحانه مالك كل شيء على الحقيقة ، من قبل ومن بعد .

وحيث أخبر بها عن صفات الآدميين ، فالمراد : التنبيه على أنها فيه غريزة وطبيعة مركوزة في نفسه ، نحو :

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[2] .

ويدل عليه قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾[3] .

أي : خُلِق على هذه الصفة ، وهي مقدّرة أو بالقوة ، ثم تخرج إلى الفعل .

وحيث أخبر بها عن أفعالهم دَلّت على اقتران مضمون الجملة بالزمان ، نحو :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ ﴾[4] .

ومن هذا الباب الحكاية عن النبي ﷺ بلفظ « كان يصوم » و« كنا نفعل » . وهو عند أكثر الفقهاء والأصوليين يفيد الدّوام ؛ فإن عارضه ما يقتضي عدم الدوام مثل أن يروي : « كان يمسح مرة » ثم نقل « أنه يَمْسَح ثلاثاً » ، فهذا من باب تخصيص العموم ، وإن روى النفي والإثبات تعارضاً .

وقال الصّفّار في شرح سيبويه :

إذا استعملت للدلالة على الماضي فهل تقتضي الدوام والاتصال أو لا ؟

---

(١) سورة : القصص . آية : ٥٨ .
(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٧٢ .
(٣) سورة : المعارج . آية : ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ .
(٤) سورة : الأنبياء . آية : ٩٠ .

مسألة خلاف ؛ وذلك أنك إذا قلت : كان زيد قائماً ، فهل هو الآن قائم ؟

الصحيح أنه ليس كذلك ، هذا هو المفهوم ضرورة ؛ وإنما حملهم على جعلها للدوام ما ورد من مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ﴾[2] .

وهذا عندنا يتخرج على أنه جواب لمن سأل : هل كان اللّه غفوراً رحيماً ؟ وأما الآية الثانية ، فالمعنى أي قد كان عندكم فاحشة وكنتم تعتقدون فيه ذلك ، فتركُه يَسْهل عليكم .

قال ابن الشجري « في أماليه » : اختلف في « كان » في نحو قوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[3] ، على قولين :

أحدهما : أنهما بمعنى « لم يزل » كأنّ القوم شاهدوا عزّاً ، وحكمة ، ومغفرة ، ورحمة ، فقيل لهم : لم يزل اللّه كذلك ، قال : وهذا قول سيبويه .

والثاني : أنها تدلّ على وقوع الفعل فيما مضى من الزمان ؛ فإذا كان فعلاً متطاولاً لم يدل دلالة قاطعة على أنه زال وانقطع ، كقولك : كان فلان صديقي ، لا يدلّ هذا على أن صداقته قد زالت ؛ بل يجوز بقاؤها ، ويجوز زوالها .

فمن الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً ﴾[4] ، لأن عدواتهم باقية .

ومن الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾[5] .

وقال بعضهم : يدل على أن خبرها كان موجوداً في الزمن الماضي ، وأما في الزمن الحاضر فقد يكون باقياً مستمراً ، وقد يكون منقطعاً ، فالأول كقوله

---

(١) سورة : الأحزاب . آية : ٧٢ .
(٢) سورة : الإسراء . آية : ٣٢ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٦٥ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١٠١ .
(٥) سورة : المائدة . آية : ١١٧ .

تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[1] وكذا سائر صفاته ؛ لأنّها باقية مستمرة .

قال السِّيرافيّ[2] : قد يرجع الانقطاع بالنسبة للمغفور لهم والمرحومين ؛ بمعنى أنهم انقرضوا فلم يبق من يغفر له ، ولا من يرحم فتنقطع المغفرة والرحمة .

وكذا : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[3] ، ومعناه : الانقطاع فيما وقع عليه العلم والحِكْمة ، لا نفس العلم والحكمة . وفيه نظر .

وقال ابن برّيّ[4] ما معناه : إنّ « كان » تدل على تقديم الوصف وقِدَمه ، وما ثبت قدمه استحال عدمه ؛ وهو كلام حسن .

وقال منصور بن فلاح اليمني[5] في كتاب « الكافي » :

قد تدلّ على الدوام بحسب القرائن ، كقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً

---

(١) سورة : الأحزاب . آية : ٧٣ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٧٠ .

(٤) هو : عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي الأصل ، المصري ، أبو محمد ، أبي الوحش: من علماء العربية النابهين . ولد ونشأ وتوفي بمصر . وولي رياسة الديوان المصري ، وتوفي سنة ٥٨٢ هـ .

من كتبه : « الرد على ابن الخشاب » ، و« غلط الضعفاء من الفقهاء » ، و« شرح شواهد الإيضاح » و« حواش على صحاح الجوهري » ، و« حواش على درة الغواص للحريري » .

(أنظر : وفيات الأعيان ٢٦٨/١ . وبغية الوعاة ٢٧٨ . وخزانة البغدادي ٥٢٩/٢ . والأعلام ٧٤/٤) .

(٥) هو : منصور بن فلاح بن محمد بن سليمان ، أبو الخير ، تقي الدين : نحوي ، يمني . توفي سنة ٦٨٠ هـ .

من كتبه : « الكافي » و« المغني » في النحو ، وغير ذلك .

(أنظر : بغية الوعاة ٣٩٨ . وكشف الظنون ١٧٥١/٢ . والكاشاني ١ ٢٦٠ . والأعلام للزركلي ٣٠٣/٧) .

رَحِيماً ﴾[1] . ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[2] . ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾[3] ، دلّت على الدوام المتصف بتلك الصفات ودوام التعبد بالصفات . وقد تدل على الانقطاع ، نحو : كان هذا الفقير غنياً ، وكان لي مال .

وقال أبو بكر الرازي : كان في القرآن على خمسة أوجه :

بمعنى : الأزل ، والأبد ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[4] .

وبمعنى : المضيّ ، المنقطع ، كقوله : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾[5] ؛ وهو الأصل في كأني « كان » ، كما تقول : كان زيد صالحاً ، أو فقيراً ، أو مريضاً ، أو نحوه .

وبمعنى الحال ، كقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾[7] .

وبمعنى الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾[8] .

وبمعنى « صار » ، كقوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[9] .

مسألـــة :

«كان» فعل ماض، وإذا وقعت بعد «إن» كانت في المعنى للاستقبال.

وقال المبرّد : تبقى على المضي لتجردها ، للدلالة على الزمان فلا يغيرها

(١) سورة: الأحزاب . آية : ٧٣ .
(٢) سورة : النساء . آية : ١٣٤ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٠٣ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١٧٠ .
(٥) سورة : النمل . آية : ٤٨ .
(٦) سورة : آل عمران . آية : ١١٠ .
(٧) سورة : النساء . آية : ١٠٣ .
(٨) سورة : الإنسان . آية : ٧ .
(٩) سورة : البقرة . آية : ٣٤ .

أداة الشرط ، قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ﴾[1] ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ ﴾[2] .

وهذا ضعيف لبنائه على أنها للزمان وحدَه ، والحقّ خلافه ؛ بل تدلّ على الحدث والزمان كغيرها من الأفعال .

وقد استعملت مع « إن » للاستقبال ، قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3] .

وأما : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ﴾[4] ، فتأوَّله ابن السراج على تقدير « إن أكن قلته » ، وكذا ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ ﴾ « إن يكن قميصه » .

مسألـــة :

إذا نفيت « كان » وأخواتها ، فهي كغيرها من الأفعال .

وزعم ابن الطَّراوة أنها إذا نُفيت كان اسمها مثبتاً ، والخبر منفياً ، قال :

لأنّ النفي إنما يتسلَّطُ على الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾[5] ، فالقول مُثْبَت ، والحجّة هي المنفية ؛ وما ذهب إليه غير لازم ، إذ قد قرىء ﴿ ما كان حجتُهم ﴾ بالرفع على أنه اسم كان ، ولكن تأوّله على أن « كان » ملغاة ، أي زائدة ، تقديره : « ما حجتهم إلا » .

وهذا إن ساغ له ها هنا فلا يسوغ له تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾[6] ؛ فإنه قرىء بالرفع ولا يمكن أن تكون هنا ملغاة .

ومن ذلك : « جعل »

وهي أحد الأفعال المشتركة ؛ التي هي أمهات أحداث ؛ وهي : فعل ، وعمل ، وجعل ، وطفق ، وأنشأ ، وأقبل . وأعمّها « فعل » يقع على القول

---

(١) سورة : المائدة . آية : ١١٦ .
(٢) سورة : يوسف . آية : ٢٦ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٣١ .
(٤) سورة : المائدة . آية : ١١٦ .
(٥) سورة : الجاثية. آية: ٢٥ .
(٦) سورة : الأنعام . آية : ٢٣ .

والهمّ وغيرهما : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] .

ودونه « عمل » لأنه يعم النية والهمّ والعزم والقول : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾[2] ، أي : من صلاة وصدقة وجهاد .

ولـ « جعل » أحوال :

أحدها : بمعنى « سمّى » :

كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[3] ، أي : سموْه كذباً ، وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَاثاً ﴾[4] على قول . ويشهد له قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنْثَى ﴾[5] .

الثاني : بمعنى المقاربة :

مثل كاد وطفق ، لكنها تفيد ملابسة الفعل والشروع فيه ، تقول : جعل يقول ، وجعل يفعل كذا ؛ إذا شرع فيه .

الثالث : بمعنى الخلْق والاختراع ، فتُعدّى لواحد :

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ﴾[6] ، أي : خَلَقهما .

فإن قيل : ما الفرق بين الجعل والخلق ؟

قيل : إن الخلق فيه معنى التقدير ، وفي الجعل معنى التصيير ، كإنشاء شيء من شيءٍ ، أو تصيير شيءٍ شيئاً . أو نقله من مكان ، ويتعدى لمفعول واحد ؛ لأنه لا يتعلق إلا من واحد ، وهو المخلوق .

وأيضاً ، فالخلْق يكون عن عدم سابق ؛ حيث لا يتقدم مادة ولا سبب

---

(١) سورة : النحل . آية : ٥٠ .
(٢) سورة : الفرقان . آية : ٢٣ .
(٣) سورة : الحجر . آية : ٩١ .
(٤) سورة : الزخرف . آية : ١٩ .
(٥) سورة : النجم . آية : ٢٧ .
(٦) سورة : الأنعام. آية : ١ .

محسوس ، والجعل يتوقف على موجود مغاير للمجعول ، يكون منه المجعول أو عنه ، كالمادة والسبب . ولا يَرِد في القرآن العظيم لفظ « جعل » في الأكثر مراداً به الخلق ؛ إلا حيث يكون قبله ما يكون عنه أو منه ، أو شيئاً فيه محسوساً عنه ، يكوِّن ذلك المخلوق الثاني ، بخلاف « خلق » فإن العبارة تقع كثيراً به عمّا لم يتقدم وجودَه وجود مغاير ، يكون عنه هذا الثاني .

قال اللّه تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ﴾[1] وإنّما الظُّلمات والنّور عن أجرام توجد بوجودها ، وتعدم بعدمها .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾[2] .

وقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[3] .

وقال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[4] .

وفي سورة النساء : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[5] ؛ فهو يدلّ على أنهما قد يستعملان استعمال المترادفين .

الرابع : بمعنى النقل من حال إلى حال والتصيير ، فيتعدى إلى مفعولين :

إما حسًّا كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً ﴾[6] .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطاً ﴾[7] .

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾[8] .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾[9] .

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ١ .
(٢) سورة : الرعد . آية : ٣ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ١٢ .
(٤) سورة : الأعراف . آية : ١٨٩ .
(٥) سورة : النساء . آية : ١ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ٢٢ .
(٧) سورة : نوح . آية : ١٩ .
(٨) سورة : الأنبياء . آية : ٥٨ .
(٩) سورة : القصص . آية : ٤١ .

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾[1] ﴿ أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً ﴾[2].

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلاً ﴾[3].

ونحو قوله : ﴿ ٱجْعَلْ هٰذَا ٱلْبَلَدَ آمِناً ﴾[4].

وقوله : ﴿وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِبَاساً ﴾[5] ؛ لأنه يتعلق بشيئين : المنقول وهو الليل ؛ والمنقول إليه وهو اللباس .

وأبين منه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾[6].

﴿ جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾[7] .

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴾[8] .

والمعاش في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً ﴾[9] اسم زمان ، لكوْن الثاني هو الأول .

ويجوز أن يكون مصدراً لمعنى المعيش .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾[10]، معناه : صيّرناه ، لأنّ مريم إنما صارت مع ولدها عليه السلام لمّا خُلق منْ جسدها لا من أب ، فصارا عند ذلك آية للعالمين .

ومحال أنه يريد : « خلقناهما » لأنْ مريم لم تخلق في حين خلق ولدها ؛ بل كانت موجودة قبله ، ومحال تعلّق القدرة بجعل الموجود موجوداً في حال بقائه .

---

(١) سورة : الإسراء . آية : ٦ .
(٢) سورة : صٓ. آية : ٥ .
(٣) سورة : فاطر . آية : ١ .
(٤) سورة : إبراهيم . آية : ٣٥ .
(٥) سورة : النبإ. آية : ١٠ .
(٦) سورة : الكهف . آية : ٨ .
(٧) سورة : هود . آية : ٨٢ .
(٨) سورة : النبإ. آية : ٩ .
(٩) سورة : النبإ. آية : ١١ .
(١٠) سورة : المؤمنون . آية : ٥٠ .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] ؛ فهو من هذا الباب على جهة الاتساع ، أي : صيرناه يُقرأ بلسان عربيّ ؛ لأن غير القرآن ما هو عِبريّ وسرياني ؛ ولأن معانيَ القرآن في الكتب السالفة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى ﴾[2] .

وبهذا احتجّ مَن أجاز القراءة بالفارسية ، قال : لأنه ليس في زُبُر الأولين من القرآن إلا المعنى ، والفارسية تؤدي المعنى .

وإذا عُرِف هذا ، فكأنه نقل المعنى من لفظ القرآن فصيره عربياً .

وأخطأ الزمخشري حيث جعله بالخلق ؛ وهو مردُود صناعةً ومعنى .

أمّا الصِّناعة ، فلأنه يتعدّى لمفعولين ، ولو كان بمعنى الخلق لم يتعدّ إلا إلى واحد ، وتعديته لمفعولين ـ وإن احتمل هذا المعنى ـ لكن بجواز إرادة التسمية أو التصيير على ما سبق .

وأمّا المعنى فلو كان بمعنى « خلقنا التلاوة العربية » فباطل ؛ لأنه ليس الخلاف في حدوث ما يقوم بألسنتنا ؛ وإنما الخلاف في أنّ كلام اللّه الذي هو أمْرُهُ ونهيه وخبره ؛ فعندنا أنه صفة من صفات ذاته ، وهو قديم .

وقالت القَدرية : إنه صفة فعل أوجده بعد عدمه ، وأحدثه لنفسه ، فصار عند حدوثه متكلّماً بعد أن لم يكن ، فظهر أن الآية على تأويله ليس فيها تضمن لعقيدته الباطلة .

وقال الآمدي[3] في « أبكار الأفكار » : الجعل فيه بمعنى التسوية ، كقوله

---

(1) سورة : الزخرف . آية : ٣ .

(2) سورة : الأعلى . آية : ١٨ .

(3) هو : علي بن محمد بن سالم التغلبي ، أبو الحسن ، سيف الدين الآمدي : أصولي ، باحث . أصله من آمد ، ولد بها سنة ٥٥١ هـ . وتوفي بدمشق سنة ٦٣١ هـ .

تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[1] ، أيْ : يسمُّونه كذباً .

قال : ويحتمل أن الجعل على بابه ، والمراد القرآن بمعنى القراءة دون مدلولها ، فإنّ القرآن قد يطلق بمعنى القراءة ، ومنه قوله ﷺ : « ما أذن اللّٰه لشيء إذنه لنبيّ يتغنى في القرآن »[2] أي : بالقراءة .

وقال بعضهم : قاعدة العرب في الجَعْل أن يتعدى لواحد ، وتارة يتعدى لاثنين ؛ فإن تعدى لواحد لم يكن إلا بمعنى الخلق ، وأما إذا تعدى لاثنين فيجيء بمعنى الخلْق ، كقوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهارَ آيَتَيْنِ ﴾[3] .

وبمعنى التسمية : ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ إِنَاثاً ﴾[4] .

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[5] .

ويجيء بمعنى التصيير ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾[6] ، أي : صيرناهما .

إذا علمت هذا : فإذن ثبت أن الجعل المتعدي لاثنين ليس نصّاً في الخلق ، بل يحتمل الخلق وغيره لم يكن في الآية تعلّق للقدَرية على خلق

= من كتبه : « الإحكام في أصول الأحكام » و « منتهى السول » ، و « أبكار الأفكار » ، و « لباب الألباب » و « دقائق الحقائق » ، و « المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين » وغير ذلك .

(أنظر : ابن خلكان ١/٣٢٩ . وطبقات السبكي ٥/١٢٩ . وميزان الاعتدال ١/٤٣٩ . ولسان الميزان ٣/١٣٤ . ومفتاح السعادة ٢/٤٩ . وشذرات الذهب ٦/١٤٤ . والأعلام للزركلي ٤/٣٣٢) .

(١) سورة : الحجر . آية : ٩١ .

(٢) الحديث رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤١٦٦ ، ٤١٦٩ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ١٢ .

(٤) سورة : الزخرف . آية : ١٩ .

(٥) سورة : الحجر . آية : ٩١ .

(٦) سورة : المؤمنين . آية : ٥٠ .

القرآن ؛ لأنّ الدليل لا بدّ أن يكون قطعياً لا احتمال فيه . ويجوز أن يكون بمعنى الخلق على معنى : جعلنا التلاوة عربية .

قلت : وهذا يمنع إطلاقه ؛ وإن جوزنا حدوث الألفاظ ، لأنها لم تأت عن السلف ، بل نقول : القرآن غير مخلوق على الإطلاق .

الخامس : بمعنى الاعتقاد :

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ ﴾[1] .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾[2] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَائِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَاثاً ﴾[3] ، أي : اعتقدوهم إناثاً .

ويجوز أن يكون كما قبله ؛ ووجه النقل فيه هو أنّ الملائكة في نفس الأمر ليسوا إناثاً، فهؤلاء الكفار نقلوهم باعتقادهم ؛ فصيروهم في الوجود الذهنيّ إناثاً .

ومنهم من جعلها بمعنى التسمية :

كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] .

أي : لا تسموها أنداداً وأنتم تعلمون ؛ أي لا تسموها أنداداً ولا تعتقدوها ؛ لأنهم ما سموها حتى اعتقدوها .

وكذلك : ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[5] .

أي : سموه وَجَزَّءوه أجزاء ، فجعلوا بعضه شعراً ، وبعضه سحراً ، وبعضه أساطير الأولين .

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ١٠٠ .
(٢) سورة : النحل . آية : ٦٢ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ١٩ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٢ .
(٥) سورة : الحجر . آية : ٩١ .

وقال الزجاج في : ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَآئِكَةَ ﴾[1] ، إنها بمعنى[2] . . .

وقوله : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ ﴾[3] ، أي : اعتقدتم هذا مثل هذا .

فأما قوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[4] .

فالنقل ، والتصيير : راجعان إلى الحال ، أي لا تجعل حال هؤلاء مثل حال هؤلاء ، ولا تنقلها إليها .

وكذلك قوله : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ﴾[5] ، أي : اعتقدوا له شركاء .

السادس : بمعنى الحكم بالشيء على الشيء ، يكون في الحق ، والباطل .

فالحق : كقوله : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[6] .

والباطل : كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ . . . ﴾[7] الآية .

وبمعنى أوجب : كقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾[8] ، أي : أوجبنا الاستقبال إليها .

وكقوله : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾[9] .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾[10] .

ومعنى « كنت عليها » أي أنت عليها ، كقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

---

(١) سورة : الزخرف . آية : ١٩ .
(٢) في الأصول بياض مكان النقط .
(٣) سورة : التوبة . آية : ١٩ .
(٤) سورة : صٓ . آية : ٢٨ .
(٥) سورة : الرعد . آية : ١٦ .
(٦) سورة : القصص . آية : ٧ .
(٧) سورة : الأنعام . آية : ١٣٦ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ١٤٣ .
(٩) سورة : المائدة . آية : ١٠٣ .
(١٠) سورة : البقرة . آية : ١٤٣ .

لِلنَّاسِ ﴾[1] أي : أنتم .

السابع : ذكره الفارسي ، بمعنى « ألقى » فيتعدى لمفعولين : أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجرّ ، كما في قولك : جعلت متاعك بعضه فوق بعض .

ومثله : قوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2] ، و « بعضه » بدل من الخبيث .

وقوله : « على بعض » أي فوق بعض .

ومثله قوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾[3] ، أي : ألقى ، بدليل قوله في الآية الأخرى التي علّل فيها المراد بخلق الجبال ، وأبان إنعامه ، فقال :

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[4] .

فائـــدة :

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾[5] .

قيل : كيف يستعمل لفظ « الجعل » هنا مع أن المجعول به ينبغي أن يتحقق قبل الجعل ، معصفة المجعول ، كقولك : « جعلت زيداً قائماً » ، فهو قبل ذلك كان متصفاً بضد القيام ، وهنا لم يوجد « الجَعْل » إلا على هذه الصفة ، فكيف يصحّ استعمال الجعل فيه ؟

والجواب : أنّ الليل جواهر قام بها السواد ، والنهار جواهر قام بها النور ، وكذلك الشمس جسم قام به ضَوْء ، والأجسام والجواهر متقدمة على الأعراض بالذات والعرب تراعي مثلَ هذا ، نقل الفَرّاء أنهم قالوا : أحسنت إليك

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١١٠ .
(٢) سورة : الأنفال . آية : ٣٧ .
(٣) سورة : الرعد . آية : ٣ .
(٤) سورة : النحل . آية : ١٥ .
(٥) سورة : الإسراء . آية : ١٢ .

فكسوتك ؛ فجعلوا الإحسان متقدماً على الكسوة ؛ بدليل العطف بالفاء ، وليس ذلك إلا تقدم ذاتيّ ؛ لأن الإحسان في الخارج هو نفس الكسوة .

ولك أن تقول : لا نسلّم أن الإحسان نفس الكسوة ؛ بل معنىً يقوم بالنفس ينشأ عنه الكسوة .

٢ ـ حَسِب

يتعدّى لمفعولين . وحيث جاء بعدها أنْ والفعل :

كقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ﴾[2] ونظائره .

فمذهب سيبويه أنها سادّة مسدّ المفعولين ، ومذهب المبرّد أنها سادّة مسدّ المفعول الواحد ، والثاني عنده مقدر .

ويشهد لسيبويه أنّ العرب لم يُسْمَع من كلامهم نُطْقٌ بما ادعاه من التصريح بهما ، ولو كان كما ذكره لنطقوا به ولو مرّة .

٣ ـ كاد

وللنحويين فيها أربعة مذاهب :

أحدها : أن إثباتها إثبات ونفيها نفي ، كغيرها من الأفعال .

والثاني : أنها تفيد الدّلالة على وقوع الفعل بعسْر ، وهو مذهب ابن جنّي .

والثالث : أن إثباتها نفي ونفيها إثبات ، فإذا قيل : « كاد يفعل » ، فمعناه أنه لم يفعله ، بدليل قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾[3] ، وإذا قيل « لم يكد

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٤٢ .

(٢) سورة : التوبة . آية : ١٦ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ٧٣ .

يفعل » فمعناه أنه فَعَله ، بدليل قوله : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1] .

والرابع : التفصيل في النفي بين المضارع والماضي ، فنفي المضارع نفي ، ونفي الماضي إثبات ، بدليل : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[3] ، مع أنه لم ير شيئاً ، وهذا حكاه ابن أبي الربيع في « شرح الجمل » وقال : أنه الصحيح .

والمختار هو الأول ؛ وذلك ، لأن معناها المقاربة ، فمعنى « كاد يفعل » قارب الفعل ، ومعنى « ما كاد يفعل » لم يقاربه ، فخبرها منفيّ دائماً .

أما إذا كانت منفية فواضح ، لأنّه إذا انتفت مقارَبة الفعل اقتضى عَقْلاً عدم حصولِهِ ، ويدلّ له قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[4] ، ولهذا كان أبلغ من قوله : « لم يرها » لأن مَنْ لم يَرَ قد يُقارب الرؤ ية .

وأما إذا كانت المقاربة منفية ، فلأن الإخبار بقرب الشيء يقتضي عُرْفاً عدم حصوله ، وإلاّ لم يتجه الإخبار بقربه .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[5] ؛ فإنها منفيّة مع إثبات الفعل لهم في قوله : ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ .

ووجهه أيضاً إخبار عن حالهم في أول الأمر ، فإنهم كانوا أولاً بُعَداء من ذبحها ، بدليل ما ذكر اللّه عنهم من تعنُّتهم . وحصولُ الفعل إنّما فهمناه من دليل آخر ، وهو قوله : ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ .

والأقرب أن يقال : إنّ النفي واردٌ على الإثبات ، والمعنى هنا : « وما كادوا يفعلون الذبح قَبْل ذلك » ؛ لأنهم قالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً ﴾ وغير ذلك من التشديد .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٧١ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٧١ .
(٣) سورة: النور. آية: ٤٠ .
(٤) سورة : النور . آية : ٤٠ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٧١ .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾[(١)] فالمعنى على النَّفْي ، وأنه ﷺ لم يركن إليهم لا قليلاً ولا كثيراً ، من جهة أن « لولا » الامتناعية تقتضي ذلك ، وأنه امتنع مقاربة الركون القليل لأجل وجود التثبيت ، لينتفيَ الكثير من طريق الأوْلَى .

وتأمّل كيف جاء « كاد » المقتضية المقاربة للفعل ، بقدر الظاهرة للتقليل ، كلّ ذلك تعظيماً لشأن النبي ﷺ ، وما جُبِلَتْ عليه نفسه الزكية من كونه لا يكاد يركن إليهم شيئاً قليلاً ، للتثبيت مع ما جُبِلت عليه .

هكذا ينبغي أن يُفهم معنى هذه الآية ، خلافاً لما وقع في كتب التفسير من ابن عطيّة وغيره ، فهُمْ عن هذا المعنى اللّطيف بمعزل .

وحكى الشريف الرضي في كتاب « الغرر »[(٢)] ثلاثة أقوال في قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[(٣)] .

الأول : أنها دالة على الرؤية بعسر ، أي رآها بعد عُسْر وبطء لتكاثف الظلم .

والثاني : أنها زائدة ، والكلام على النفي المحض ، ونقله عن أكثر المفسرين ، أي لم يرها أصلاً ، لأن الله تعالى قال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾[(٤)] ، كان مقتضى هذه الظلمات تحول بين العين وبين النظر إلى البدن وسائر المناظر .

والثالث : أنها بمعنى « أراد » من قوله : ﴿ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[(٥)] ، أي : لم يُرِدْ أن يراها .

---

(١) سورة : الإسراء . آية : ٧٤ .
(٢) أنظر : أمالي المرتضى ١/٣٣١ .
(٣) سورة : النور . آية : ٤٠ .
(٤) سورة : النور . آية : ٤٠ .
(٥) سورة : يوسف . آية : ٧٦ .

وذكر غيره أنّ التقدير : إذا أخرج يده ممتحناً لِبَصره لم يكد يخرجها ، و« يراها » صفةٌ للظلمات ، تقديره : ظلمات بعضها فوق بعض يراها .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى ﴾[1] ، فيحتمل أنّ المعنى : أريد أخفيها ، لكي تجزى كلُّ نفس بسعيها .

ويجوز أن تكون زائدة ، أي أخفيها لتجزى .

وقيل : تمّ الكلام عند قوله : ﴿ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ ، والمعنى : أكاد آتي بها ، ثم ابتدأ بقوله : ﴿ أُخْفِيها لِتُجْزَى ﴾ .

وقرأ سعيد بن جبير : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ بفتح الألف ، أي أظهرها ، يقال : أخفيت الشيء إذا سترته وإذا أظهرته .

وقراءة الضم تحتمل الأمرين ، وقراءة الفتح لا تحتمل غير الإظهار ؛ ومعنى سترتُها لأجل الجزاء ، لأنه إذا أخفى وقتها قويت الدواعي على التأهب لها خوف المجيء بغتة .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾[2] ، فلم يثبت للزيت الضوء ، وإنما أثبت له المقاربة من الضوء قبل أن تمسّه النار ، ثم أثبت النور بقوله : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾[3] ، فيؤخذ منه أن النور دون الضوء لا نفسه .

فإن قلت : ظاهره أن المراد : يكاد يضيء ؛ مسته النار أو لم تمسه ، فيُعطى ذلك أنّه مع أن مساس النار لا يضيء ، ولكن يقارب الإضاءة ، لكن الواقع أنه عند المساس يضيء قطعاً !

أُجيب : بأن الواو ليست عاطفة ، وإنما هي للحال ، أي يكاد يضيء والحال أنه لم تمسه نار ، فيفهم منه أنها لو مسته لأضاء قطعاً .

---

(١) سورة : طه . آية : ١٥ .
(٢) سورة : النور . آية : ٣٥ .
(٣) سورة : النور . آية : ٣٥ .

قاعـــدة :

تجيء « كاد » بمعنى أراد ، ومنه : ﴿ كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[1] .

﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[2] .

وعكسه ، كقوله تعالى : ﴿ جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾[3] أي : يكاد .

قاعـــدة :

فعل المطاوعة هو الواقع مسبَّباً عن سببٍ اقتضاه ، نحو كسرته فانكسر .

قال ابن مالك في شرح « الخلاصة » : هو الدّال على قبول مفعولٍ لأثرِ الفاعل ؛ ومعنى ذلك أنّ الفِعل المطاوِع ، بكسر الواو ، يدلّ على أن المفعول لقولك : كسرت الشيء يدلّ على مفعول معالجتك في إيصال الفعـل إلى المفعول ، فإذا قلت : فانكسر ، علم أنه قَبِل الفعل ، وإذا قلت : لم ينكسر على أنه لم يقبله .

وأمّا المطاوَع ، بفتح الواو ، فيدلّ على معالجة الفاعل في إيصال فعله إلى المفعول ، ولا يدلّ على أن المفعول قَبِل الفعل أو لم يقبله .

وذكر الزمخشري وغيره أن المطاوِع والمطَاوَع ، لا بدّ وأن يشتركا في أصل المعنى ، والفرق بينهما إنما هو من جهة التأثر والتأثير ، كالكسر والانكسار، إذ لا معنى للمطاوعة إلا حصول فعل عن فعل ، فالثاني مطاوِع ؛ لأنـه طاوَع الأوّل ، والأول مطاوَع ؛ لأنه طاوعه الثاني ، فيكون المطاوَع لازماً للمطاوِع ومرتّباً عليه .

وقد استشكل هذا بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَى عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[4] ، فأثبت « الهدى » بدون « الاهتداء » .

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٨٦ .

(٢) سورة : طه . آية : ١٥ .

(٣) سورة : الكهف . آية : ٨٧ .

(٤) سورة : فصلت . آية : ١٧ .

وقوله : « أمرته فلم يأتمر » فأثبت الأمر بدون الائتمار . وأيضاً فاشتراط الموافقة في أصل المعنى منقوض بقوله : « أمرته فائتمر » ، أي امتثل ، فإنّ الامتثال خلاف الطلب .

وأجيب بأنّه ليس المـراد : بـ ﴿ هَدَيْنَـاهُمْ فَاسْتَحَبُّـوا الْعَمَى ﴾ العمى الحقيقي ، بل أوصلنا إليهم أسبابَ الهداية ، من بعث النبي ﷺ ، فلا يلزم وجود الاهتداء .

وأمّا الأمر فيقضيه لغة ألّا يثبت إلا بالامتثال والائتمار .

وقال المطرّزي[1] في « المغرب » : الائتمار من الأضداد .

وعليه قول شيخنا في « الأساس »[2] : يقال : أمرتُه فائتمر ، وأبى أن يأتمر، أي أمرته فاستبدّ برأيه ولم يمتثل، والمراد بالمؤتمر الممتثل. ويقال: علّمته فلم يتعلم؛ لأنّ التعليم فعل صالح لأن يتـرتّب عليه حصـول العلم لإيجاده.

كذا قاله الإمام فخر الدين ، ومنعه بعضهم .

وقال الشيخ علاء الدين الباجي لو لم يصحّ : علّمته فما تعلم ، لما صحّ علّمته فعلِم ؛ لأنّه إذا كان التعليم يقتضي إيجاد العلم وهو علّة فيه ، فمعلولُه ـ

---

(١) هو : ناصر بن عبد السيد ، أبي المكارم بـن علي ، أبو الفتح ، برهان الدين الخوارزمي المطرزي : أديب ، عالم باللغة ، من فقهاء الحنفية . ولد في جرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ . كان رأساً في الاعتـزال . توفي سنـة ٦١٠ هـ . من كتبه : « الإيضـاح » و « المصباح » و « المعرب » في اللغة ، شرحه ورتبه في كتابه « المغرب في ترتيب المعرب » و « الإقناع بما حوى تحت القناع » وغير ذلك .
(أنظر : بغية الوعاة ٤٠٢ ، ووفيات الأعيان ٢/١٥١ ، وإرشاد الأريب ٧/٢٠٢ ، والفوائد البهية ٢١٨ . والجواهر المضية ٢/١٩٠ . وبروكلمان ١/٣٥٠ . والأعـلام للزركلي ٧/٣٤٨) .

(٢) أنظر: أساس البلاغة ، للزمخشري ص ٩ .

وهو التعلّم ـ يوجد معه ؛ بناءً على أنّ العلّة مع المعلول ، والفاء في قولنا : « فتعلّم » تقتضي تعقب العلم . وإنْ قلنا : المعلول يتأخر ، فلا فائدة في « فتعلّم » لأن التعلّم قد فهم من « علّمته » ، فوضح أنه لو صحّ « علمته فما تعلم » لكان إمّا ألا يصحّ علمته فتعلّم ، بناءً على أن العلّة مع المعلول ، أو لا تكون في قولنا : « فتعلم » فائدة بتأخر المعلول .

فإن قيل : قد منعوا « كَسَرْتُه فما انْكَسَر » فما وجهُ صحة قولهم : « علّمته فما تعلم » ؟

قيل : فرّق بعضهم بينهما ؛ بأن العلْم في القلب من اللّه يتوقّف على أمرٍ من المعلّم ومن المتعلّم ، وكان علمه موضوعاً للجزاء الذي من المعلّم فقط ، لعدم إمكان فعلٍ من المخلوق يحصل به العلم ، ولا بدّ بخلاف الكسر ، فإنّ أثره لا واسطة بينة وبين الانكسار .

واعْلَم أنّ الأصل في فعل المطاوعة أنْ يُعْطَف عليه بالفاء ، تقول : دعوته فأجاب ، وأعطيته فأخذ ، ولا تقولها بالواو ؛ لأن المراد إفادة السببية ، وهو لا يكون في الغالب إلا بالفاء ، كقوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي ﴾[1] .

ويجوز عطفه بالواو ، كقوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾[2] .

وكقوله : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ ﴾[3] .

وفي موضع آخر : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ ﴾[4] .

وزعم ابن جِنّي في كتاب « الخصائص » أنه لا يجوز فعل المطاوعة إلا بالفاء .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٧٨ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٢٨ .
(٣) سورة : الأنبياء . آية : ٨٨ .
(٤) سورة : الأنبياء . آية : ٧٦ .

وأجاب عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾[1] بأنّ « أغفل » في الآية بمعنى وجدناه غافلاً ، لا جعلناه يَغفل ، وإلا لقيل : « فاتبع هواه » بالفاء ؛ لأنه يكون مطاوعاً .

وفي كلامه نظر ؛ لأنّا نقول : ليس اتّباع الهوى مطاوعاً لـ « أغفلنا » ، بل المطاوع لـ « أغفلنا » ، غفل .

فإن قيل : إنه من لازم الغفلة اتباع الهوى ، والمسبّب عن السبب سبب .

قيل : لا نسلّم أن اتّباع الهوى مسبّب عن الغفلة ، بل قد يُغفل عن الذكر ولا يُتبع الهوى ، ويكون المانع له منه غفلة أخرى عنه .

واعلم أن الحاملَ لأبي الفتح على هذا الكلام اعتقاده الاعتزاليّ أنّ معصيةَ العبد لا تُنْسَب إلى الله تعالى ؛ وأنّها مسبّبة له ، فلهذا جعل « أفعل » هنا بمعنى « وجد » لا بمعنى التعدية خاصة . وقد بينا ضعفَ كلامه ، وأنّ المطاوع لا يجب عطفه بالفاء .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[2] :

هذا موضع الفاء ، كما يقال : أعطيته فشكر ، ومنعته فصبر ؛ وإنما عطف بالواو للإشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم ، فأضمر ذلك ثم عطف عليه بالتحميد كأنه قال : فعملا به وعلّماه ، وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة ، وقالا الحمد لله .

وقال السكّاكي : يحتمل عندي أنّه تعالى أخبر عمّا صنع بهما ، وعمّا قالا ؛ كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمْد ، من غير بيان ترتّبِه عليه اعتماداً على فهم السامع ، كقولك « قم يدعوك » بدل « قم فإنه يدعوك » .

---

(1) سورة : الكهف . آية : ٢٨ . (٢) سورة : النمل . آية : ١٥ .

(٣) في الأصول : « بعض ما أحدث فيهما العلم كأنه قال . . . » . والإضافات من الكشاف للزمخشري ٣/٢٧٨ .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾(١) ؛ فظنَّ بعضُ الناس أنّ التقوى سبب التعليم ، والمحققون على منع ذلك ؛ لأنّه لم يربط الفعل الثاني بالأول رَبط الجزاء بالشرط ، فلم يَقُل : « واتقوا اللّه يعلمكم » ولا قال : « فيعلمكم الله » ، وإنما أتى بواو العطف ، وليس فيه ما يقتضي أن الأوّل سبب للثاني ، وإنما غايته الاقتران والتلازم ، كما يقال : زرني وأزورك ، وسلّم علينا ونسلّم عليك ، ونحوه ، مما يقتضي اقتران الفعلين والتعارض من الطرفين ، كما لو قال عبد لسيّده : أعتقني ولك عليّ ألف ، أو قالت المرأة لزوجها : طلقني ولك ألف ؛ فإن ذلك بمنزلة قولها : بألف أو عليّ ألف . وحينئذٍ فيكون متى علّم اللّه العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك .

ونظير الآية قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾(٢) .

وقوله عقيبَ ذكر الغِيبَة : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾(٣) ، ووجه هذا الختام التنبيه على التوبة من الاغتياب ، وهو من الظُّلْم .

وها هنا بحث ، وهو أن الأئمة اختلفوا في أنّ الْعِلْم هل تستدعي مطاوعة أم لا ؟ على قولين :

أحدهما : نعم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي ﴾(٤) ، فأخبر عن كلّ من هداه اللّهُ بأنه يهتدي .

وأما قوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾(٥) ، فليس منه لأن المراد بالهداية فيه الدعوة ، بدليل : ﴿ فَاسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾(٦) .

والثاني : لا يدلّ على المطاعة ، بدليل قوله : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾(٧) .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .
(٢) سورة : هود . آية : ١٢٣ .
(٣) سورة : الحجرات . آية : ١٢ .
(٤) سورة : الأعراف. آية : ١٧٨.
(٥) سورة : فصلت . آية : ١٧ .
(٦) سورة: فصلت. آية: ١٧.
(٧) سورة : الإسراء . آية : ٥٩ .

وقوله : ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾[1] ؛ لأن التخويف حصل ، ولم يحصل للكفار خوف نافع يصرفهم إلى الإيمان ؛ فإنّه المطاوع للتخويف المراد بالآية الكريمة ، وعلى الأول تكون الفاء للتعقيب في الزمان ، ويكون : « أخرجته فما خرج » حقيقة .

فائـــدة :

قالوا في قوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾[2] : إن التقدير « منذرٌ إنذاراً نافعاً من يخشاها » .

قال الشيخ عز الدين : ولا حاجة إلى هذا ، لأن فعل وأفعل ، إذا لم يترتب عليه مطاوعة ، كخوف وعلم وشبهة لا يكون حقيقة ؛ لأن « خوف » إذا لم يحصل الخوف ، و « علم » إذا لم يحصل العلم كان مجازاً ، و « مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا » ، يترتب عليه أثره ، وهو الخشية ، فيكون حقيقة لمن يخشاها ، فإذاً ليس منذراً من لم يخش ، لأنه لم يترتب عليه أثر .

فعلى هذا : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ ﴾[3] فيه جمع بين الحقيقة والمجاز لترتب أثره عليه ، بالنسبة إلى « من يخشى » دون « من لم يخش » .

احتمال الفعل للجزم والنصب

فمنه : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[4] .

يحتمل أن يكون ما بعد الفاء مجزوماً ، ويحتمل أن يكون منصوباً ، وإذا كان مجزوماً كان داخلاً في النهي ، فيكون قد نهي عن الظلم ، كما نهي عن قربان الشجرة ، فكأنه قال : « لا تقربا هذه الشجرة فلا تكونا من الظالمين » .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ ﴾[5] .

---

(١) سورة : الإسراء . آية : ٦٠ .
(٢) سورة : النازعات . آية : ٤٥ .
(٣) سورة : النازعات . آية : ٤٥ .
(٤) سورة : الأعراف . آية : ١٩ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٤٢ .

فإنه يحتمِل أن يكون « تكتموا » مجزوماً ؛ فهو مشترك مع الأول في حرف النهي ؛ والتقدير : لا تلبسوا ولا تكتموا ، أي لا تفعلوا هذا ، كما في قولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، بالجزم . أي لا تفعل واحداً من هذين .

ويحتمِل أن يكون منصوباً ، والتقدير : لا تجمعوا بين هذين ، ويكون مثل لا تـأكل السمـك وتشربَ اللبن ، والمعنى : لا تجمعـوا بين هذين الفعلين القبيحين ، كما تقول لمن لقيته : أماكفاك أحدُهما حتى جمعت بينهما !؟ وليس في هذا إباحة أحدهما . والأول أظهر .

وقوله : ﴿ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[1] .

أي : ما لم يكن أحد الأمرين : المسّ أو الفرض المستلزم ؛ لعدم كلّ منهما ، أي لا هذا ولا هذا ؛ فإن وُجِد أحدهما فعليكم الجناح ، وهو المهر[2] أو نصف المفروض ، و« تفرضوا » مجزوم عطفاً على « تَمَسُّوهُنَّ » .

وقيل : نصب ، و« أو » بمعنى « إلا أنْ » .

والصحيح الأول ؛ ولا يجوز تقدير « لم » بعد « أو » لفساد المعنى ، إذ يؤول إلى رفع الجناح عند عدم المسّ مع الفرض وعدمه . وعند عدم الفرض مع المسّ وعدمه . وليس كذلك ؛ ولا يقدر فيما انتفى أحدهما ، للزوم نفي الجناح عند نفي أحدهما ووجود الآخر ، فلا بدّ من المحافظة على أحدهما على الإبهام وانسحاب حكم « لم » عليه .

ونظيره : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٣٦ .
(٢) في النسخة جـ : « الفرض » .
(٣) سورة : الإنسان . آية : ٢٤ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١٨٨ .

خَاسِرِينَ ﴾[1] ، والوجه الجزم ، ويجوز النصب .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ ٱللَّهُ . . ﴾[2] الآية .

وقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا ٱلنِّسَاءَ كَرْهاً وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[4] .

وقوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾[5] .

وقوله في آل عمران : ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[6] .

وقوله في الأعراف : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[7] .

وقوله في الأنفال : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[8] .

وقوله في سورة التوبة : ﴿ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا ﴾[9] .

وقوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾[10] .

وقوله في سورة يونس : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[11] ؛ يجوز أن يكون معطوفاً على : ﴿ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾[12] فيكون منصوباً،

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٤٩ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨٤ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٢٩ .
(٤) سورة : النساء . آية : ٩٧ .
(٥) سورة : النساء . آية : ١٢٩ .
(٦) سورة : آل عمران . آية : ١٤٩ .
(٧) سورة : الأعراف . آية : ١٩ .
(٨) سورة : الأنفال . آية : ٢٧ .
(٩) سورة : التوبة . آية : ٥٠ .
(١٠) سورة : التوبة . آية : ١٢٠ .
(١١) سورة : يونس . آية : ٨٨ .
(١٢) سورة : يونس . آية : ٨٨ .

ويجوز أن يكون منصوباً بالفاء على جواب الدعاء ، وأن يكون مجزوماً ، لأنه دعاء .

وقوله في سورة يوسف : ﴿ ٱقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[2] .

وقوله في سورة هود : ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَعْبُدُوا ﴾[3] أي : « بأن لا تعبدوا » فيكون منصوباً ، ويجوز جزمه لأنه نهي .

وقوله في سورة النحل : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا ٱلسُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ ﴾[4] يجوز عطف ، « وتذوقوا » على « تتخذوا » أو « فتزلّ » قبل دخول الفاء ، فيكون مجزوماً .

وقوله في سورة الإسراء : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[5] ، أي : بألّا تعبدوا ، أو على نهي .

وفيها : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[6] .

وقوله في سورة الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ ﴾[7] .

وقوله في الحج : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾[8] ، يجوز أن يكون لام كي أو لام الأمر ، وفائدة هذا تظهر في جواز الوقف .

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٩ .
(٢) سورة : غافر . آية : ٨٢ .
(٣) سورة : هود . آية : ١ ـ ٢ .
(٤) سورة : النحل . آية : ٩٤ .
(٥) سورة : الإسراء . آية : ٢٣ .
(٦) سورة : الإسراء . آية : ٣٣ .
(٧) سورة : الكهف . آية : ٢٠ .
(٨) سورة : الحج . آية : ٢٨ .

وقوله : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا ﴾[1] ، فيمن كسر اللامات .

وقوله في النمل : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[2] ، أي : بإنْ ، أو نهي .

وقوله في العنكبوت : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ﴾[3] .

وفي فاطر : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾[4] .

وفي يسٓ : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴾[5] ، هل هي لام كي ، أو لام الأمر ؟

وفي المؤمن : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾[6] .

وفي فصلت : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾[7] .

وفي الأحقاف : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[8] .

وفي القتال : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾[9] .

ويدل على جواز النصب ظهوره في مثله ، ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾[10] .

وقوله : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾[11] .

وقوله : ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ ﴾[12] أي لئلا . أو مجزوم .

وقوله : ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾[13] .

وقوله : ﴿ هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[14] ، فإن

---

(١) سورة : الحج . آية : ٢٩ .
(٢) سورة : النمل . آية : ٣١ .
(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٦٦ .
(٤) سورة : فاطر . آية : ٤٤ .
(٥) سورة : يسٓ. آية : ٣٥ .
(٦) سورة : غافر . آية : ٨٢ .
(٧) سورة : فصلت . آية : ٣٠ .
(٨) سورة : الأحقاف . آية : ٢١ .
(٩) سورة : محمد . آية : ١٠ .
(١٠) سورة : الحج . آية : ٤٦ .
(١١) سورة : محمد . آية : ٣٥ .
(١٢) سورة : الرحمٰن . آية : ٨ .
(١٣) سورة : الممتحنة . آية: ٢ .
(١٤) سورة : المرسلات . آية ٣٥ ـ ٣٦.

﴿ يَعْتَذِرُونَ ﴾ داخل مع الأول في النفي عند سيبويه ، بدليل قوله : ﴿ هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، فإن كان النطق قد نفي عنهم في ذلك اليوم فالاعتذار نطق ، فينبغي أن يكون منفياً معطوفاً على قوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾[1] ، ولو حُمِل على إضمار المبتدأ ، - أي فهم يعتذرون - لجازَ على أن يكون المعنى في ﴿ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ أنّهم وإن نطقوا فمنطقهم كلا نطق ؛ لأنه لم يقع الموقع الذي أرادوه ، كقولهم : تكلمتَ ولم تتكلم .

وقوله : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾[2] ، وعلى الأول يكون هذا قولاً في أنفسهم من غير نطق . .

وقوله تعالى : ﴿ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[3] ، يجوز أن يكون لام كي ، والفعل منصوب ، أو لام الأمر ، والفعل مجزوم .

وقوله : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[4] ، فالظاهر أنه منصوب ، ويجوز أن يكون مجزوماً ، واللام زائدة ، ومن نصب ﴿ وَيَذَرَكَ ﴾ عطفه على ﴿ ليفسدوا ﴾ .

٤ - رَأَى

إن كانت بصرية تعدّت لواحد ، أو علمية تعدّت لاثنين ؛ وحيث وقع بعد البصرية منصوبان كان الأول مفعولها ، والثاني حالاً .

ومما يحتمل الأمرين قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾[5] ، فإن كانت بَصَرية كان « الناس » مفعولاً و « سكارى » حالاً ، وإن كانت علمية فهما مفعولاها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾[6] .

---

(١) سورة : المرسلات . آية : ٣٦ .
(٢) سورة : الشعراء . آية : ١٠٢ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٦٠ .
(٤) سورة : الأعراف . آية : ١٢٧ .
(٥) سورة : الحج . آية : ٢ .
(٦) سورة : الجاثية . آية : ٢٨ .

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾[١] ، فهذه الجملة - أعني قوله : ﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾[٢]- في موضع نصب ، إمّا على الحال إن كانت بَصَرِيّة ، أو مفعول ثان إن كانت قلبية .

واعلم أنه قد وقع في القرآن : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾[٣] ، في بعض المواضع بغير « واو » كما في الأنعام ، وفي بعضها بالواو[٤] ، وفي بعضها بالفاء ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا ﴾[٥] .

وهذه الكلمة تأتي على وجهين :

أحدهما : أن تتصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة ، فيذكر بالألف والواو ، ولتدلّ الألف على الاستفهام ، والواو ، على عطف جملة على جملة قبلها . وكذلك الفاء ؛ لكنها أشدّ اتصالاً مما قبلها .

والثاني : أن يتصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال ، فاقتصر على الألف دون الواو والفاء ، ليجريَ مجرى الاستئناف .

ولا ينتقض هذا الأصل بقوله في النحل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ ﴾[٦] ، لاتصالها بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾[٧] وسبيلها الاعتبار بالاستدلال ، فبُني عليه ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ ﴾ .

وأما « أرأيت » فبمعنى « أخبرني » ولا يذكر بعدها إلا الشرط ؛ وبعده الاستفهام ، على التقديم والتأخير ؛ كقوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ . . . ﴾[٨] الآية .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً ﴾[٩] .

---

(١) سورة : الزمر . آية : ٦٠ .
(٢) سورة : الزمر . آية : ٦٠.
(٣) سورة : الأنعام . آية : ٦٠.
(٤) كما في سورة : الرعد . آية : ٤١ .
(٥) سورة : سبإ. آية : ٩ .
(٦) سورة : النحل . آية : ٧٩ .
(٧) سورة : النحل . آية : ٧٨ .
(٨) سورة : الأنعام . آية : ٤٦ .
(٩) سورة : الملك . آية : ٣٠ .

وقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾[1] .

وأما « رأيت » الواقعة في كلام الفقهاء ، فهي كذلك ، قال ابن خروف : إلا أنّهم يلجئون فيها ، وجوابها : أرأيت إن كان كذا وكذا ؟ كيف يكون كذا ؟ بمعنى عدم الشرط . تم الاستفهام بعده على نمط الآيات الشريفة ، وهي معلّقة عن العمل بما بعدها من الآيات الكريمة ، وكذلك الرؤية كيف تصرفت .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[2] ، فدخلها معنى التعجب ، كأنه قيل : ألم تعجب إلى كذا ! فتعدّت بـ « إلى » كأنه : ألم تنظر ، ودخلت « إلى » بمعنى التعجب ، وعلّق الفعل على جملة الاستفهام ؛ وليست ببدل من « الرب » تعالى ؛ لأن الحرف لا يعلّق .

وأما « أَرَأَيْتُكَ » فقد وقعت هذه اللفظة في سورة الأنعام في موضعين[3] وغيرها ، وليس لها في العربية نظير ؛ لأنه جمع فيها بين علامتي خطاب ، وهما التاء والكاف ، والتاء اسم بخلاف الكاف ؛ فإنها عند البصريين حرف يفيد الخطاب ، والجمع بينهما يدلّ على أن ذلك تنبيهاً على مبناها عليه من مرتبة ، وهو ذكر الاستبعاد بالهلاك ، وليس فيما سواها ما يدلّ على ذلك ، فاكتفى بخطاب واحد .

قال أبو جعفر بن الزبير : الإتيان بأداة الخطاب بعد ال المفيد لذلك تأكيد باستحكام غفلته ؛ كما تحرك النائم باليد ، والمفرط الغفلة باليد واللسان ؛ ولهذا حذفت الكاف في آية يونس[4] ؛ لأنه لم يتقدم قبلها ذكر صَمَمَ ولا بَكَم يوجب تأكيد الخطاب ، وقد تقدم قبلها قوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ . أَمْ مَنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ ﴾[5] إلى ما بعدهنّ ، فحصل تحريكُهُم وتنبيهُهُم بما لم يبق بعده إلا التذكيرُ بعذابهم . انتهى .

(١) سورة : الماعون . آية : ١ .
(٢) سورة : الفرقان . آية : ٤٥ .
(٣) في سورة : يونس . آية : ٦٢ .
وسورة : الأنعام . آية : ٤٠ .
(٤) سورة : يونس . آية : ٥٠ .
(٥) سورة : يونس . آية : ٢١ .

وقال ابن فارس في قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾[1] .

قال البصريون : هذه الكاف زائدة ، زيدت لمعنى المخاطبة ، قال محمد بن يزيد : وكذلك رويدك زيداً ، قال : والدليل على ذلك أنك إذا قلت : أرأيتك زيداً ، فإنما هي : أرأيت زيداً ؟ لأن الكاف[2] لو كانت إسماً استحال أن تعدى « أرأيت » إلى مفعولين ، والثاني هو الأول . يريد قولهم: « أرأيت زيداً قائماً » لا يعدى « رأيت » إلا إلى مفعول هو « زيد » ، ومفعول آخر هو « قائم » ؛ فالأول هو الثاني .

وقال غيره : مَنْ جَعل الأداة المؤكّد بها الخطاب في « أرأيتكم » ضميراً لم يلزمه اعتراضٌ بتعدّي فعل الضمير المتصل إلى مضمَره المتصل ؛ لأن ذلك جائز في باب الظنّ ، وفي فعلين من غير باب ظننت ؛ وهما « فقدت » و « عدمت » ، وكذلك تعدّى فعل الظاهر إلى مضمره المتصل جائز في الأفعال المذكورة ؛ والآيات المذكورة من باب الظن ، لأن المراد بـ « رأيت » رؤية القلب ، فهي من المستثنى ؛ وإنما الممتنع[3] مطلقاً تعدى فعل المضمر المتصل إلى ظاهره ، فلا اختلاف في منع هذا من كل الأفعال .

وأما مَنْ جَرّد أداة الخطاب المؤكّد بها للحرفية ـ وهو قول الجمهور ـ فلا كلام في ذلك .

وقد اختلف في موضع الكاف من هذا اللفظ على أقوال :

قال سيبويه : لا موضع لها .

وقال السكاكِيّ : موضَعها نصب .

وقال الفراء : رفع .

(١) سورة : الإسراء . آية : ٦٢ .

(٢) في الأصول : « هذه الكاف . . . . لو كانت إسماً استحال والإضافة من كتاب فقه اللغة ص ٨٣ .

(٣) في النسخة جـ : « إنما امتنع » .

إذا علمت هذا ، فلها موضعان :

أحدهما : أن تكون بمعنى « أخبرني » فلا تقع إلا على اسم مفرد أو جملة شرط : كقوله : ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ . . . ﴾[1] الآية ولا يقع الشرط إلا ماضياً ، لأن ما بعده ليس بجواب له ، وإنما هو معلّق بـ « أرأيتُك » ، وجواب الشرط ؛ إما محذوف للعلم به ، وإما للاستفهام مع عامله .

وإذا ثنى هذا أو جمع لحقت بالتثنية والجمع الكاف ، وكانت التاء مفردة بكل حال .

قال السّيرافي : يجوز أن يكون إفرادهم للتاء ، استغناءً بتثنية الكاف وجمعها ؛ لأنها للخطاب ، وإنما فعلوا ذلك للفرق بين « أرأيت » بمعنى « أخبرني » وغيرها إذا كانت بمعنى « علمت » .

والثاني : تكون فيه بمعنى « انتبه » كقولك : أرأيت زيداً فإني أحبه ، أي انتبه له ؛ فإني أحبه ؛ ولا يلزم الاستفهام .

وقد يحذف الكلام الذي هو جواب للعلم به فلا يذكر ، كقوله تعالى :

﴿ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾[2] .

فلم يأتِ بجواب . وأتى في موضع آخر بالجواب ولم يأت بالشرط ، قال تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ ﴾[3] .

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ٤٦ .

(٢) سورة : هود . آية : ٨٨ .

(٣) سورة : الجاثية . آية : ٢٣ .

فـ « من » الأول بمنزلة « الذي » .

تنبيـــه :

قال سيبويه : لا يجوز إلغاء « أرأيت » كما يُلْغَى : علمت أزيد عندك أم عمرو؟ ولا يجوز هذا في « أرأيت » ، ولا بد من النصب إذا قلت : « أرأيت زيداً أبو من هو »؟ قال : لأن دخول معنى « أخبرني » فيها لا يجعل بمنزلة أخبرني في جميع أحوالها .

قال السهيليّ : وظاهر القرآن يقتضي خلافَ قوله ، وذلك أنها في القرآن ملغاة ، لأن الاستفهام مطلوبها ، وعليه وقع قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] ، استفهام ، وعليه وقعت « أرأيت » وكذلك « أرأيتم » و « أرأيتكم » في الأنعام ، والاستفهام واقع بعدها .

ونحو : ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾[3] و ﴿ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾[4] .

وهذا هو الذي منع سيبويه في « أرأيت » و « أرأيتك » ولا يقال : « أرأيتك أبو من أنت » ؟

قال : لكنّ الذي قاله سيبويه صحيح ، لكن إذا وَلِيَ الاستفهام « أرأيت » ولم يكن لها مفعول سوى الجملة .

وأمّا في هذه المواضع التي في التنزيل فليست الجملة المستفهم عنها هي مفعول « أرأيت » ، ولم يكن لها مفعول محذوف يدلّ عليه الشرط ، ولا بدّ من الشرط بعدها في هذه الصورة، لأنّ المعنى « أرأيتم صنيعَكم إن كان كذا وكذا » ؟ كما تقول : « أرأيت إن لقيت العدو أتقاتل أم لا ؟ » ؛ تقديره : أرأيت رأيك وصنعكَ إن لقيت العدو؟ فحذف الشرط وهو « إن » دالّ على ذلك المحذوف ، ومرتبط به ، والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع ؛ إلا أن

---

(١) سورة : العلق . آية : ١٣ ـ ١٤ .

(٢) سورة : العلق . آية : ١٣ ـ ١٤ .

(٣) سورة : الأنعام . آية : ٤٧ .

(٤) سورة : الأحقاف . آية : ٣٥ .

فيها زيادة بيان لما يستفهم عنه ، ولو زال الشرط ووليها الاستفهام لَقبُح ، كما قال سيبويه وغيره في « علمت » ، وهل « علمت » ، وهل « رأيت » وإنما يتجه مع « أرأيت » خاصة ، وهي التي دخلها معنى « أخبرني » .

٥ ـ « عَلِم » العرفانيّة

لا تتعلق إلا بالمعاني ؛ نحو : ﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾[١] .

فأما نحو قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[٣] .

فالتقدير : « لا تعلم خبرهم نحن نعلم خبرهم » ، « فليعلمنّ الله صِدْق الذين صدقوا وليعلمنّ الله نفاق المنافقين » ، فحذف المضاف .

وذكر ابن مالك أنها تختص باليقين ، وذكر غيره أنها تستعمل في الظنّ أيضاً ، بدليل قوله : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾[٤] .

وله أن يقول : العلم على حقيقته . والمراد بالإيمان : التصديق اللسانيّ .

٦ ـ ظنّ

أصلها : للاعتقاد الراجح : كقوله تعالى : ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا ﴾[٥] .

وقد تستعمل بمعنى : اليقين ؛ لأن الظنّ فيه طرف من اليقين ، لولاه كان جهلاً : كقوله تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[٦] .

﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ ﴾[٧] .

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴾[٨] .

---

(١) سورة : النحل . آية : ٧٨ .
(٢) سورة : التوبة . آية : ١٠١ .
(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٣ .
(٤) سورة : الممتحنة . آية : ١٠ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٣٠ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ٤٦ .
(٧) سورة : الحاقة . آية : ٢٠ .
(٨) سورة القيامة : آية : ٢٨ .

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ ﴾[1] .

والفرق بينهما في القرآن ضابطان :

أحدهما : أنّه حيث وجد الظنّ محموداً مثاباً عليه ، فهو اليقين ، وحيث وجد مذموماً متوعّداً بالعقاب عليه ، فهو الشك .

الثاني : أنّ كل ظن يتصل بعده « إنْ » الخفيفة فهو شكّ ، كقوله : ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ ﴾[3] .

وكلّ ظن يتصل به « إن » المشددة ، فالمراد به اليقين ، كقوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[4] .

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴾[5] .

والمعنى فيه أنّ المشددة للتأكيد ، فدخلت على اليقين ، وأنّ الخفيفة بخلافها ، فدخلت في الشك .

مثال الأول : قوله سبحانه : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ﴾[6] ذكره بـ « أنّ » وقوله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[7] .

ومثال الثاني : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[8] ، والْحُسْبان الشكّ.

فإن قيل : يرد على هذا الضابط قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾[9] .

---

(١) سورة : المطففين . آية : ٤ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٣٠ .
(٣) سورة : الفتح . آية : ١٢ .
(٤) سورة : الحاقة . آية : ٢٠ .
(٥) سورة : القيامة . آية : ٢٨ .
(٦) سورة : الأنفال . آية : ٦٦ .
(٧) سورة : محمد . آية : ١٩ .
(٨) سورة : المائدة . آية : ٦٦ .
(٩) سورة : التوبة . آية : ١١٨ .

قيل : لأنها اتصلت بالفعل .

فتمسك بهذا الضابط ، فإنه من أسرار القرآن .

ثم رأيت الراغب قال في تفسير سورة البقرة :

الظنّ أعمّ ألفاظ الشكّ واليقين ، وهو اسم لما حصل عن أمارة ، فمتى قويت أدّت إلى العلم ، ومتى ضعفت جداً لم تتجاوز حدّ الوهم ، وأنه متى قويَ استعمل فيه « أنّ » المشددة و « أن » المخففة منها ، ومتى ضعف استعمل معه « أن » المختصة بالمعدومين من الفعل ، نحو ظننت أن أخرج وأن يخرج ؛ فالظنّ إذا كان بالمعنى الأول محمود ، وإذا كان بالمعنى الثاني فمذموم .

فمن الأول : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾(١) .

ومن الثاني : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً ﴾(٣) .

فائـــدة :

لا يجوز الاقتصار في باب « ظنّ » على أحد المفعولين ؛ إلّا أن يكون بمنزلة أنهم قالوا : قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾(٤) ، قرأ الحرميان وابن كثير بالظاء ، وهو « فعيل » بمعنى « مفعول » والضمير هو المفعول الذي لم يسمّ فاعله . وقرأه الباقون بالضاد ، وهو بمعنى فاعل ، وفيه ضمير هو فاعله ، والمعنى : « بخيل على الغيب » فلا يمنعه كما تفعله الكهّان ، والمعنى على القراءة الأولى : ليس بمتّهم على الغيب ؛ لأنه الصادق .

وأما قوله : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾(٥) ؛ فإنها بمنزلتها في قولك : « نزلت بزيد » فالمعنى أوقعت ظني به .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٤٦ .

(٢) سورة : الجاثية . آية : ٢٤ .

(٣) سورة : النجم . آية : ٢٨ .

(٤) سورة : التكوير . آية : ٢٤ .

(٥) سورة : الأحزاب . آية : ١٠ .

٧ ـ شعر

ومنه : « شعر » ، بمعنى « علم » ومصدره « شِعْرة » بكسر الشين ، كالفِطْنة ، وقالوا : ليت شِعْري ، فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة .

قال الفارسيّ : وكأنه مأخوذ من الشِّعار ، وهو ما يلي الجسد ، فكأن شعرت به ، علمته عِلْم حُسْن ، فهو نوع من العلم ، ولهذا لم يوصف به الله .

وقوله تعالى في صفة الكفار : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[1] ، أبلغ في الذمّ للبعد عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون ، فإن البهيمة قد تشعر بحيث كانت تحس ، فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم .

وعلى هذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[2] .

ولم يقل « لا تعلمون » لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياء ، علموا أنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفيَ عنهم العلم ، ولكن يجوز أن يقال : ﴿ لا تشعرون ﴾ ، لأنه ليس كل ما علموه يشعرون به ، كما أنه ليس كل ما علموه يحسُّونه بحواسّهم ، فلما كانوا لا يعلمون بحواسّهم حياتَهم ، وأنهم علموه بإخبار الله ، وجب أن يقال : ﴿ لا يشعرون ﴾ دون « لا يعلمون » .

٨ ـ عسى ، ولعلّ

من الله تعالى واجبتان ، وإن كانتا رجاء وطمعاً في كلام المخلوقين ، لأنّ الخلْق هم الذين يَعرض لهم الشكوك والظنون ، والبارىء منزَّه عن ذلك .

والوجه في استعمال هذه الألفاظ : أنّ الأمور الممكنة لما كان الخلقُ يشكّون فيها ، ولا يقطعون على الكائن منها ، وكان الله يعلم الكائن منها على الصّحة صارت لها نسبتان :

---

(١) سورة : القصص . آية : ١١ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٥٤ .

نسبة إلى الله تعالى ، تسمى : نسبة قطع ويقين .

ونسبة إلى المخلوق ، وتسمى نسبة شكّ وظنّ .

فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ما هي عليه عند الله ، كقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[1] .

وتارة بلفظ الشك بحسب ما هي عليه عند المخلوقين ، كقوله : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾[2] .

﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾[3] .

وقوله : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[4] .

وقد علِم الله حين أرسلهما[5] ما يُفضي إليه حالُ فرعون ، لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع ؛ فكأنه قال : انهَضا إليه وقولا في نفوسكما ، لعلّه يتذكر أو يخشى .

ولما كان القرآنُ قد نزل بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك ، والعرب قد تُخرج الكلام المتيقّن في صورة المشكوك ؛ لأغراض ، فتقول : لا تتعرض لما يسخطني ، فلعلك إن تفعل ذلك ستندم ؛ وإنما مراده أنه يندم لا محالة ، ولكنّه أخرجه مخرج الشك تحريراً للمعنى ، ومبالغة فيه ؛ أي أن هذا الأمر لو كان مشكوكاً فيه لم يجب أن تتعرض له ؛ فكيف وهو كائن لا شك فيه !

وبنحو من هذا فسّر الزجاج قوله تعالى : ﴿ رُبَما يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[6] .

وأما قوله : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ ٱلأَسْبَابَ ﴾[7] ، فاطلاعه إلى الإله مستحيل ،

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٥٤ .

(٢) سورة : المائدة . آية : ٥٢ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ٧٩ .

(٤) سورة : طه . آية : ٤٤ .

(٥) في النسخة جـ : « إرسالهما » .

(٦) سورة : الحجر . آية : ٢ .

(٧) سورة : غافر . آية : ٣٦ .

فبجهله اعتقد في المستحيل الإمكان ؛ لأنه يعتقد في الإله الجسمية والمكان .

ونصّ ابن الدّهان في على جواز استعماله في المستحيل ، محتجاً بقوله : « لعل زماناً تولى يعود » .

وقال أيضاً : كلُّ ما وقع في القرآن من « عسى » ، فاعلها الله تعالى ، فهي واجبة .

وقال قوم : إلا في موضعين ، قال تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ ﴾[1] ، ولم يطلقهن ولم يبدل بهنّ .

وقوله : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾[2] وهذه في بني النَّضِير ، وقد سباهم النبي ﷺ وقتلهم وأبادهم .

وقال أيضاً : وهذا عندي متأوّل ، لأنّ الأوّل تقديره : « إن طلّقكن يبدله » وما فعل ، فهذا شرط يقع فيه الجزاء ولم يفعَلْه ، والثاني تقديره : « إن عدتم رحمكم » ، وهم أصروا ، وعسى على بابها .

قال : وعسى ماضي اللفظ ، والمعنى : لأنه طمع ، وذلك حصل في شيء مستقبل .

وقال قوم : ماضي اللفظ مستقبل في المعنى ، لأنه أخبر عن طمع ، يريد أن يقع .

واعلم أن عسى تستعمل في القرآن على وجهين :

أحدهما: ترفع اسما صريحاً ويؤتي بعده بخبر ، ويلزم كونه فعلاً مضارعاً ، نحو عسى زيد أن يقوم ، فلا يجوز « قائماً » ، لأنّ اسم الفاعل لا يدلّ على الزمان الماضي ، قال الله تعالى : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾[3]

---

(١) سورة : التحريم . آية : ٥ .

(٢) سورة : الإسراء . آية : ٨ .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٥٢ .

فيكون « أن والفعل » في موضع نصب ، بـ « عسى » .

وقال الكوفيون : في موضع رفع بدل .

ورُدّ بأنه لا يجوز تركه ، ويجوز تقديمُهُ عليه .

الثاني : أن يكون المرفوع بها « أن والفعل » ، وهو : عسى أن يقوم زيد ، فلا يفتقر هنا إلى منصوب .

ونظيره : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾[2] لا يجوز رفع « ربك » بـ « عسىٰ » لئلا يلزم الفصلُ بين الصلة والموصول بالأجنبيّ ، وهو « ربك » ، لأن « مقاماً محموداً » منصوب بـ « يبعثك » .

وكذلك كقوله : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[3] ، لأن الضميرين متصلان بـ « تكرهوا » و « تحبوا » ، فلا يكون في « عسى » ضمير .

٩ ـ اتخذ

قال تعالى : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾[4] .

قال الفارسي : ولا أعلم « تخذت » يتعدّى إلا إلى واحد .

وقيل : أصل « اتخذت » « تخذت » ، فأما « اتخذت » فعلى ثلاثة أضرب :

أحدها : ما يتعدّى به إلى مفعول واحد : كقوله تعالى :

﴿ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾[5] .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾[6] .

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٧١ .

(٢) سورة : الإسراء . آية : ٧٩ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢١٦ .

(٤) سورة : الكهف . آية : ٧٧ .

(٥) سورة : الفرقان . آية : ٢٧ .

(٦) سورة : الزخرف . آية : ١٦ .

﴿ وَٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾[1] .

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾[2] .

﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً ﴾[3] .

والثاني : ما يتعدى لمفعولين ، والثاني منهما الأول في المعنى .

وهما إما مذكوران : كقوله تعالى :

﴿ ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾[4] .

وقال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[5] .

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾[6] .

وإما مع حذف الأول ، كقوله : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً ﴾[7] ، فمفعول « اتخذوا » الأول الضمير المحذوف الراجع إلى الذين ، والثاني « آلهة » و « قرباناً » على الحال .

قال الكواشيّ : ولو نصب « قرباناً » مفعولاً ثانياً و « آلهته » بدلاً منه فسد المعنى .

وإما مع حذف الثاني ، كقوله :

﴿ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[8] .

﴿ بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[9] .

﴿ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[10].

---

(١) سورة : الفرقان . آية : ٣ .

(٢) سورة : الأنبياء . آية : ١٧ .

(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٤١ .

(٤) سورة : المنافقون . آية : ٢ .

(٥) سورة : الممتحنة . آية : ١ .

(٦) سورة : المؤمنون . آية : ١١٠ .

(٧) سورة : الأحقاف . آية : ٢٨ .

(٨) سورة : البقرة . آية : ٥١ .

(٩) سورة : البقرة . آية : ٥٤ .

(١٠) سورة : الأعراف . آية : ١٤٨ .

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً ﴾[1] تقديره في الجميع : آتخذوه آلهة ؛ لأن نفس اقتناء العجل لا يلحقه الوعيد الشديد ، فيتَعين تقدير آلهة .

الثالث : ما يجوز فيه الأمران ، كقوله تعالى :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[2].

فإن جوزنا زيادة « من » في الإيجاب كان من المتعدى لاثنين ، وإن منعنا كان لواحد .

ونظيره « جعلت » ، قال : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾[3] ، أي : خلقهما .

فإذا تعدى لمفعولين كان الثاني الأول في المعنى ، كقوله :

﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾[4] .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾[5].

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[6] .

١٠ ـ أخذ

تجيء بمعنى « غصَب » ، ومنه : « من أخذ قيد شِبْر من أرض طُوّق من سبع أرضين » .

وبمعنى « عاقب » ، كقوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[7] .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٤٨ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٢٥ .
(٣) سورة : الأنعام . آية : ١ .
(٤) سورة : يونس . آية : ٨٧ .
(٥) سورة : القصص . آية : ٤١ .
(٦) سورة : السجدة . آية : ٢٤ .
(٧) سورة : هود . آية : ١٠٢ .

﴿ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ ﴾[1] .

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ ﴾[2] .

﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾[3] .

﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[4] .

﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾[5] .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾[6] .

و ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[7] .

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾[8] .

وتجىء للمقاربة ، قالوا : أخذ يفعل كذا ، كما قالوا : جعل يقول ، وَكَرَب يقول .

وتجىء قبل القسم ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[9] .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾[10].

وبمعنى « اعمل » ، كقوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾[11]، أي اعملوا بما أمرتم ، وانتهوا عما نُهيتم عنه بجد واجتهاد .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ٩٤ .
(٢) سورة : هود . آية : ٦٧ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٦٥ .
(٤) سورة : القمر . آية : ٤٢ .
(٥) سورة : الكهف . آية : ٥٨ .
(٦) سورة : فاطر . آية : ٤٥ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٢٨٦ .
(٨) سورة : المائدة . آية : ٨٩ .
(٩) سورة : آل عمران . آية ١٨٧
(١٠) سورة : البقرة . آية : ٦٣ .
(١١) سورة : البقرة . آية : ٦٣ .

١١ - سأل

تتعدّى لمفعولين ، كأعطى ، ويجوز الاقتصار على أحدهما .

ثم قد تتعدّى بغير حرف ، كقوله تعالى :

﴿ وَٱسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ﴾[١] .

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ ﴾[٢] .

وقد تتعدى بالحرف ؛ إما بالباء كقوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[٣] .

وإما بـ « عن » ، كقولك : سل عن زيد . وكذا : ﴿ وَٱسْأَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[٤] .

والمتعدية لمفعولين ثلاثة أضرب :

أحدها : أن تكون بمنزلة « أعطيت » كقولك : سألت زيداً بعد عمرو حقًّا ، أي : استعطيته ، أو سألته أن يفعل ذلك .

والثاني : بمنزلة : اخترت الرجال زيداً ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾[٥] ، أي : عن حميم لذهوله عنه .

والثالث : أن يقع موقع الثاني منهما استفهام ، كقوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ ﴾[٦] .

﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٧] .

وأما قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[٨] ، فالمعنى : سأل سائل

---

(١) سورة : الممتحنة . آية : ١٠ .
(٢) سورة : الأنبياء . آية : ٧ .
(٣) سورة : المعارج . آية : ١ .
(٤) سورة : الأعراف . آية : ١٦٣ .
(٥) سورة : المعارج . آية : ١٠ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ١١ .
(٧) سورة : الزخرف . آية : ٤٥ .
(٨) سورة : المعارج . آية : ١ .

النبيّ ﷺ أو المسلمين بعذاب واقع ، فذكر المفعول الأول ، وسؤالهم عن العذاب إنما هو استعجالهم له كاستبعادهم لوقوعه ، ولردّهم ما يوعدون به منه .

وعلى هذا : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَاتُ ﴾(١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱسْأَلُوا ٱللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾(٢) ، فيجوز أن تكون « من » فيه موضع المفعول الثاني ، وأن يكون المفعول الثاني محذوفاً ، والصفة قائمة مقامه .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾(٣) فيحتمل أنّ « عنها » متعلقة بالسؤال ، كأنه : يسألونك عنها كأنك حفيّ عنها ، فحذف الجار والمجرور ، فحسُن ذلك لطول الكلام . ويجوز أن يكون ﴿ عنها ﴾ بمنزلة « بها » ، وتتصل بالحفاوة .

١٢ ـ وَعَدَ

فعل يتعدى لمفعولين ، يجوز الاقتصار على أحدهما كأعطيته ، وليس كظننت .

قال تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴾(٤) .

فـ « جانب » مفعول ثان ، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه ، أي وعدناكم إتيانَه ، أو مُكْثاً فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾(٥) ، فالغنيمة تكون الغُنْم .

فإن قلت : الغُنْم حدث لا يؤخذ ؛ إنما يقع الأخذُ على الأعيان دون المعاني !

---

(١) سورة : الرعد . آية : ٦ .
(٢) سورة : النساء . آية : ٣٢ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٨٧ .
(٤) سورة : طه . آية : ٨٠ .
(٥) سورة : الفتح . آية : ٢٠ .

قلت : يجوز أن يكون سُمِّي باسم المصدر ، كالخلْق والمخلوق ، أو يُقَدَّر محذوف ، أي تمليك مغانم .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾(٢) .

فإن الفعلَ لم يتعدّ فيه إلى مفعول ثان ؛ ولكن قوله : ﴿ ليستخلفنهم ﴾ ولهم ﴿ مغفرة ﴾ تفسير للوعد ، كما أنّ قوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ ﴾(٣) تبيين للوصية في قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾(٤) .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً ﴾(٥) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾(٦) :

فيحتمل انتصاب الواحد بالمصدر ، أو بأنه المفعول الثاني ، وسمّى الموعود به الوعد ، كالمخلوق الخلق .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾(٧) ، و ﴿إِحْدَى ﴾ في موضع نصب مفعول ثان ، و ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ بدل منه ، أي إتيان إحدى الطائفتين أو تمليكه ، والطائفتان : العِير ، والنصر .

وأما قوله : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ ﴾(٨) فمنْ قدر في أنّ الثانية البدل ، فينبغي أن يقدر محذوفاً ، ليتمّ الكلام ، فيصحّ البدل ، والتقدير : أيعدكم إرادةَ أنّكم إذا متم ، ليكون اسم الزمان خبراً عن الحدث ، ومن قدر في الثانية البدل لم يحتجْ إلى ذلك .

(١) سورة : المائدة . آية : ٩ .
(٢) سورة : النور . آية : ٥٥ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١١ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١١ .
(٥) سورة : طه . آية : ٨٦ .
(٦) سورة : إبراهيم. آية : ٢٢ .
(٧) سورة : الأنفال . آية : ٧ .
(٨) سورة : المؤمنون . آية : ٣٥ .

وأما قوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾[1] ، فالجملة في موضع جر صفة للنكرة ، وقد عاد الضمير فيها إلى الموصوف ، والفعل متعدٍّ إلى واحد .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾[2] ، فلا يجوز أن يكون « ثلاثين » ظرفاً ، لأنّ الوعيد ليس في كلّها بل في بعضها ، فيكون مفعولاً ثانياً .

١٣ ـ وَدَّ

قال أبو مسلم الأصبهاني : بمعنى « تمنّى » يستعمل معها « لو » و « أن » ، وربما جُمع بينهما نحو : ودّوا لو أن فعل ، ومصدره الوَدادة ، والاسم منه وُدّ . وقد يتداخلان في الاسم والمصدر .

وقال الراغب : إذا كان « ودّ » بمعنى أحبّ لا يجوز إدخال « لو » فيه أبداً .

وقال علي بن عيسى : إذا كان بمعنى « تمنى » صلح للمضيّ والحال والاستقبال ، وإذا كان بمعنى المحبة لم يصلح للماضي ؛ لأن الإرادة هي استدعاء الفعل ، وإذا كان للماضي لم يجُز « أن » ، وإذا كان للحال أو للاستقبال جاز « أن » و « لو » .

وفيما قاله نظر ، لأن « أن » توصل بالماضي ؛ نحو سرني أَنْ قمت .

قلت : فكان الأحسن الردّ عليه بكلامه ، وهو أنّه جوّز إذا كان بمعنى الحال دخول « أَنْ » وهي للمستقبل ، فقد خرجت عن موضعها .

١٤ ـ أفعل التفضيل

فيه قواعد :

الأولى :

إذا أضيف إلى غير جنسه لم يكن بعضه ، كقولك : زيد أشجع الأسُود وأجود

(١) سورة : التوبة . آية : ١٩٤ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٤٢ .

السحب ، فيصير المعنى زيد أشجع من الأسود ، وأجود من السحب ؛ وعليه قوله تعالى :

﴿خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ﴾[1] .

و ﴿ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ ﴾[2] .

و ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[3] .

أي : خير مِنْ كلّ من تسمى برازق ، وأحكم من كل من تسمى بحاكم . كذا قاله أبو القاسم السعدي[4] .

قال الشيخ أثير الدين : الذي تقرر عن الشيوخ أن « أفعل » هذه لا تضاف إلا ويكون المضاف بعض المضاف إليه ، فلا يقال : هذا الفرس أسبق الحمير ؛ لأنه ليس بعض الحمير ؛ وعلى هذا بنَى البصريون مَنْع « زيد أفضل إخوته » ، وأجازوا « أفضل الإخوة » ، إلا إن أخرجت عن معناها ؛ فإنه قد يجوز ذلك عن بعضهم .

الثانية :

إذا ذكر بعد « أفعل » جنسه ، وواحد من آحاد جنسه ، وجب إضافتُه إليه ، كقولك : زيد أحسن الرجال ، وأحسن رجل قال تعالى . . .[5] .

---

(١) سورة : الجمعة . آية : ١١ .

(٢) سورة : هود . آية : ٤٥ .

(٣) سورة : المؤمنون . آية : ١٤ .

(٤) هو : عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي ، أبو القاسم ، تاج الدين السعدي ، فقيه شافعي مصري ، نسخ بخطه نحو خمسمائة مجلد . وخرج لنفسه معجماً في ثلاث مجلدات . وولي مشيخة الحديث بالمدية الصاحبية بدمشق ، ومات بمصر سنة ٧٣٢ هـ .
(أنظر : الدارس ٨٥/٢ . وشذرات الذهب ١٠٢/٦ . وطبقات الشافعية ١٢٥/٦ . والقلائد الجوهرية ١٦٢ . والأعلام للزركلي ٣٢/٤) .

(٥) في الأصول سقط كلام مكان النقط .

وإذا ذُكِر بعد ما هو من متعلقاته ، وجب نصبه على التمييز ، نحو زيد أحسن وجهاً ، وأغزر علماً .

وقد أشكَلَ على هذه القاعدة قولُه تعالى : ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[1] ، وقوله : ﴿ أَزْكَى طَعَاماً ﴾[2] ، فقد أضيف إلى غير جِنْسه ، وانتصب .

وقد تأوّل العلماء هذا حتى رجعوا به إلى جعل « أشد » لغير الخشية .

فقال الزمخشري معنى : ﴿ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[3] ، أي : مثل أهل خشية الله ، أو مثل قوم أشد خشية من أهل خشية الله .

قال ابن الحاجب : وعلى مثل هذا يحمل ما خالف هذه القاعدة .

الثالثة : الأصل فيه الأفضلية على ما أضيف إليه ؛ وأشكل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[4] ؛ لأن معناه : ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كلّ واحدة منها ، فاضلة ومفضولة ، في حالة واحدة .

وأجاب الزمخشريّ بأن الغرض وصفهنّ بالكِبَر من غير تفاوت فيه ، وكذلك العادة في الأشياء التي تتفاوت في الفضل التفاوت اليسير ، أنْ تختلفَ آراء[5] الناس في تفضيلها ، وربما اختلف آراء الواحد فيها ، كقول الحماسيّ :

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ ٱلنُّجومِ ٱلَّتِي يُهْدَى بِهَا السَّارِي

وأجاب ابن الحاجب ، بأن المراد الأعلى أكبر من أختها عندهم ، وقت حصولها ، لأن لمشاهدة الآية في النفس أثراً عظيماً ليس للغائب عنها .

(١) سورة : النساء . آية : ٧٧ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ١٩ .
(٣) سورة : النساء . آية : ٧٧ .
(٤) سورة : الزخرف . آية : ٤٨ .
(٥) في الأصول : « أن تختلف الناس » والإضافة من الكشاف للزمخشري ٤/٢٠٢ .

الرابعة : قالوا : لا ينبني من العاهات ، فلا يقال : ما أعور هذه الفرس ! وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَى ﴾[1] ، ففيه وجهان :

أحدهما : أنه من عَمَى القلب الذي يتولد من الضلالة ، وهو ما يقبل الزيادة والنقص ، لا من عَمَى البصر الذي يحجب المرئيات عنه .

وقد صرح ببيان هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[2] وعلى هذا فالأول : إسم فاعل . والثاني : أفعل تفضيل ، من فقْد البصيرة .

والثاني : أنه من عَمى العين ، والمعنى : مَنْ كان في هذه أعمى من الكفار ؛ فإنه يحشر أعمى . فلا يكون « أفعل تفضيل » .

ومنهم من حمل الأولَ على عمى القلب ، والثاني على فَقْد البصيرة ، وإليه ذهب أبوعمرو ، فأمال الأول ، وترك الإمالة في الثاني ؛ لما كان اسماً ، والاسم أبعد من الإمالة .

الخامسة : يكثر حذف المفضول إذا دل عليه دليل ، وكان « أفعـل » خبراً ، كقوله تعالى :

﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَى بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾[3] .

﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾[4] .

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾[5] .

﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[6] .

---

(١) سورة : الإسراء . آية : ٧٢ .
(٢) سورة : الحج . آية : ٤٦ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٦١ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .
(٥) سورة : آل عمران . آية : ٣٦ .
(٦) سورة : آل عمران . آية : ٨ .

﴿ إِنَّمَا عِنْدَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[1] .

﴿ وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[2] .

﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾[3] .

﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً ﴾[4] .

وقد يحذف المفضول و « أفعل » ليس بخبر ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[5] .

السادسة : قد يجيء مجرداً عن معنى التفضيل ، فيكون للتفضيل لا للأفضلية .

ثم هو تارة يجيء مؤوّلاً باسم فاعل ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[6] .

ومؤولاً بصفة مشبّهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[7] .

فـ « أعلم » ها هنا بمعنى « عالم بكم » ، إذ لا مشارك لله تعالى في علمه بذلك ، « وأهون عليه » بمعنى هيّن ، إذ لا تفاوتَ في نسبة المقدورات إلى قدرته تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ ﴾[8] .

وقوله : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾[9] .

أو لفظاً لا معنى ، كقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾[10] .

---

(١) سورة : النحل . آية : ٩٥ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٤٦ .

(٣) سورة : مريم . آية : ٧٣ .

(٤) سورة : مريم . آية : ٧٥ .

(٥) سورة : طه . آية : ٧ .

(٦) سورة : النجم . آية : ٣٢ .

(٧) سورة : الروم . آية : ٢٧ .

(٨) سورة : فصلت . آية : ٤٠ .

(٩) سورة : الفرقان . آية : ٢٤ .

(١٠) سورة : الإسراء . آية : ٤٧ .

و ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[1] .

وأما قوله تعالى: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾[2] فمعناه: الضرر بعبادته؛ أقرب من النفع بها.

فإن قيل : كيف قال : ﴿ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ [3] ، ولا نفع من قِبَله البتة ؟ .

قيل : لما كان في قوله : ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ تبعيد لنفعه ، والعرب تقول لما لم يصح في اعتقادهم : هذا بعيد ـ جاز الإخبار بـ « بُعْد » نفع الوَثَن ، والشاهد له قوله تعالى : حكاية عنهم : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[4] .

السابعة : « أفعل » في الكلام على ثلاثة أضرب :

مضاف ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ ﴾[5] .

ومعرّف باللام ، نحو : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَى ﴾[6] .

و ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلأَعَزُّ مِنْهَا ٱلأَذَلَّ ﴾[7] .

وخال منهما . ويلزم اتصاله بـ « من » التي لابتداء الغاية جارَّة للمفضَّل عليه ، كقوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً ﴾[8] .

وقد يستغني بتقديرها عن ذكرها ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾[9] .

ويكثر ذلك إذا كان أفعل التفضيل خبراً ، كقوله : ﴿ وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[10].

---

(١) سورة : طه . آية : ١٠٤ .
(٢) سورة : الحج . آية : ١٣ .
(٣) سورة : الحج . آية : ١٣
(٤) سورة : قَ. آية : ٣ .
(٥) سورة : التين . آية : ٨ .
(٦) سورة : الأعلى . آية : ١ .
(٧) سورة : المنافقون . آية : ٨ .
(٨) سورة : الكهف . آية: ٣٤ .
(٩) سورة : الكهف . آية : ٣٤ .
(١٠)سورة : الأعلى . آية : ١٧ .

وحيث أضيف إنما يضاف إلى جمع معرّف ، نحو « أحكم الحاكمين » ، ولا يجوز « زيد أفضل رجل » ، ولا « أفضل رجال » ، لأنه لا فائدة فيه ، لأن كلَّ شخص لا بد أن يكوّن جماعة يفضّلها ، وإنما الفائدة في أن تقول : « أفضل الرجال » .

فأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[1] فجوابه : أنه غير مضاف إليه تقديراً ، بل المضاف إليه محذوف ، وقامت صفته مقامه ، وكأنه قال : « أسفل قوم سافلين » .

ولا خلاف أنه يضاف إلى اسم الجمع معرفاً ومنكّراً ، نحو أفضل الناس والقوم ، وأفضل ناس وأفضل قوم .

فإن قيل : لم أجازوا تنكير هذا ولم يجيزوا ذلك في الجمع ؟

قلت : لأن « أفضل القوم » ليس من ألفاظ الجموع ، بل من الألفاظ المفردة فخففوه بترك الألف واللام الثانية ، إذا كان « أفعل » بالألف واللام أو مضافاً جاز تثنيته وجمعه ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾[2] .

و ﴿ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾[3] .

وقال في المفرد : ﴿ إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾[4] .

وقال في الجمع : ﴿ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾[5] .

و ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾[6] .

وتقول في المؤنث « هذه الفضلى » ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾[7] .

---

(١) سورة : التين . آية : ٥ .
(٢) سورة : الشعراء . آية : ١١١ .
(٣) سورة : الكهف . آية : ١٠٣ .
(٤) سورة : الشمس . آية : ١٢ .
(٥) سورة : الأنعام . آية : ١٢٣ .
(٦) سورة : هود . آية : ٢٧ .
(٧) سورة : المدثر . آية : ٣٥ .

﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾[1] .

وحكم « فُعْلى » حكم « أفعل » لا يستعمل بغير « من » إلا مضافاً أو معرّفاً بأل

وأما قوله : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[2] ، فقالوا : إنه على تقدير « من » أي وأخر منها متشابهات .

تنبيـــه :

سواء أصله بمعنى الاستواء ، وليس له إسم يجري عليه ، يقال : استوى استواءً ، وساواه مساواة لا غير ؛ فإذا وقع صفةً كان بمعنى مستوٍ ، ولهذا تقول : هما سواء ، هم سواء ، كما تقول : هما عدل ، وهم عدل ؛ والسواء التامّ ، ومنه دِرْهم سواء ، أي تام .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً ﴾[3] ، أي : مستويات . ومن نصب فَعَلَى المصدر ، أي استوت استواءً ، كذا قال سيبويه[4] . وجوز غيره أن يكون حالاً من النكرة .

ويجيء السواء بمعنى الوسط ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[5] أي : عدل ، وهو الحق .

قال ابن أبي الربيع : وسواء لا يرفع الظاهرَ إلا إذا كان معطوفاً على المضمر في سواء وهو مرفوع بسواء ، وهو مما جاز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه .

---

(١) سورة: طه . آية : ٧٥ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

(٣) سورة : فصلت . آية : ١٠ .

(٤) أنظر : الكتاب ، لسيبويه ١/٢٧٥ .

(٥) سورة : آل عمران . آية : ٦٤ .

٤٧- النّوع السّابع وَالأربعُون

في الكلام على المفردات من الأدوات

والبحث عن معاني الحروف ؛ مما يحتاج إليه المفسّر لاختلاف مدلولها

ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها ، وترجّح استعمالها في بعض المحالّ على بعض ، بحسب مقتضى الحال .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[(1)] .

فاستعملت « على » في جانب الحق ، و« في » في جانب الباطل ؛ لأنّ صاحب الحقّ كأنه مُسْتَعْلٍ يرقب نظره كيف شاء ، ظاهرة له الأشياء ، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام ، ولا يدري أين توجه !

وكما في قوله تعالى : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾[(2)] ، فعطف هذه الجمل الثلاث بالفاء ، ثم لما انقطع نظام الترتيب عطف بالواو ، فقال تعالى : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾[(3)] ، إذ لم يكن التلطّف مترتباً على الإتيان بالطعام ، كما كان الإتيان منه مرتباً على التوجّه في طلبه ، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدال في المسألة عن مدّة اللبث ، بتسليم العلم له سبحانه .

---

(١) سورة : سبإ . آية : ٢٤ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ١٩ .
(٣) سورة : الكهف . آية : ١٩ .

وكما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ . . . ﴾[1] الآية .

فعدل عن اللام إلى « في » في الأربعة الأخيرة ، إيذاناً بأنّهم أكثر استحقاقاً للتصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام ؛ لأن « في » للوعاء ، فنبّه باستعمالها على أنهم أحقّاء بأن يجعلوا مظنّةً لوضع الصدقات فيهم : كما يُوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه . وفي تكرير حرف الظرف داخلاً على « سبيل الله » دليل على ترجيحه على الرقّاب والغارمين .

قال الفارسي : وإنّما قال : ﴿ وفي الرقاب ﴾ ، ولم يقل « والرقاب » ليدلّ على أن العبدِ لا يملك .

وفيه نظر ؛ بل ما ذكرناه من الحكمة فيه أقرب .

وكما في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾[2] ، فإنه يقال : أحسنَ بي وإليَّ ؛ وهي مختلفة المعاني وأليقها بيوسف عليه السلام « بي » ، لأنه إحسانٌ درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها .

وكما في قوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[3] ، ولم يقل « على » كما ظن بعضهم ؛ لأن « علي » للاستعلاء ، والمصلوب لا يجعل على رءوس النخل ؛ وإنما يُصلب في وسطها ، فكانت « في » أحسن من «على».

وقال : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[4] ، ولم يقل « في الأرض » ؛ لأن عند الفناء ليس هناك حال القرار والتمكين .

وقال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً ﴾[5] .

وقال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً ﴾[6] .

وما قال « على الأرض » ؛ وذلك لمّا وَصَفَ العباد بيّن أنهم لم يوطّنوا

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٦٠ .
(٢) سورة : يوسف . آية : ١٠٠ .
(٣) سورة : طه . آية : ٧١ .
(٤) سورة : الرحمٰن . آية : ٢٦ .
(٥) سورة : الفرقان . آية : ٦٣ .
(٦) سورة : الإسراء . آية : ٣٧ .

أنفسهم في الدنيا ؛ وإنما هم عليها مُسْتَوْفِزُون . ولمّا أرشده ونهاه عن فعل التبختر ، قال : ولا تمش فيها مرحاً ، بل آمْش عليها هَوْناً .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وقال ابن عباس : الحمد لله الذي قال : ﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[2] ، ولم يقل : « في صلاتهم » .

وقال صاحب « الكشاف » في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾[3] : لو سقطت « من » جاز كونُ الحجاب في الوسط ، وإن تباعدت . وإذا أتيت بـ « من » أفادت أن الحجاب ابتداء من أول ما ينطلق عليه « من » ، وانتهى إلى غايته ، فكأن الحجاب قد ملأ ما بينك وبينه[4] .

وقال : كرر الجار في قوله : ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾[5] ليكون أدلّ على شدة الختم في الموضعين ، حين استجد له تعدية أخرى .

وهذا كثير لا يمكن إحصاؤه ؛ والمعين عليه معرفة معاني المفردات ، فلنذكر مهمات مطالبها على وجه الاختصار .

١ ـ الهمزة

أصلها الاستفهام ، وهو طلب الإفهام . وتأتي لطلب التصور والتصديق ، بخلاف « هل » فإنها للتصوّر خاصة . والهمزة أغلب دوراناً ، ولذلك كانت أم الباب .

واختصّت بدخولها على الواو ، نحو : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا ﴾[6] .

وعلى الفاء ، نحو : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَى ﴾[7] .

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٦١ .
(٢) سورة : الماعون . آية : ٥ .
(٣) سورة : فصلت . آية : ٥ .
(٤) أنظر : الكشاف ، للزمخشري ٤/١٤٤ ، ١٤٥ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٧ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ١٠٠ .
(٧) سورة : الأعراف . آية : ٩٧ .

وعلى ثُمْ ، نحو : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾[1] .

و « هل » أظهر في الاختصاص بالفعل من الهمزة ، وأما قوله تعالى :

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[2] .

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[3] .

و ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[4] .

فذلك لتأكيد الطلب للأوصاف الثلاثة ؛ حيث أنّ الجملة الإسمية أدلُّ على حصول المطلوب وثبوته ؛ وهو أدلّ على طلبه من « فهل تشكرون » « وهل تسلمون » لإفادة التجدد .

واعلم أنهُ يعدل بالهمزة عن أصلها ، فيتجوز بها عن النفي والإيجاب والتقرير ، وغير ذلك من المعاني السالفة في بحث الاستفهام مشروحة ، فانظره فيه .

مسألـــة :

وإذا دخلتْ على « رأيت » : امتنع أن تكون من رؤ ية البصر أو القلب ، وصارت بمعنى « أخبرني » ، كقولك : « أرأيتك زيداً ما صنع » ؟ في المعنى تعدّى بحرف ، وفي اللفظ تعدّى بنفسه .

ومنه قوله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾[5] .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾[6] .

---

(١) سورة : يونس . آية : ٥١ .
(٢) سورة : الأنبياء . آية : ٨٠ .
(٣) سورة : المائدة . آية : ٩١ .
(٤) سورة : هود . آية : ١٤ .
(٥) سورة : مريم . آية : ٧٧ .
(٦) سورة : العلق . آية : ٩ ، ١٠ .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾[1] .

مسألــــة :

وإذا دخلت على « لم » أفادت معنيين :

أحدهما : التنبيه والتذكير ، نحو :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[2] .

والثاني : التعجّب من الأمر العظيم ، كقولك : ألم تر إلى فلان يقول كذا ، ويعمل كذا !؟ على طريق التعجّب منه . وكيف كان فهي تحذير .

٢ ـ أم

حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل ، نحو : أزيد عندك أم عمرو ؟

وقيل : إنما تُشرِك بين المتعاطفين كما تُشرِك بينهما « أو » .

وقيل : فيها معنى العطف . وهي استفهام كالألف[3] ؛ إلا أنها لا تكون في أول الكلام لأجل معنى العطف .

وقيل : هي « أو » أبدلت الميم[4] من الواو ، ليحوّل إلى معنى ، يريد إلى معنى « أو » .

وهي قسمان : متصلة ومنفصلة :

فالمتّصلة هي : الواقعة في العطف والوارد بعدها وقبلها كلام واحد ، والمراد بها الاستفهام عن التعيين ؛ فلهذا يُقدر بأيّ . وشرطُها أن تتقدمها همزةَ الاستفهام ، ويكون ما بعدها مفرداً ، أو في تقديره .

---

(١) سورة : الماعون . آية : ١ .　　　　(٢) سورة : الفرقان . آية : ٤٥ .

(٣) في ب ، جـ : « بالألف » وما أثبتناه من فقه اللغة ، لابن فارس ص ٧٩ .

(٤) في ب، جـ : « أبدلت من الواو » والإضافة من المرجع السابق .

والمنفصلة : ما فقد فيها الشرطان أو أحدهما ، وتقدر بـ « بل » والهمزة .

ثم اختلف النحاة في **كيفية تقدير المنفصلة على ثلاثة مذاهب** ، حكاها الصفّار :

أحدها : أنها تقدر بهما وهي بمعناهما ، فتفيد الإضراب عَمّا قبلها على سبيل التحول والانتقال كـ «بل » ، والاستفهام عما بعدها .

ومن ثم لا يجوز أن تستفهم مبتدئاً كلامك بـ « أم » . ولا تكون إلا بعد كلام ، لإفادتها الإضراب ، كما تقدم .

قال أبو الفتح : والفارق بينها وبين « بل » أن ما بعد « بل » منفيّ ، وما بعد « أم » مشكوك فيه .

والثاني : أنها بمنزلة « بل » خاصة ، والاستفهام محذوف بعدها ، وليست مفيدة الاستفهام ، وهو قول الفراء في « معاني القرآن » .

والثالث : أنّها بمعنى الهمزة ، والإضراب مفهوم من أخذِك في كلام آخر وترك الأول .

قال الصفار : فأمّا الأول فباطل ؛ لأنّ الحرف لا يعطِي في حيِّز واحد أكثر من معنى واحد ، فيبقى الترجيح بين المذهبين . وينبغي أن يرجّح الأخير ؛ لأنه ثبت من كلامهم : إنّها لإبِلٌ أم شاء .

ويلزم على القول الثاني حذف همزة الاستفهام في الكلام ؛ وهو من مواضع الضرورة .

قال : والصحيح أنها لا تخلو عن الاستفهام ؛ وكذلك قال سيبويه . انتهى .

واعلم أن المتصلة يصير معها الاسمان بمنزلة « أيّ » ، ويكون ما ذكر خبراً عن «أي»، فإذا قلت : أزيد عندك أم عمرو ؟ فالمعنى : أيّهما عندك ؟ والظرف خبر لهما .

ثم المتصلة تكون في عطف المفرد على مثله ، نحو أزيد عندك أم عمرو؟ كقوله تعالى : ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[1] ، أيْ : أيّ المعبودين خير؟ وفي عطف الجملة على الجملة المتأوّلَتَيْن بالمفرد ، نحو : ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْشِئُونَ ﴾[2] أي الحال هذه أم هذه ؟

والمنقطعة إنّما تكون على عطف الجمل ، وهي في الخبر والاستفهام بمثابة « بل » والهمزة ، ومعناها في القرآن التوبيخ ، كما كان في الهمزة ، كقوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾[3] ، أي : بل أتخذ ؟ لأن الذي قبلها[4] خبر ، والمراد بها التوبيخ لمن قال ذلك ، وَجَرْيٌ على كلام العباد .

وقوله : ﴿ الٓمٓ . تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[5] ثم قال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ ﴾ ، تقديره : بل أيقولون ؟ كذا جعلها سيبويه منقطعة ، لأنها بعد الخبر[6] .

ثم وجه اعتراضاً : كيف يستفهم اللَّهُ عن قولهم هذا وأجيب بأنّه جاء في كلام العرب ؛ يريد أن في كلامهم يكون المستفهم محققاً للشيء لكن يورِده بالنظر إلى المخاطب ، كقوله :

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[7] .

وقد علم الله أنه لا يتذكر ولا يخشى ؛ لكنه أراد : « لعله يفعل ذلك في رجائكما » .

وقوله : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾[8] ، تقديره : بل أتخذ ؟ بهمزة منقطعة للإنكار .

وقد تكون بمعنى « بل » من غير استفهام ، كقوله تعالى :

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٣٩ .
(٢) سورة : الواقعة . آية : ٧٢ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ١٦ .
(٤) سورة : الزخرف . آية : ١٥ .
(٥) سورة : السجدة . آية : ١ ـ ٣ .
(٦) أنظر : الكتاب لسيبويه ١/٤٨٤ .
(٧) سورة : طه . آية : ٤٤ .
(٨) سورة : الزخرف . آية : ١٦ .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] وما بعدها في سورة النمل .

قال ابن طاهر[2] : ولا يمتنع عندي إذا كانت بمعنى « بل » أن تكون عاطفة ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ ﴾[4] .

وقال البغويّ في قوله : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾[5] : بمعنى : « بل » وليس بحرف عطف ، على قول أكثر المفسرين .

وقال الفراء ، وقوم من أهل المعاني : الوقف على قوله « أم » ، وحينئذٍ تَمّ الكلام ، وفي الآية إضمار ، والأصل : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[6] أم تُبصرون ؟ ثم ابتدأ فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ﴾[7] .

قلت : فعَلَى الأول تكون منقطعة ، وعلى الثاني متصلة .

وفيها قول ثالث ، قال أبو زيد : إنها زائدة ، وإنّ التقدير : أفلا تبصرون أنا خير منه .

والمشهور أنّها منقطعة ، لأنـه لا يسألهم عن استـواء علمه في الأول والثاني ؛ لأنه إنما أدركه الشكّ في تبصّرهم بعد ما مضى كلامه على التقرير ، وهو مثبت وجواب السؤال « بلى » ، فلما أدركه الشكّ في تبصّرهم ، قال : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ .

---

(١) سورة : النمل . آية : ٦٠ .

(٢) هو : محمد بن طاهر بن علي ، أبو عبد الله الأنصاري الداني الأندلسي : عالم بالعربية ، من أهل دانية ، مرَّ بدمشق عائداً من الحج سنة ٥٠٤ هـ ، وأقام بها مدة ، ورحل إلى بغداد فسكنها وتوفي بها سنة ٥١٩ هـ .
من كتبـه : « عين الذهب من معـدن جوهـر الأدب في علم المجازات » وكتـاب « التحصيل » .
(أنظر : بغية الوعاة ٤٩ . والأعلام للزركلي ١٧٢/٦) .

(٣) سورة : الطور . آية : ٣٠ .

(٤) سورة : النمل . آية : ٢٠ .

(٥) سورة : الزخرف . آية : ٥٢ .

(٦) سورة : الزخرف . آية : ٥١ .

(٧) سورة : الزخرف . آية : ٥٢ .

وسأل ابن طاهر شيخه أبا القاسم بن الرَّماك : لِمَ لم يجعل سيبويه « أم » متصلة ؟ أي « أفلا تبصرون أم تبصرون » ؟ أي : أيّ هذين كان منكم ؟ فلم يُحر جواباً ، وغضب وبقي جمعة لا يقرّر حتى استعطفه .

والجواب من وجهين :

أحدهما : أنه ظن أنهم لا يبصرون ، فاستفهم عن ذلك ، ثم ظنّ أنهم يبصرون ، لأنه معنى قوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ ﴾ ، فأضرب عن الأول واستفهم ، وكذلك : أزيد عندك أم لا ؟ .

والثاني : أنه لو كان الإبصار وعدمه عنده مُتَعَادِلَين لم يكن للبدء بالنفي معنى ، فلا يصح إلا أن تكون منقطعة .

وقد تحتمل المتصلة والمنقطعة ، كما قال في قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ كَيْداً ﴾[1] .

قال الواحديّ : إن شئت جعلت قبله استفهام رُدّ عليه ، وهو قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾[2] وإن شئت جعلتها منقطعة عمّا قبلها مستأنَفاً بها الاستفهام ، فيكون استفهاماً متوسطاً في اللفظ ، مبتدأ في المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ . . . ﴾[3] الآية ، ثم قال : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾[4] . انتهى .

والتحقيق : ما قاله أبو البقاء : إنها ها هنا منقطعة ؛ إذ ليس في الكلام همزة تقع موقعها ، وموقع « أم » « أيهما » والهمزة في قوله : « أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ ، ليست من « أم » في شيء ، والتقدير : بل أتريدون أن تسألوا ؟ فخرج بـ « أم » من كلام إلى آخر[5] .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ١٠٨ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٠٦ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ٥١ ـ ٥٢ .
(٤) سورة : الزخرف . آية : ٥١ ـ ٥٢ .
(٥) أنظر : إملاء ما من به الرحمن ٢/١٣٢ .

وقد تكون بمعنى « أو » كما في قوله تعالى :

﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنْتُمْ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً . أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ﴾[2] .

ومعنى ألف الاستفهام عند أبي عبيد ، كقوله تعالى :

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾[3] أي : أتريدون ؟

وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[5] ، أي : أيحسدون ؟

وقوله : ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ ٱلْأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَارُ ﴾[6] ، أي : أزاغت عنهم الأبصار ؟

وقوله : ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾[7] ، أي : أله ؟

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً ﴾[8] أي : أتسألهم أجراً ؟

وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ ﴾[9] ، قيل : أي : أظننت هذا ؟ ومن عجائب ربك ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف ! ؟

وقيل : بمعنى ألف الاستفهام ، كأنه قال : أحسبت ؟ وحسبت بمعنى الأمر ، كما تقول لمن تخاطبه : أعلمت أنّ زيداً خرج بمعنى الأمر ، أي اعلم

---

(١) سورة : الملك . آية : ١٦ - ١٧ .
(٢) سورة : الإسراء . آية : ٦٨ - ٦٩ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ١٠٨ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢١٤ .
(٥) سورة : النساء . آية : ٥٤ .
(٦) سورة : صٓ . آية : ٦٢ - ٦٣ .
(٧) سورة : الطور . آية : ٣٩ - ٤٠ .
(٨) سورة : الطور . آية : ٣٩ ، ٤٠ .
(٩) سورة : الكهف . آية : ٩ .

أن زيداً خرج ، فعلى هذا التدريج يكون معنى الآية : اعلم يا محمد ، أن أصحاب الكهف والرقيم .

وقال أبو البقاء في قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾[1] تقديره بل « أتخذ ! » بهمزة مقطوعة على الإنكار ، ولوجعلناه همزة وصل لصار إثباتاً . تعالى الله عن ذلك ! ولو كانت « أم » المنقطعة بمعنى « بل » وحدها دون الهمزة وما بعد « بل » متحقق ، فيصير ذلك في الآية متحققاً ، تعالى الله عن ذلك !

مسألـــة :

« أم » لا بدّ أن يتقدَّمهـا استفهام أو مـا في معناه . والـذي في معناه التَّسوية ؛ فإن الذي يَسْتفهم ، استوى عنده الطرفان ؛ ولهذا يسأل[2] ، وكذا المسئول استوى عنه الأمران .

فإذا ثبت هذا ؛ فإنّ المعادلة تقع بين مُفْرَدَيْن وبين جملتين ، والجملتان يكونان إسميتين وفعليّتين ؛ ولا يجوز أن يعَادَلَ بين إسمية وفعلية ؛ إلاّ أن تكون الاسمية بمعنى الفعلية ، أو الفعلية بمعنى الاسمية ، كقوله تعالى :

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾[3] أي : أم صمتم .

وقوله : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾[4] ؛ لأنّهم إذا قالوا له : أنت خير ، كانوا عنده بصراء ، فكأنه قال : أفلا تُبْصِرُونَ أم أنتم بصراء ؟

قال الصّفار : إذا كانت الجملتان مُوجَبَتين قدّمت أيَّهما شئت ، وإن كانت إحداهما منفيّة أخرتها ، فقلت : أقام زيد أم لم يقم ؟ ولا يجوز : ألم يقم ، أم لا ؟ ولا سواء عليّ ألم تقم أم قمت ! لأنهم يقولون : سواء عليّ أقمت أم لا ، يريدون : أم لم تقم، فيحذفون لدلالة الأول ، فلا يجوز هذا : سواء عليّ أم قمت ، لأنه حذف من غير دليل ، فحملت سائر المواضع المنفية على هذا .

(١) سورة : الزخرف . آية : ١٦ .
(٢) في النسخة ب : « ولهذا سأل » .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٩٣ .
(٤) سورة : الزخرف . آية : ٥١ ، ٥٢ .

قال : فإنه لا بد أن يتقدمها الاستفهام أو التسوية ، بخلاف « أو » فإنّه يتقدمها كلّ كلام إلا التسوية ، فلا تقول : سواء عليّ قمت أو قعدت ؛ لأن الواحد لا يكون « سواء » .

مسألـــة :

قال الصّفار : ينبغي أن يُعلَم أنّ السؤال بـ « أو » غير السؤال بـ « أم » .

فإذا قلت : أزيد عندك أم عمرو ؟ فجواب هذا : زيد أو عمرو ، وجواب « أو » نعم ، أو لا . ولو قلت في جواب الأول : نعم ، أو لا ، كان محالاً ، لأنك مدَّعٍ أنّ أحدهما عنده .

فإن قلت : وهل يجوز أن تقول : زيد أو عمرو ، في جواب : أقام زيد أو عمرو ؟

قلت : يكون تطوعاً بما لا يلزم، ولا قياس يمنعه .

وقال الزمخشري وابن الحاجب : وضع « أم » للعلم بأحد الأمرين ، بخلاف « أو » فأَنت مع « أم » عالم بأن أحدهما عندَه ، مستفهِم عن التعيين ، ومع « أو » مستفهم عن واحد منهما ، على حسب ما كان في الخبر ، فإذا قلت : أزيد عندك أو عمرو ؟ فمعناه : هل واحد منهما عندك ؟ ومن ثَمّ كان جوابه بـ « نعم » أولاً مستقيماً ، ولم يكن ذلك مستقيماً في « أم » لأن السؤال عن التعيين[1] .

٣ ـ إذَنْ

نوعان :

الأول : أن تدلّ على إنشاء السببية والشرط ؛ بحيث لا يُفهم[2] الارتباط من غيرها ، نحو « أزورك » فتقول : « إذن أكرِمَك » ، وهي في هذا الوجه عاملة

(١) أنظر : المفصل ، للزمخشري ص ٣٥ .

(٢) في النسخة جـ : « لا يعلم » .

تدخل على الجملة الفعلية فتنصب المضارع المستقبل ؛ إذا صُدِّرت ، ولم تفصل ، ولم يكن الفعل حالاً .

والثاني : أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدم ، أو منبّهة على سبب حصل[1] في الحال . وهي في الحال غير عاملة ؛ لأن المؤكدات لا يعتمد عليها ، والعامل يُعتمد عليه ، نحو « إن تأتني إذن آتك » ، « واللّهِ إِذَنْ لأَفْعَلَنّ » ، ألا ترى أنها لو سقطت لفهم الارتباط .

وتدخل هذه على الاسمية ، نحو أزورك فتقول : إذن أنا أكرمك .

ويجوز توسطها وتأخرها .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[2] ، فهي مؤكدة للجواب ، وتربطه بما تقدم .

وذكر بعضُ المتأخرين لها معنى ثالثاً ؛ وهي أن تكون مركبة من « إذ » التي هي ظرف زمن ماض ، ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديراً ، لكن حذفت الجملة تخفيفاً ، وأبدل التنوين منها ، كما في قولهم : « حينئذٍ » .

وليست هذه الناصبة المضارع ؛ لأن تلك تختص به ، وكذلك ما عملت فيه ، ولا يعمل إلا ما يختص ، وهذه لا تختص به ، بل تدخل على الماضي نحو :

﴿ وَإِذاً لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجراً عَظِيماً ﴾[3] .

و ﴿ إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلإِنْفَاقِ ﴾[4] .

و ﴿ إِذاً لأَذَقْنَاكَ ﴾[5] .

وعلى الاسم ، نحو : إن كنت ظالماً فإذَنْ حكمُك فيّ ماضٍ ، وقوله

---

(١) في النسخة جـ : « على سبب جعل في الحال » .

(٢) سروة : البقرة . آية : ١٤٥ .

(٣) سورة : النساء . آية : ٦٧ .

(٤) سورة : الإسراء . آية : ١٠٠ .

(٥) سورة : الإسراء . آية : ٧٥ .

تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[1] .

ورام بعض النحويين جعلها فيه بمعنى « بعد » .

واعلم أن هذا المعنى لم يذكره النحاة ، لكنه قياس قولهم : إنه قد تحذف الجملة المضاف إليها « إذ » ، ويعوّض عنها التنوين كيومئذٍ ، ولم يذكروا حذف الجملة من « إذا » وتعويض التنوين عنها .

وقال الشيخ أبو حيّان : في « التذكرة » : ذكر لي علم الدين القمتي ، أن القاضي تقي الدين بن رزين[2] ، كان يذهب إلى أن « إذن » عوض من الجملة المحذوفة ، وليس هذا بقوْل نحويّ . انتهى .

وقال القاضي ابن الجويني : وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال : أنا آتيك : « إذنْ أكرمُك » بالرفع ، على معنى « إذا أتيتني أكرمُك » فحذف « أتيتني » وعوض التنوين عن الجملة ، فسقطت الألف لالتقاء الساكنين .

قال : ولا يقدح في ذلك اتفاق النجاة ، على أن الفعل في مثل هذا المثال منصوب بـ« إذن » ؛ لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصباً للفعل ، ولا ينفي ذلك رفع الفعل بعده ، إذا أريد به « إذ » الزمانية معوضاً عن جملته التنوين ، كما أنّ منهم مَنْ يجزم ما بعدها ، نحو : من يزرني أكرمْه . يريدون بذلك الشرطية ، ولا يمنع مع ذلك الرفع بها إذا أريد الموصولة ، نحو : مَنْ يزورني أكرِمه .

قيل : ولولا قول النحاة : إنه لا يعمل إلا ما يختص ، وإن « إذن » عاملة في المضارع ، لقيل : إن « إذن » في الموضعين واحدة ، وإن معناها تقييد

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ٤٢ .

(٢) هو : محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رزين ، أبو عبد الله التيمي الأصبهاني : إمام في القراءات، عالم بالعربية . أصله من أصبهان ، ومولده بالري . توفي سنة ٢٥٣ هـ . من كتبه « الجامع » في القراءات، وكتاب « رسم « القرآن » .
(أنظر : غاية النهاية ٢/٢٢٣ . وأخبار أصبهان ٢/١٧٩ - والأعلام ٦/٣٢٢) .

ما بعدها بزمن أو حال ؛ لأن معنى قوله : أنا أزورك ، فيقول السامع : إذن أكرمك ، هو بمعنى قوله : أنا أكرمك زمن أو حال أو عند زيارتك لي .

ثم عند سيبويه معناها الجواب ، فلا يجوز أن تقول : « إذن يقوم زيد » ابتداءً ، من غير أن تجيب به أحداً .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ ﴾[1] ، فيحمل على أنه لجواب مقدر ، وأنه أجاب بذلك قوله : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[2] ، أي : بأنعمنا ، فأجاب : لم أفعل ذلك كفراً للنعمة كما زعمت ، بل فعلتها وأنا غير عارف بأن الوَكْزة تَقْضي ، بدليل قراءة بعضهم : « وَأَنَا مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ » .

٤ ـ إذا

نوعان : ظرف ، ومفاجأة .

فالتي للمفاجأة : خرجت فإذا السبع .

وتجيء إسماً وحرفاً ، فإذا كانت إسماً كانت ظرف مكان ، وإذا كانت حرفاً كانت من حروف المعاني الدّالة على المفاجأة .

كما أنّ الهمزة تدلّ على الاستفهام . فإذا قلت : خرجت فإذ زيدٌ ، فلك أن تقدر « إذا » ظرف مكان ، ولك أن تقدرها حرفاً ؛ فإن قدرتها حرفاً كان الخبر محذوفاً ، والتقدير « موجود » ، وإن قدرتها ظرفاً كان الخبر ، وقد تقدم ؛ كما تقول : عندي زيد ، فتخبر بظرف المكان عن الجثة ، والمعنى : حيث خرجت فهناك زيد .

ولا يجوز أن يكون في هذه الحالة ظرف زمان ، لامتناع وقوع الزمان خبراً عن الجُثّة ، وإذا امتنع أن تكون للزمان تعين أن تكون مكاناً .

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ١٩ .

(٢) سورة : الشعراء . آية : ٢٠ .

وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1] ، فإذا الأولى ظرفية ، والثانية مفاجأة .

وتجيء ظرف زمان :

وحق زمانها أن يكون مستقبلاً ، نحو ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[2] .

وقد تستعمل للماضي من الزمان ، كـ « إذْ » كما في قوله تعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[3] ؛ لأن « قالوا » ماض » فيستحيل أن يكون زمانه مستقبلاً .

ومثله قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾[4] .

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾[5] .

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾[6] .

﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾[7] .

﴿ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾[8] .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[9] ؛ لأن الانفضاض واقع في الماضي .

وتجيء للحال ، كقوله تعالى :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾[10].

---

(1) سورة : الروم . آية : ٤٨ .
(2) سورة : النصر . آية : ١ .
(3) سورة : آل عمران . آية : ١٥٦ .
(4) سورة : النمل . آية : ١٨ .
(5) سورة : الأنعام . آية : ٢٥.
(6) سورة : الكهف . آية : ٩٣ .
(7) سورة : الكهف . آية : ٩٦ .
(8) سورة : الكهف . آية : ٩٦ .
(9) سورة : الجمعة . آية : ١١ .
(10) سورة : النجم . آية : ١ .

﴿وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾[1] :

والتقدير : والنجم هاوياً ، والليل غاشياً ، والنهار متجلياً ، فـ « إذا » ظرف زمان ، والعامل فيه استقرار محذوف في موضع نصب على الحال ، والعامل فيها « أقسم » المحذوف .

وقد استشكل الزمخشريّ تقديرَ العامل في ذلك ، وأوضحه الشيخ أثير الدين ، فقال : إذا ظرف مستقبل ، ولا جائز أن يكون العامل فيه فعل القَسَم المحذوف ، لأن « أقسم » إنشائي فهو في الحال ، وإذا لما يُستقبل فيأبى أن يعمل الحال في المستقبل ؛ لاختلاف زمان العامل والمعمول .

ولا جائز أن يكون ثَمّ مضاف أقيم المقسَم به مقامه ، أي : وطلوعَ النجوم ، ومجيءَ الليل ؛ لأنه معمول لذلك الفعل ، فالطلوع حال ، ولا يعمل في المستقبل ، ضرورةَ أنّ زمان العامل زمان المعمول .

ولا جائز أن يعمل فيه نفس المقسَم به ، لأنه ليس من قبيل ما يعمل ، ولا جائز أن يقدر محذوف قبل الظرف ، ويكون قد عمل فيه ، فيكون ذلك العامل في موضع الحال ، وتقديره : والنجم كائناً إذا هوى ، والليل كائناً إذا يغشى ، لأنه يلزم « كائناً » ألّا يكون منصوباً بعامل ، إذ لا يصح ألّا يكون معمولاً لشيء مما فرضناه أن يكون عاملاً .

وأيضاً فيكون المقسَم به جثة ، وظروف الزمان لا تكون أحوالاً عن الجُثث ، كما لا تكون أخباراً لهنَّ .

فأما الوجه الأول فهو الذي ذكره أبو البقاء ، قال في قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾[2] : العامل في الظرف فعل القسم المحذوف ، تقديره : أُقْسِمُ بالنجم وقت هُوِيّه[3] .

---

(١) سورة : الليل . آية : ١ ـ ٢ .

(٢) سورة : النجم . آية : ١ .

(٣) أنظر : إملاء ما من به الرحمٰن ، للعكبري ١٣٢/٢ .

وما ذكره الشيخ عليه من الأشكال فقد يجاب عنه بوجهين :

أحدهما : أن الزمانين لما اشتركا في الوقوع المحقَّق نُزِّلا منزلة الزمان الواحد ؛ ولهذا يصحّ عطفُ أحدهما على الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ ﴾[1] ، ثم قال : ﴿ وَيَجْعَلْ ﴾[2] .

وهو قريب من جواب الفارسي ، لما سأله أبو الفتح عن قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾[3] مستشكلاً إبدال « إذْ » من « اليوم » فقال :

« اليوم » حال و« ظلمتم » في الماضي ، فقال : إنّ الدنيا والآخرة متّصلتان ، وإنهما في حكم الله تعالى سواء[4] فكأنّ « اليوم » ماض ، وكأن « إذ » مستقبله .

والثاني : أنه على ظاهره ، ولا يلزم ما ذكر ؛ لأن الحال كما تأتي مقارنة ، تأتي مقدرة ، وهي أن تقدر المستقبل مقارناً ، فتكون أطلقت ما بالفعل على ما بالقوّة مجازاً ، وجعلت المستقبل حاضراً ، كقوله تعالى : ﴿ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[5] .

وأما الوجه الثاني ؛ فيمكن أن يقال : يجوز تقديره ، وهو العامل ، ولا يلزم ما قال من اختلاف الزمانين ؛ لأنه يجوز الآن أن يقسم بطلوع النجم في المستقبل ويجوز أن يقسم بالشيء الذي سيوجد .

وأما الوجه الأخير ، فهو الذي ذكره ابن الحاجب في شرح « المفصل » فقال : إذا ثبت أنها لمجرد الظرفية ، فليست متعلقة بفعل القسم ، لأنه يصير المعنى : أقسِم في هذا الوقت ، فهي إذن في موضع الحال من الليل . انتهى .

وقد وقع في محذور آخر ؛ وهو أن الليل عبارة عن الزمان المعروف ، فإذا

---

(١) سورة : الفرقان . آية : ١٠ .

(٢) سورة : الفرقان . آية : ١٠ .

(٣) سورة : الزخرف . آية : ١٩ .

(٤) في النسخة ج ـ : « معاً » .

(٥) سورة : الزمر . آية : ٧٣ .

جعلت « إذاً » معمولة لفعل هو حال من الليل ، لزم وقوع الزمان في الزمان ، وهو محال .

وقوله : « يلزم ألاّ يكون له عامل » .

قلنا : بل له عامل ، وهو فعل القسم ، ولا يضرّ كونه إنشاء[1] لما ذكرنا أنها حال مقدرة .

وأما الشبهة الأخيرة فقد سألها أبو الفتح ، فقال : كيف جاز لظرف الزمان هنا أن يكون حالاً من الجُثّة ، وقد علم امتناع كونه صلة له وصفة وخبراً ! ؟

وأجاب بأنها جرت مجرى الوقت الذي يؤخر ويقدم . وهي أيضاً بعيدة لا تنالها أيدينا ، ولا يحيط علمُنا بها في حال نصبها ، إحاطتنا بما يقرب منها ، فجرت لذلك[2] مجرى المعدوم .

فإن قيل : كيف جاز لظرف الزمان أن يكون حالاً من النجم ؟

وأجاب : بأن مثل هذا يجوز في الحال ، من حيث كان فضلة . انتهى .

وقد يقال : ولئن سلّمنا الامتناع في الحال أيضاً ، فيكون على حذف مضاف ، أي وحضورَ الليل وتجعله حالاً من الحضور لا من الجثّة .

والتحقيق - وبه يرتفع الإشكال في هذه المسألة - : أن يُدّعى أن « إذا » كما تجرد عن الشرطية كذلك تجرّد عن الظرفية ، فهي في هذه الآية الشريفة لمجرد الوقت من دون تعلّق بالشيء تعلُّقَ الظرفية الصناعية ، وهي مجرورة المحلّ ها هنا لكونها بدلاً عن الليل ، كما جُرّتْ بـ « حتّى » في قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا ﴾[3] . والتقدير : أقسم بالليل وقت غشيانه ، أي : أقسم بوقت غشيان الليل ، وهذا واضح .

---

(1) في النسخة جـ : « إنشائياً » .
(2) في النسخة جـ : « فجرت كذلك » .
(3) سورة : الزمر . آية : ٧١ .

فإن قلت : هل صارَ أحدٌ إلى تَجَرّدها عن الظرفية والشرطية معاً ؟

قلت : نعم نص عليه في « التسهيل » فقال : وقد تفارقها الظرفية ، مفعولاً بها ، أو مجرورة بحتى ، أو مبتدأ .

وعلم مما ذكرنا زيادة رابع ، وهو البدلية .

فائـــدة :

وتستعمل أيضاً للاستمرار ، كقـوله : ﴿ وَإِذَا لَقُـوا ٱلَّذِينَ آمَنُـوا قَالُـوا آمَنَّا ﴾[1] .

وقوله : ﴿ لَا تَكُـونُوا كَـالَّذِينَ كَفَـرُوا وَقَالُـوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَـرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] ، فهذا فيما مضى ، لكن دخلت « إذا » لتدلّ على أنّ هذا شأنهم أبداً ومستمر فيما سيأتي ، كما في قوله :

وَنَـدْمَانٍ يَـزِيـدُ الكـأْسَ طيبـاً سُقِيتُ إِذَا تَغَـوَّرَتِ ٱلنُّجُـومُ

ثم فيه مسائل :

١ ـ **الأولى** : المفاجأة عبارة عن موافقة الشيء في حالٍ أنت فيها ، قال تعالى :

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[3] .

قالوا : ولا تقع بعد « إذا » المفاجأة إلا الجملة الاسمية ، وبعد « إذ » إلاّ الفعل الماضي .

ومذهب المبرد ـ وتبعه أكثر المتأخرين ـ أن المفاجأة نقلها إلى المكان عن

---

(١) سورة : البقرة . آية : ١٤ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ٥٦ .

(٣) سورة : الروم . آية : ٣٦ .

الزمان ، ومعنى الآية موافقة الثّعبان لإلقاء موسى العصا في المكان . وكذا قولهم : خرجت فإذا السبع ، أي فإذا موافقة السبع ، وعلى هذا لا يكون مضافاً إلى الجملة بعدها .

٢ ـ **الثانية** : الظرفية ضربان : ظرف مَحْض ، وظرف مضمّن معنى الشرط .

فالأول : نحو قولك : راحة المؤمن إذا دخل الجنة .

ومنه : قوله تعالى : ﴿وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾(١) .

ومنه : « إذا كنت عليّ راضية » و« إذا كنت عليّ غضبى » ؛ لأنه لو كان فيها معنى الشرط ، لكان جوابها معنى ما تقدم ، ويصير التقدير في الأوّل « إذا يغشى أقسم » فيفسد المعنى ، أو يصير القسم متعلّقاً على شرط ، لا مطلقاً فيؤدي إلى أن يكونَ القَسَم غير حاصل الآن ؛ وإنما يحصل إذا وجد شرطه ، وليس المعنى عليه ، بل على حصول القسم الآن من غير تقييد .

وكذا حكم : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾(٢) ﴿وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾(٣) .

ومما يتمحض للظرفية العارية من الشرط قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾(٤) ، لأنّه لو كان فيها معنى الشرط لوجبت الفاء في جوابها .

والضرب الثاني : يقتضي شرطاً وجواباً ، ولهذا تقع الفاء بعدها على حدّ وقوعها بعد « إذا » ، كقوله تعالى :

﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا﴾(٥).

---

(١) سورة : الليل . آية : ١ .
(٢) سورة : النجم . آية : ١ .
(٣) سورة : الفجر . آية : ٤ .
(٤) سورة : الشورى . آية : ٣٩ .
(٥) سورة : الأنفال . آية : ٤٥ .

وكذا كثر وقوع الفعل بعد ماضي اللفظ مستقبل المعنى ، نحو : إذا جئتني أكرمتك .

ومنه : « إذا قلتَ لصاحبك أنْصِت فقد لغوت ».

وتختص المضمّنة معنى الشرط بالفعل ، ومذهب سيبويه أنها لا تضاف إلا إلى جملة فعلية ، ولهذا إذا وقع بعدها إسم قدِّر بينه وبينها فعل ، محافظة على أصلها ؛ فإن كان الاسم مرفوعاً كان فاعلَ ذلك الفعل المقدر ، كقوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنْشَقَّتْ ﴾[1] ، وإن كان منصوباً كان مفعولاً والفاعل فيه أيضاً ذلك المقدّر ، كقوله :

* إذا ابنُ أبي موسى بلالاً بلغته *

والتقدير : إذا بلغت .

ومنهم من منع اختصاصَها بالفعل ، لجواز : « إذا زيد ضربته » .

وعلى هذا فالمرفوع بعدها مبتدأ ، وهو قول الكوفيين، واختاره ابن مالك .

وعلى القولين فمحلّ الجملة بعدها الجر بالإضافة ، والفاعل فيها جوابها . وقيل : ليست مضافة والعامل فيها الفعل الذي يليها ، لا جوابه .

تنبيـــه :

مما يفرق فيه بين المفاجأة والمجازاة ، أنّ « إذا » التي للمفاجأة لا يبتدأ بها ، كقوله : ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[2] ، والتي بمعنى المجازاة يبتدأ بها ، نص عليه سيبويه ، فقال في الأولى : إذا جواب ، بمنزلة الفاء ، وإنما صارت جواباً بمنزلة الفاء ، لأنه لا يبدأ بها كما لا يُبدأ بالفاء .

---

(١) سورة : الإنشقاق . آية : ١ .

(٢) سورة : الروم . آية : ٣٦ .

قال ابن النحاس : ولكن قد عورض سيبويه بأن الفاء قد تدخل عليها ، فكيف تكون عِوَضاً منها ؟

والجواب : أنها إنما تدخل توكيداً ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴾[1] ، فيحتمل أنها متمحضة الظرفية لعدم الفاء في جوابها مع « ما » ، ويحتمل أن يكون « ما » جواب قسم مقدر ، لا جواب الشرط ، فلذلك لم يجيء بالفاء .

٣ ـ **الثالثة** : جوز ابن مالك أن تجيء لا ظرفاً ولا شرطاً ، وهي الداخلة عليها « حتّى » الجارة .

كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا ﴾[2] . أو الواقعة مفعولاً .

كقوله عليه السلام : « إني لأعلم إذا كنتِ عليّ راضية »[3] .

وكما جاز تجردها عن الشرط جاز تجردها عن الظرف .

وتَحصّل أنها تارة ظرف لما يُستقبل وفيها معنى الشرط ، نحو : ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ ﴾[4] .

وتارة ظرف مستقبل غير شرط ، نحو : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾[5] .

وتارة ظرف غير مستقبل ، نحو : ﴿ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾[6] .

وتارة لا ظرف ولا شرط .

---

(١) سورة : الجاثية . اية : ٢٥ .

(٢) سورة : الزمر . آية : ٧١ .

(٣) أنظر الحديث في : مسند الإمام أحمد ٦١/٦ . والسنن الكبرى للبيهقي ٢٧/١٠ . وفتح الباري ٣٢٥/٩ . وشرح السنة للبغوي ١٩٦/٩ . ومشكاة المصابيح ٣٢٤٥ . وإتحاف السادة المتقين ٣٥٣/٥ . وكنز العمال ٣٤٣٥٩ وتاريخ بغداد ٦١/٣ .

(٤) سورة : الطلاق . آية : ١ .

(٥) سورة : مريم . آية : ٦٦ .

(٦) سورة : التوبة . آية : ٩٢ .

وتارة لا تكون إسم زمان ، وهي المفاجأة .

٤ ـ الرابعة : أصلُ « إذا » الظرفية لما يُستقبل من الزمان ؛ كما أنّ « إذْ » لما مضى منه ، ثم يتوسع فيها ، فتستعمل في الفعل المستمرّ في الأحوال كلها : الحاضرة ، والماضية ، والمستقبلية ؛ فهي في ذلك شقيقة الفعل المستقبل الذي هو يفعل حيث يفعل به نحو ذلك . قالوا : إذا استُعصِي فلانٌ أعْطَى ، وإذا استُنصِر نَصَر ، كما قالوا : فلان يعطي الراغب ، وينصر المستغيث ، من غير قصد إلى تخصيص وقت دون وقت . قاله الزمخشري في كشافه القديم .

٥ ـ الخامسة : تجاب الشرطية بثلاثة أشياء :

أحدها : الفعل ، نحو إذا جئتَني أكرمتك .

وثانيها : الفاء ، نحو إذا جئتني فأنا أكرمك .

ثالثها : إذا المكانية ؛ قال تعالى :

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[1] .

وقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾[2] .

وما قبلها إمّا جوابها ، نحو إذا جئتَني أكرمتك ، أو ما دل عليه جوابها ، كقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾[3] .

والمعنى : فإذا نُفِخ في الصور تقاطعوا ، ودلّ عليه قوله : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ ﴾ .

---

(١) سورة : الروم . آية : ٢٥ .

(٢) سورة : المؤمنون . آية : ٦٤ .

(٣) سورة : المؤمنون . آية : ١٠١ .

وكذا قوله : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] .

وإنما احتيج لهذا التقدير ؛ لأن ما بعد « ما » النافية في مثل هذا الموضع لا يعمل فيه ما قبلها . وأيضاً فإن « بشرى » مصدر ، والمصدر لا يتقدم عليه ما كان في صلته .

ومن ذلك قوله : ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[2] ، فالعامل في « إذا » الأولى ما دلّ عليه ﴿ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ ، والتقدير « خرجتم » . ولا يجوز أن يعمل فيه « تخرجون » لامتناع أن يعمل ما بعد « إذا » المكانية فيما قبلها ، وحكمها في ذلك حكم الفاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾[3] ، فالعامل في « إذا » ما دلّ عليه قوله : ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ ، والتقدير : فإذا نُقر في الناقور صَعُب الأمر .

وقوله : ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ ﴾[4] ، فالعامل في «إذا» ما دل عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[5] من معنى «بعثتم» أو «مبعوثون» .

فإن قيل : أيجوز نصب « إذا » بقوله « جديد » ، لأن المعنى عليه ؟

قيل : لا يجوز ، لامتناع أن يعمل ما بعد « إنّ » فيما قبلها ؛ وهذا يسمى مجاوبة الإعراب ، والمعنى للشي الواحد . وكان أبو علي الفارسي يلمّ به كثيراً ؛ وذلك أنه يوجد في المنظوم والمنثور . والمعنى يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ؛ وقد سبق بيانه في نوع ما يتعلق بالإعراب .

٦ ـ السادسة : « إذَا » توافق « إنْ » في بعض الأحكام ، وتخالفها في بعض :

---

(١) سورة : الفرقان . اية : ٢٢ .
(٢) سورة : الروم . آية : ٢٥ .
(٣) سورة : المدثر . آية : ٨ ـ ٩ .
(٤) سورة : سبإ. آية : ٧ .
(٥) سورة : سبإ. آية : ٧ .

فأما الموافقة ؛ فهي أنّ كلّ واحد منهما يطلب شرطاً وجزاءً ، نحو : إذا قمتَ قمتُ ، وإذا زرتَني أكرمتُك .

وكلّ واحدة منهما تطلب الفعل ، فإن وقع الاسم بعد واحدة منهما قُدّر له فعلٌ يرفعُه يفسّره الظاهر :

مثاله في « إن »[1] قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾[2] .

﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾[4] .

ومثاله في « إذا » قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنْشَقَّتْ ﴾[5] .

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[6] وما بعدها في السورة من النظائر .

وكذا قوله : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنْفَطَرَتْ ﴾[7] وما بعدها من النظائر .

و ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾[8] .

وأما الأحكام التي تخالفها ففي مواضع :

الأول : ألا تدخل إلا عَلَى مشكوك ؛ نحو إن جئتَني أكرمتُك ، ولا يجوز : إن طلعت الشمس آتيك ، لأنّ طلوع الشمس متيقّن . ثم إن كان المتيقّن الوقوع مُبْهم الوقت ، جاز ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَفَإِن مِتَّ ﴾[9] ، ونظائره .

---

(١) في الأصول : « ومثاله قوله » .
(٢) سورة : النساء . آية : ١٢٨ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٧٦.
(٤) سورة : التوبة . آية : ٦ .
(٥) سورة : الانشقاق . آية : ١ .
(٦) سورة : التكوير . آية : ١ .
(٧) سورة : الانفطار . آية : ١ .
(٨) سورة : الواقعة . آية : ١ .
(٩) سورة : الأنبياء . آية : ٣٤ .

وأما « إذا » فظاهر كلام النحاة ، يُشعر بأنها لا تدخل إلا على المتيقّن وما في معناه ؛ نحو إذا طلعت الشمس فأْتني .

وقوله :

* إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَـةٍ *

وقوله :

* إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ ٱلنَّهَـارِ فَسَلِّمِي *

وذلك لكونها للزمن المعيَّن بالإضافة على مذهب الأكثر ؛ ولم يجزموا بها في الاختيار لعدم إبهامها ، كالشروط ، ولذلك وردت شروط القرآن بهـا ، كقوله : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[1] ونظائرها السابقة ، لكونها متحققة الوقوع .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾[2] ، فقد أشكل دخولُها على غير الواقع .

وأجيب بأن التبديل محتمل وجهين :

أحدهما : إعادتهم فى الآخرة ، لأنهم أنكروا البعث .

والثاني : إهلاكهم في الدنيا وتبديل أمثالهم ؛ فيكون كقوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾[3] ، فإن كان المراد في الدنيا ، وجب أن يجعل هذا بمعنى « إن » الشرطية ؛ لأنّ هذا شيء لم يكن ، فهي مكان « إن » ، لأنّ الشرط يمكن أن يكون وألاّ يكون ، ألا ترى إلى ظهورها في قوله تعالى :

﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾[4] .

﴿ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلأَرْضَ﴾[5] ، وإنما أجاز لـ « إذا » أن تقع موقع « إن » ما بينهما من التداخل والتشابه .

---

(١) سورة : التكوير . آية : ١ .
(٢) سورة : الإنسان . آية : ٢٨ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٣٣ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١٣٣ .
(٥) سورة : سبإ . آية : ٩ .

وقال ابن الجويني : الذي أظنه أنه يجوز دخولها على المتيقّن والمشكوك ، لأنها ظرف وشرط ، فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك ، كـ « إن » ، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقّن كسائر الظروف .

وإنما اشترط فيما تدخل عليه إن « أن » يكون مشكوكاً فيه ؛ لأنها تفيد الحثّ على الفعل المشروط لاستحقاق الجزاء ، ويمتنع فيه لامتناع الجزاء وإنما يُحَثّ على فعل ما يجوز ألّا يقع ، أما ما لا بدّ من وقوعه فلا يحثّ عليه . وإنما امتنع دخول » إذا » على المشكوك إذا لحظت فيها الظرفية ؛ لأن المعنى حينئذٍ التزام الجزاء في زمان وجود الشرط ، والتزام الشيء في زمان لا يعلم وجود شرط فيه ليس بالتزام . ولما كان الفعل بعد « إن » مجزوماً به يستعمل فيه ما ينبىء عن تحققه ، فيغلب لفظ الماضي ، كقوله :

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾[1] .

فجيء بـ « إذا » في جانب الحسنة، وبـ « إن » في جانب السيئة ؛ لأن المراد بالحسنة جنس الحسنة ، ولهذا عرِّفت ، وحصولُ الحسنة المطلقة مقطوع به ، فاقتضت البلاغة التعبير بـ « إذا » وجيء بـ « إن » في جانب السيئة ؛ لأنها نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ، كالمرض بالنسبة إلى الصحة ، والخوف بالنسبة إلى الأمن .

ومنه قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾[3] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾[4] ، بلفظ « إذا » مع « الضر » فقال السكاكي :

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٣١ .

(٢) سورة : الروم . آية : ٣٦ .

(٣) سورة : الروم . آية : ٤٨ ـ ٤٩ .

(٤) سورة : الزمر . آية : ٨ .

نظر في ذلك إلى لفظ المسّ ، وتنكير « الضرّ » المفيد للتعليل ليستقيم التوبيخ ، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر ، وللتنبيه على أن مسّ قَدْرٍ يسير من الضرّ لأمثال هؤلاء ، حقُّه أن يكون في حكم المقطوع به .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ بعد قوله : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ ٱلْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾[1] ، أي أعرض عن الشكر ، وذهب بنفسه وتكبّر . والذي تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير للمعرِض المتكبّر لا لمطلق الإنسان ، ويكون لفظ « إذا » للتنبيه على أنّ مثل هذا المعرِض المتكبر يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعاً .

الثاني : من الأحكام المخالِفة أنّ المشروط بـ« إنْ » إذا كان عدماً لم يمتنع الجزاء في الحال ؛ حتى يتحقق اليأس من وجوده ، ولو كان العدم مشروطاً بـ« إذا » وقع الجزاء في الحال ؛ مثل : إن لم أطلقك فأنت طالق ، لم[2] تطلق إلا في آخر العمر . وإذا قال : إذا لم أطلقك فأنت طالق ، تطلق في الحال ؛ لأن معناه : أنت طالق في زمان عدم تطليقي لك ، فأيّ زمان تخلّف عن التطليق يقع فيه الطلاق . وقوله : « إن لم أطلقك » تعليق للطلاق على امتناع الطلاق ، ولا يتحقق ذلك إلا بموته غير مطلّق .

الثالث : أنّ « إن » تجزم الفعل المضارع إذا دخلت عليه ، و« إذا » لا تجزمه ؛ لأنها لا تتمحض شرطاً ، بل فيها معنى التزام الجزاء في وقت الشرط ، من غير وجوب أن يكون معلّلاً بالشرط .

وقد جاء الجزم بها إذا أريد بها معنى « إن » وأعرِض عما فيها من معنى الزمان ، كقوله :

* وَإِذَا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ *

---

(١) سورة : فصلت . آية : ٥١ .

(٢) في النسخة جـ : « لا تطلق » .

الرابع : أن « إذا » هل تفيد التكرار والعموم ؟

فيه قولان ، حكاهما ابن عصفور :

أحدهما : « نعم » ، فإذا قلت : إذا قام زيد قام عمرو ، أفادت أنه كلّما قام زيد قام عمرو .

والثاني : لا يلزم .

قال: والصحيح أن المراد بها العموم كسائر أسماء الشرط ، وأما « إن » ففيها كلام عن ابن جني يأتي في باب « إن » .

الخامس : أنك تقول : أقوم إذا قام زيد ، فيقتضي أن قيامَك مرتبط بقيامه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ، بل يعاقبه على الاتصال ، بخلاف : أقوم إن قام زيد ؛ فيقتضي أن قيامَك بعد قيامه . وقد يكون عَقِبه وقد يتأخر عنه .

فالحاصل أن التقييد بالاستقبال دون اقتضاء مباعدة ، بخلاف « إذا » . ذكره أبو جعفر بن الزبير في كتابه ملاك التأويل .

٧ ـ **السابعة** : قيل : قد تأتي زائدة ، كقوله ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾(١) ؛ تقديره : انشقت السماء ، كما قال : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾(٢) ، ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾(٣).

وردّ هذا بأن الجواب مضمَر .

ويجوز مجيئها بمعنى « إذ » وجعل منه ابن مالك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ﴾(٤) .

وردّ بفوات المعنى ، لأن « إذا » تفيد أنّ هذا حالهم المستمرّ ، بخلاف « إذ » فإنها لا تعطي ذلك .

---

(١) سورة : الإنشقاق . آية : ١ .
(٢) سورة : القمر . آية : ١ .
(٣) سورة : النحل . آية : ١ .
(٤) سورة : الجمعة . آية : ١١ .

وقولهم : « إذا فعلت كذا » ، فيكون على ثلاثة أضرب :

أحدها : يكون المأمور به قبل الفعل ، تقول : إذا أتيت البابَ ، فالبس أحسن الثياب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾[1] .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾[2] .

الثاني : أن يكون مع الفعل ، كقولك : إذا قرأت فترسّل .

الثالث : أن يكون بعده ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾[3] .

﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا ﴾[4] .

فائـــدة :

من الأسئلة الحسنة، في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾[5] أنّه يقال : لم أتى قبل « أضاء » بـ « كلّما » .

وقبل « أظلم » بـ « إذا » ؟ وما وجه المناسبة في ذلك ؟

وفيه وجوه :

الأول : أن تكرار الإضاءة يستلزم تكرار الإظلام ، فكان تنويع الكلام أعْذَب .

الثاني : أن مراتب الإضاءة مختلفة متنوعة ، فذكر « كلّما » تنبيهاً على ظهور التعدد وقوته لوجوده بالصورة والنوعية ، والإظلام نوع واحد ، فلم يؤتَ بصيغة التكرار لضعف التعدد فيه ، بعدم ظهوره بالنّوعية ، وإن حصل بالصورة .

الثالث : قاله الزمخشري ، وفيه تكلّف ـ أنهم لما اشتد حرصُهم على

(١) سورة : المائدة . اية : ٦ .
(٢) سورة : النحل . آية : ٩٨ .
(٣) سورة : المائدة . آية : ٢ .
(٤) سورة : الجمعة . آية : ٩ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .

الضوء المستفاد من النور ، كانوا كلّما حدث لهم نور تجدّد لهم باعث الضوء فيه ، لا يمنعهم من ذلك تقدّم فقده واختفاؤه منهم ، وأما التوقُّف بالظلام فهو نوع واحد .

وهذا قريب من الجواب الثاني ، لكنّه بمادة أخرى . ويفترقان بأن جواب الزمخشري يرجع التكرار فيه إلى جواب « كلّما » لا إلى مشروطها الذي يليها ويباشرها ، فطلب تكراره ـ وهو الأولى في مدلول التكرار ، والجواب المتقدم يرجع إلى تكرار مشروطها ، يتبعه الجواب من حيث هو ملزومه ، وتكرره فرع تكرر الأول .

الرابع : أن إضاءة البرق منسوبة إليه وإظلامه ليس منسوباً إليه ، لأن إضاءته هي لمعانه ، والظلام أمرٌ يحدث عن اختفائه ؛ فتظلم الأماكن كظلام الأجرام الكثائف ، فأتى بأداة التكرار عند الفعل المتكرر من البرق ، وبالأداة التي لا تقتضي التكرار عند الفعل الذي ليس متكرراً منه ، ولا صادراً عنه .

الخامس : ذكره ابن المنيِّر ـ أن المراد بإضاءة البرق الحياة ، وبالظلام الموت ، فالمنافق تمرّ حاله في حياته بصورة الإيمان ، لأنها دار مبنية على الظاهر ، فإذا صار إلى الموت رفعت له أعماله ، وتحقق مقامه ، فتستقيم « كلما » في الحياة ، و« إذا » في الممات .

هكذا كقول النبي ﷺ : « اللهم أحيِني ما دامت الحياة خيراً لي ، وأمتني إذا كانت الوفاة خيراً لي »[1] .

فاستعمل مع الحياة لفظ التكرار والدوام ، واستعمل مع لفظ الوفاة لفظ الاختصار والتقييد .

---

(1) أنظر الحديث في : صحيح البخاري ١٥٦/٧ ، ٩٤/٨ . ومسلم ٢٠٦٤ . وسنن أبي داود ٣٤٠٥ وسنن ابن ماجة ٤٢٦٥ . والسنن الكبرى للبيهقي ٣٧٧/٣ . وإتحاف السادة المتقين ٦١٧/٩ ، ٢٢٣/١٠ . وتاريخ بغداد ٢٣٥/٥ . وإرواء الغليل ١٤٧/٣ . وعمل اليوم والليلة لابن السني ٥٤٤ ، ٥٥٧ . وفتح الباري ١٢٧/١٠ ، ١٥٠/١١ . =

وقيل : إن ذلك لأحد معنيين : إمّا لأنّ الحياة مأثورة لازدياد العمل الصالح الذي الهمم العالية معقودة به ، فعرّض بالاستكثار منه ، والدوام عليه ، ونبّه على أنّ الموت لا يُتمنّى، ولكن إذا نزل وقته رضي به . وإمّا لأن الحياة يتكرر زمانها ، وأما الموت مرة واحدة .

وجواب آخر ، أنّ الكلام في الأنوار هو الأصل المستمرّ ، وأما خفقان البرق في أثناء ذلك فعوارض تتصل بالحدوث والتكرار ، فناسب الإتيان فيها « بكلما » وفي تلك بـ « إذا » ، والله أعلم .

٥ ـ إذ

ظرف لماضي الزمان ، يضاف للجملتين ، كقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾(١) .

وتقول : أيّدك الله إذْ فعلت ؟

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ ﴾(٢) . فـ «تَرَى» مستقبَل ، «وإذا» ظرف للماضي ، وإنما كان كذلك لأن الشيء كائن ، وإن لم يكن بعد ؛ وذلك عند الله قد كان ؛ لأن علمه به سابق ، وقضاءه به نافذ ؛ فهو كائن لا محالة .

وقيل : المعنى : ولو ترى ندمَهم وخِزْيَهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار فـ « إذا » ظرف ماضٍ ، لكن بالإضافة إلى ندمهم الواقع بعد المعاينة ، فقد صار وقت التوقف ماضياً بالإضافة إلى ما بعده ، والذي بعده هو مفعول « ترى » .

= وشرح السنة للبغوي ٥/٢٥٧ .

(١) سورة : الأنفال . آية : ٢٦ .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ٢٧ .

وأجاز بعضهم مجيئها مفعولاً به ، كقوله : ﴿ وَٱذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾[1] ، ومنعه آخرون ، وجعلوا المفعول محذوفاً ، و« إذ » ظرف ، عامله ذلك المحذوف ، والتقدير : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ إذاً ، واذكروا حالكم .

ونحوه قوله : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ﴾[2] ، قيل : قال له ذلك لمّا رفعه إليه .

وتكون بمعنى « حين » كقوله : ﴿ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[3] ، أي : حينَ تُفيضون فيه .

وحرف تعليل ، نحو : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾[4] .

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾[5] .

وقيلَ : تأتي ظرفاً لما يستقبل بمعنى « إذا » ، وخُرّج عليه بعض ما سبق .

وكذا قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذِ ٱلأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾[6] وأنكره السُّهَيلي ؛ لأن « إذا » لا يجيء بعدها المضارع مع النفي .

وقد تجيء بعد القسم ، كقوله : ﴿ وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[7] لانعدام معنى الشرطية فيه .

وقيل : تجيء زائدة ، نحو : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ ﴾[8] . وقيل : هي فيه بمعنى « قد » .

وقد تجيء بمعنى « أنّ » ، حكاه السُّهَيليّ في « الروض » عن نص سيبويه في كتابه ، قال : ويشهد له قوله تعالى : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[9] .

---

(١) سورة : الأنفال . آية : ٢٦ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ٥٥ .
(٣) سورة : يونس . آية : ٦١ .
(٤) سورة : الزخرف . آية : ٣٩ .
(٥) سورة : الأحقاف . آية : ١١ .
(٦) سورة : غافر . آية : ٧٠ ـ ٧١ .
(٧) سورة : الفجر . آية : ٤ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ٣٠ .
(٩) سورة : آل عمران . آية : ٨٠ .

وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[1] .

قال : وغفل الفارسي عمّا في الكتاب من هذا ، وجعل الفعل المستقبل الذي بعد « أن » عاملاً في الظرف الماضي ، فصار بمنزلة من يقول : سآتيك اليوم أمس .

قال : وليت شعري ما تقول في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[2] ، فإن جوز وقوع الفعل في الظرف الماضي على أصله ، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها ؛ لا سيما مع السين وهو قبيح أن تقول : غداً سآتيك ! فكيف إن قلت : غداً . فسآتيك ! فكيف إن رددت على هذا وقلت : أمس فسآتيك رادًّا على أصله بمعنى أمس .

تنبيـــه :

حيث وقعت « إذ » بعد « واذكر » ، فالمراد به الأمر بالنظر إلى ما اشتمل عليه ذلك الزمان ، لغرابة ما وقع فيه ، فهو جدير بأن ينظر فيه .

وقد أشار إلى هذا الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنْتَبَذَتْ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾[4] ، ونظائره .

٦ ـ أو

تقع في الخبر ، والطلب .

فأما في الخبر ، فلها فيه معان :

(١) سورة : الزخرف . آية : ٣٩ .
(٢) سورة : الأحقاف . آية : ١١ .
(٣) سورة : مريم . آية : ١٦ .
(٤) سورة : مريم . آية : ٤١ ، ٤٢ .

الأول : الشكّ ، نحو قام زيد أو عمرو .

والثاني : الإبهام ، وهو إخفاء الأمر على السامع مع العلم به ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً ﴾[1].

وقوله : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً ﴾[2] .

يريد : إذا أخذت الأرض زخرفَها ، وأخذ أهلُها الأمن ، أتاها أمرنا وهم لا يعلمون . أي فجأة ؛ فهذا إبهام ؛ لأن الشكّ محال على الله تعالى .

وقوله : ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[3] .

فإن قلت : « يزيدون » فعل ، ولا يصحّ عطفه على المجرور بـ « إلى » ، فإنّ حرف الجرّ لا يصح تقديره على الفعل ، ولذلك لا يجوز : مررت بقائم ويقعد ، على تأويل : « قائم وقاعد » .

قلت : « يزيدون » خبر مبتدأ محذوف في محل رفع ، والتقدير « أوْ هم يزيدون » . قاله ابن جني في « المحتسب » .

وجاز عطف الاسمية على الفعلية بـ « أو » لاشتراكهما في مطلق الجملة .

فإن قلت : فكيف تكون « أو » هنا لأحد الشيئين ، والزيادة لا تنفكّ عن المزيد عليه ؟

قلت : الأمر كذلك ؛ ولهذا قدروا في المبتدأ ضمير المائة ألف ، والتقدير : وأرسلناك إلى مائة ألف معها زيادة . ويحتمل أن تكون على بابها للشكّ ، وهو بالنسبة إلى المخاطب ، أي لو رأيتموهم لعلمتم أنهم مائة ألف أو يزيدون .

---

(1) سورة : سبإ . آية : ٢٤ .

(2) سورة : يونس . آية : ٢٤ .

(3) سورة : الصافات . آية : ١٤٧ .

الثالث : التنويع ، كقوله تعالى :

﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[1] ، أي : أن قلوبهم تارة تزداد قسوة ، وتارة تردّ إلى قسوتها الأولى ، فجيء بـ « أو » لاختلاف أحوال قلوبهم .

الرابع : التفصيل ، كقوله :

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[2] ، أي : قالت اليهود : لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا الذين هم نصارى .

وكذلك قوله : ﴿ كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[3] .

الخامس : للإضراب كـ « بل » ، كقوله :

﴿ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[4] .

و ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[5] على حدّ قوله : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[6] .

السادس : بمعنى الواو ، كقوله :

﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً . عُذْراً أَوْ نُذْراً ﴾[7] .

﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[8] .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾[9] .

وأما في الطلب فلها معان:

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٧٤ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١١١ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ١٣٥ .
(٤) سورة : النحل . آية : ٧٧ .
(٥) سورة : الصافات . آية : ١٤٧ .
(٦) سورة : النجم . آية : ٩ .
(٧) سورة : المرسلات . آية : ٥ ـ ٦ .
(٨) سورة : طه . آية : ٤٤ .
(٩) سورة : طه . آية : ١١٣ .

الأول : الإباحة ، نحو تعلّم فقهاً أو نحواً ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ . . . ﴾[1] الآية .

وكذلك قوله : ﴿ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[2] ، يعني : إن شُبِّهت قلوبهم بالحجارة فصواب ، أو بما هو أشدّ فصواب .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾[3] ، ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾[3] .

والمعنى : أن التمثيل مباح في المنافقين إن شبّهتموهنّ بأيّ النوعين .

وقوله : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[4] إباحة لإيقاع أحد الأمرين .

الثاني : التخيير ، نحو خذ هذا الثوب أو ذاك ، ومنه قوله تعالى :

﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي ٱلسَّمَاءِ . . . ﴾[5] الآية ؛ فتقديره : « فافعل » ؛ كأنه خيّر على تقدير الاستطاعة أن يختار أحدَ الأمريْن ؛ لأنّ الجمع بينهما غير ممكن .

والفرق بينهما : أن التخيير فيما أصله المنع ؛ ثم يَرِد الأمر بأحدهما ؛ لا على التعيين ، ويمتنع الجمع بينهما .

وأما الإباحة فأنْ يكون كلّ منهما مباحاً ويطلب الإتيان بأحدهما ؛ ولا يمتنع من الجمع بينهما ؛ وإنما يذكر بـ « أو » لئلا يُوهم بأن الجمع بينهما هو الواجب لو ذكرت الواو ؛ ولهذا مثّل النحاة الإباحة بقوله تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ . . . ﴾[6] وقوله : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[7] ؛ لأن المراد به الأمر بأحدهما رفقاً بالمكلّف ؛ فلو أتى بالجمع لم يمنع منه ؛ بل يكون أفضل .

---

(١) سورة : النور . آية : ٦١ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٧٤ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ١٧ ـ ١٩ .
(٤) سورة : طه . آية : ٤٤ .
(٥) سورة : الأنعام . آية : ٣٥ .
(٦) سورة : المائدة . آية : ٨٩ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ١٩٦ .

وأما تمثيل الأصوليين بآيتي الكفّارة وٱلْفِدْية للتخيير مع إمكان الجمع ؛ فقد أجاب عنه صاحب « البسيط » بأنه إنما يمتنع الجمع بينهما في المحظور ؛ لأن أحدَهما ينصرف إليه الأمرُ ، والآخر يبقى محظوراً لا يجوز له فعله ؛ ولا يمتنع في خصال الكفارة ؛ لأنه يأتي بما عدا الواجب تبرعاً ؛ ولا يمنع من التبرع .

واعلم أنّه إذا وَرَد النهي على الإباحة جاز صرفُه إلى مجموعهما ؛ وهو ما كان يجوز فعله ؛ أو إلى أحدهما وهو ما تقتضيه « أو » .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾[1] ؛ فليس المراد منه النهي عن إطاعة أحدهما دون الآخر ؛ بل النهي عن طاعتهما مفردَيْن أو مجتمعَيْن ، وإنما ذكرت « أو » لئلا يُتَوَهَّمْ أن النهي عن طاعة من اجتمع فيه الوصفان .

وقال ابن الحاجب : استشكل قوم وقوع « أو » في النهي في هذه الآية ، فإنه لو انتهى عن أحدهما لم يمتثل ، ولا يعدّ ممتثلاً ؛ إلا بالانتهاء عنهما جميعاً !

فقيل : إنها بمعنى « الواو » . والأَوْلى أنها على بابها ؛ وإنما جاء التعيين فيها من القرينة ، لأن المعنى قبل وجود النهي : « تطيع آثماً أو كفوراً » ، أي واحداً منهما ؛ فإذا جاء النهيُ ورد على ما كان ثابتاً في المعنى ؛ فيصير المعنى : « ولا تطع واحداً منهما » ، فيجيء التعميم فيهما من جهة النهي الداخل ؛ وهي على بابها فيما ذكرناه ، لأنّه لا يحصل الانتهاء عن أحدهما حتى ينتهيَ عنهما ؛ بخلاف الإثبات ؛ فإنه قد يفعل أحدهما دون الآخر .

قال : فهذا معنى دقيق ، يُعْلَمُ منه أنّ « أو » في الآية على بابها ، وأنّ التعميم لم يجىء منها ؛ وإنما جاء من جهة المضموم إليها . انتهى .

ومن هذا وإن كان خبراً ـ قولُه تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ

---

(١) سورة : الإنسان . آية : ٢٤ .

دَيْنٍ ﴾[١] ؛ لأن الميراثَ لا يكون إلا بعد إنفاذ الوصية والدَّيْن ؛ وُجِد أَحَدُهما أو وجدا معاً .

وقال أبو البقاء في « اللباب » : إن اتصلتْ بالنهي وجب اجتناب الأمريْن عند النحويين ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾[٢] ، ولو جُمِع بينهما لفُعل المنهيّ عنه مرتين ؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما أحدهما .

وقال في موضع آخر : مذهب سيبويه أنّ « أو » في النهي نقيضية « أو » في الإباحة ؛ فقولك : جالس الحسن أو ابن سيرين إِذْنٌ في مجالستهما ومجالسة من شاء منهما ، فضدّه في النهي « لا تطع منهم آثماً أو كفوراً » ، أي لا تُطِعْ هذا ولا هذا ؛ والمعنى : لا تطعْ أحدَهما ، ومن أطاع منهما كان أحدهما ؛ فمن ها هنا كان نهياً عن كلّ واحد منهما ، ولو جاء بالواو في الموضعين أو أحدهما لأوهم الجمع .

وقيل : « أو » بمعنى الواو ؛ لأنه لو انتهى عن أحدهما لم يعد ممتثلاً بالانتهاء عنهما جميعاً .

قال الخطيبيّ[٣] : والأَوْلى أنّها على بابها ؛ وإنّما جاء التعميم فيها من النهي الّذي فيه معنى النفي ، والنكرةُ في سياق النفي تعمّ ؛ لأن المعنى قبل وجود النهي : « تطيع آثماً أو كفوراً » ، أي واحداً منهما ، فالتعميم فيهما ؛ فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتاً ؛ فالمعنى : لا تطع واحداً منهما فسمّي التعميم

---

(١) سورة : النساء . آية : ١١ .

(٢) سورة : الإنسان . آية : ٢٤ .

(٣) هو : محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي ، شمس الدين : عالم بالأدب . من كتبه : « شرح المصابيح » وهو شرح لمصابيح السنة للبغوي ، وسماه : «المفاتيح في حل المصابيح » و« شرح المختصر » و« شرح المفتاح » و« شرح تلخيص المفتاح » وغير ذلك . وتوفي نحو ٧٤٥ هـ .

(أنظر : بغية الوعاة ١٠٦ . والدرر الكامنة ٤/٢٦٠ . والتاج ٥/١٦٠ . والأعلام ٧/١٠٥) .

فيهما من جهة النهي ، وهي على بابها فيما ذكرناه ؛ لأنه لا يحصل الانتهاء عن أحدهما ؛ حتى ينتهيَ عنهما ؛ بخلاف الإثبات ؛ فإنه قد ينتهي عن أحدهما دون الآخران .

تنبيهان :

الأول : روى البيهقيّ في سننه ، في باب « الفدية بغير النعم » : عن ابن جريج ، قال : كل شيء في القرآن فيه « أو » للتخيير ، إلا قوله تعالى : ﴿ أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾[1] ، ليس بمخيّر فيهما .

قال الشافعي : وبهذا أقول[2] .

الثاني : من أجل أنّ مبناها على عدم التشريك ، أعاد الضمير إلى مفرديْها بالإفراد ؛ بخلاف الواو ؛ وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾[3] ، فقد قيل : إنّ « أو » بمعنى الواو ؛ ولهذا قال : ﴿ بهما ﴾ ، ولو كانت لأحد الشيئين لقيل « به » .

وقيل : على بابها ، ومعنى ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً ﴾ : إن يكن الخصمان غنيّين أو فقيرين ، أو منهما ، أي الخصمين على أيّ حال كان ؛ لأنّ ذلك ذُكِر عقيب قوله : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾[4] يشير للحاكم والشاهد ، وذلك يتعلق باثنين .

وقيل : الأولوية المحكوم بها ثابتة للمفرديْن معاً ، نحو : جاءني زيد أو عمرو ورأيتهما ، فالضمير راجع إلى الغنيّ والفقير المعلوميْن من وجوه الكلام ؛ فصار كأنه قيل : فالله أوْلى بالغنيّ والفقير .

ويستعمل ذلك المذكور وغيره ؛ ولو قيل : « فالله أولى به » ، لم يشمله ،

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٣٣ .

(٢) أنظر : السنن الكبرى ، للبيهقي ١٨٥/٥ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٣٥ .

(٤) سورة : النساء . آية : ١٣٥ .

ولأنه لما لم يخرج المخلوقون عن الغني والفقر ، صار المعنى : افعلوا ذلك ، لأن الله أوْلى ممن خلق ؛ ولو قيل : أولى به ، لعاد إليه من حيث الشهادة فقط .

٧ - إنْ
المكسورة الخفيفة

ترد لمعان :

الأول : الشرطية ، وهو الكثير ، نحو :

﴿ إِنْ تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾(١) .

﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ﴾(٢) .

ثم الأصل فيه عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط ، كقوله :

﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾(٣) ، وعيسى جازم بعدم وقوع قوله .

وقد تدخل على المتيقّن وجوده إذا أبهم زمانه ، كقوله :

﴿ أَفَائِنْ مِتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ ﴾(٥) .

وقد تدخل على المستحيل ، نحو :

﴿ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ ﴾(٥) .

ومن أحكامها أنها للاستقبال ، وأنها تخلّص الفعل له وإن كان ماضياً ، كقولك : إن أكرمتَني أكرمتُك ، ومعناه إن تكرمني .

وأما قولهم : إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمس .

---

(١) سورة : الانفال . آية : ٢٩ .
(٢) سورة : الانفال . آية : ٣٨ .
(٣) سورة : المائدة . آية : ١١٦ .
(٤) سورة : الأنبياء . آية : ٣٤ .
(٥) سورة : الزخرف . آية : ٨١ .

وقوله : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ﴾[1] .

فقيل : معنى : « أكرمتني اليوم » يكون سبباً للإخبار بذلك ، وإن ثبت كان قميصه قدّ من قُبُل يكون سبباً للإخبار بذلك . قاله ابن الحاجب .

وهي عكس « لو » فإنها للماضي ، وإن دخلت على المضارع.

مسألـــة :

إن دخلت « إن » على « لم » يكن الجزم بـ « لم » لا بها، كقوله تعالى :

﴿ وإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا ﴾[2] .

﴿ فإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾[3] .

وإن دخلت على « لا » كان الجزم بها لا بـ « لا » ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي ﴾[4] .

والفرق بينهما أن « لم » عامل يلزم معموله ، ولا يفرق بينهما بشيء ، و « إن » يجوز أن يفرق بينها وبين معمولها معمول معمولها ، نحو : إن زيداً يضرب أضربه .

وتدخل أيضاً على الماضي فلا تعمل في لفظه ، ولا تفارق العمل ، وأما « لا » فليست عاملة في الفعل ، فأضيف العمل إلى « إن » .

الثاني : بمنزلة « لا » . وتدخل على الجملة الاسمية ، كقوله في الأنعام :

﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾[5] ، بدليل « ما » في الجاثية :

﴿ مَا هِيَ إلا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾[6] .

---

(1) سورة : يوسف . آية : ٢٦ .

(2) سورة : المائدة . آية : ٧٢ .

(3) سورة : البقرة . آية : ٢٤ .

(4) سورة : هود . آية : ٤٧ .

(5) سورة : الأنعام . آية : ٢٩ .

(6) سورة : الجاثية . آية : ٢٤ .

وقوله : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[1] .

﴿ إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[2] .

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[3] .

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا ٱللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾[4] .

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمٰنِ عَبْداً ﴾[5] .

﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾[6] .

﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾[7] .

وعلى الجملة الفعلية ، نحو : ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَى ﴾[8] .

﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾[9] .

﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً ﴾[10].

﴿ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[11].

﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾[12].

﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[13].

وزعم بعضهم أن شرط النافية مجيء « إلا » في خبرها ، كهذه الآيات ،

---

(١) سورة : فاطر . آية : ٢٣ .

(٢) سورة : الملك . آية : ٢٠ .

(٣) سورة : الطارق . آية : ٤ .

(٤) سورة : المجادلة . آية : ٢ .

(٥) سورة : مريم . آية : ٩٣ .

(٦) سورة : إبراهيم . آية : ١١ .

(٧) سورة : إبراهيم . آية : ١٠ .

(٨) سورة : التوبة . آية : ١٠٧ .

(٩) سورة : الكهف . آية : ٥ .

(١٠) سورة : النساء . آية : ١١٧ .

(١١) سورة : الإسراء . آية : ٥٢ .

(١٢) سورة : يسٓ . آية : ٢٩ .

(١٣) سورة : البقرة . آية : ٩٣ .

أو « لما » التي بمعناها ، كقراءة بعضهم : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[1] ، بتشديد الميم ، أي ما كلّ نفس إلا عليها حافظ .

﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[2] .

﴿ وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[3] .

ورُدّ بقوله : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ ﴾[4] .

﴿ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ﴾[5] .

﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[6] .

﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[7] .

وأما قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾[8] ، فالتقدير : وإن أحد من أهل الكتاب .

وأما قوله : ﴿ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾[9] ، فالأولى : شرطية ، والثانية : نافية ، جواب للقَسَم الذي أذنت به اللام الداخلة على الأولى ، وجواب الشرط محذوب وجوباً .

واختلف في قوله : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾[10].

فقال الزمخشري ، وابن الشّجريّ : إنْ نافية ، أي فيما ما مكناكم فيه ، إلا أنّ « إن » أحسنُ في اللفظ لما في مجامعة مثلها من التكرار المستبشَع ، ومثله يُتجنب .

---

(١) سورة : الطارق . آية : ٤ .
(٢) سورة : يسٓ . آية : ٣٢ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ٣٥ .
(٤) سورة : الأنبياء . آية : ١١١ .
(٥) سورة : الأنبياء . آية : ١٠٩ .
(٦) سورة : يونس . آية : ٦٨ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٩٣ .
(٨) سورة : النساء . آية : ١٥٦ .
(٩) سورة : فاطر . آية : ٤١ .
(١٠) سورة : الأحقاف . آية : ٢٦ .

قالا : ويدلّ على النفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾(١) .

وحكى الزمخشري أنها زائدة ، قال : والأول أفخم .

وقال ابن عطية : « ما » بمعنى « الذي » و« إن » نافية وقعت مكان « ما » فيختلف اللفظ ، ولا تتصل ما بـ« ما » ، والمعنى : لقد أعطيناهم من القوة والغنى ما لم نعطكم ، ونالهم بسبب كفرهم هذا العقاب ، فأنتم أحرى بذلك إذا كفرتم .

وقيل : إن شرطية ، والجواب محذوف ، أي الذي إن مكناكم فيه طغيتم .

وقال : وهذا مطرح في التأويل .

وعن قطرب أنها بمعنى « قد » . حكاه ابن الشجري .

ويحتمل النكرة الموصوفة .

واعلم أن بعضهم أنكر مجيء النافية ، وقال في الآيات السابقة إنّ « ما » محذوفة والتقدير : « ما إن الكافرون إلا في غرور » ، « ما إن تدعون » ، « ما إن أدري » ، ونظائرها ، كما قال الشاعر :

وَمَا إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ ... منايانا ودُولَةُ آخرينا(٢)

فحذفت « ما » اختصاراً كما حذف « لا » في ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ ﴾(٣) .

الثالث : مخففة من الثقيلة ، فتعمل في اسمها وخبرها ، ويلزم خبرها اللام ، كقوله تعالى :

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ٦ .

(٢) الشاعر هو : فروة بن مسيك .

(٣) سورة : يوسف . آية : ٨٥ .

﴿ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[1] .

ويكثر إهمالها ، نحو : ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] .

﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[3] .

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[4] ؛ في قراءة مَنْ خَفَّف « لمَّا » ، أي أنه كلُّ نفس لَعَلَيْها حافظ .

الرابع : للتعليل بمعنى « إذ » عند الكوفيين ، كقوله :

﴿ وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[5] .

قال بعضهم : لم يخبرهم بعلوهم إلاّ بعد أن كانوا مؤمنين .

وقوله : ﴿ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[6] .

قال بعضهم : لو كانت للخبر لكان الخطاب لغير المؤمنين .

وكذا : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾[7] ونحوه ؛ مما الفعل فيه محقق الوقوع ؛ والبصريون يمنعون ذلك ، وهو التحقيق ، كالمعنى مع « إذا » .

وأجابوا عن دخولها في هذه المواطن لنكتة ، وهي أنه من باب خطاب التهييج ، نحو : إن كنت ولدي فأطعمني .

وأما قوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ ﴾[8] ، فالاستثناء مع تحقق الدخول تأدباً بأدب الله في المشيئة . والاستثناء من الداخلين ؛ لا من الرؤيا ؛ لأنه كان بين الرؤيا وتصديقها سَنَة ، ومات بينهما خلق كثير ، فكأنه قال : كلكم إن شاء الله .

---

(١) سورة : هود . آية : ١١١ .
(٢) سورة : الزخرف . آية : ٣٥ .
(٣) سورة : يسٓ . آية : ٣٢ .
(٤) سورة : الطارق . آية : ٤ .
(٥) سورة : آلعمران . آية : ١٣٩ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ٢٧٨ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٢٣ .
(٨) سورة : الفتح . آية : ٢٧ .

الخامس : بمعنى « لقد » في قوله :

﴿ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾[1] ، أي : لقد كنا .

﴿ إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾[2] .

و ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾[3] .

﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[4] .

فائــــدة :

ادعى ابن جنى في كتاب « القد » أنّ « إن » الشرطية تفيد معنى التكثير لما كان فيه هذا الشياع والعموم ؛ لأنه شائع في كل مرة . ويدلّ لذلك دخولُها على « أحد » التي لا يُستعمل إلا في النفي العام ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾[5] ؛ لأنّه ليس في واحد يقتصر عليه ، فلذلك أدخل عليه « أحد » ، الذي لا يستعمل في الإيجاب .

قال : يجوز أن تكون « أحد » هنا ليست التي للعموم ، بل بمنزلة « أحد » من « أحد وعشرين » ونحوه ، إلا أنه دخله معنى العموم ، لأجل « إن » كما في قوله : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ ﴾[6] ، ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌ﴾[7] .

تنبيــــه :

قيل : قد وقع في القرآن الكريم « إنْ » بصيغة الشرط ، وهو غير مراد ، في مواضع :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾[8] .

---

(1) سورة : يونس . آية : ٢٩ .
(2) سورة : الإسراء . آية : ١٠٨ .
(3) سورة : الصافات . آية : ٥٦ .
(4) سورة : الشعراء . آية : ٩٧ .
(5) سورة : التوبة . آية : ٦ .
(6) سورة : النساء . آية : ١٢٨ .
(7) سورة : النساء . آية : ١٧٦ .
(8) سورة : النور . آية : ٣٣ .

وقوله : ﴿ وَٱشْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾[2] .

وقوله: ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾[3] .

وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾[4] .

وقد يقال : أما الأولى فَيمتنع النهي عن إرادة التحصّن ، فإنهنّ إذا لم يردن التحصّن يردن البغاء ، والإكراه على المراد ممتنع .

وقيل : إنّها بمعنى « إذا » ، لأنه لا يجوز إكراههنّ على الزنا إن لم يردن التحصن ، أو هو شرط مقحم ، لأن ذكر الإكراه يدلّ عليه ، لأنهن لا يكرهنهن إلا عند إرادة التحصين . وفائدة إيجابه المبالغة في النهي عن الإكراه ؛ فالمعنى : إن أردن العفّة فالمولى أحق بإرداة ذلك .

وأما الرابعة فهو يشعر بالإتمام . ولا نسلّم أن الأصل الإتمام ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها : « فرضت الصلاة ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيدت صلاة الحَضَر »[5] .

وأما البواقي فظاهر الشرط ممتنع فيه ، بدليل التعجب المذكور ، لكنه لا يمنع مخالفة الظاهر لعارض.

٨ ـ أَن

ٱلمفتوحة الهمزة ، الساكنة النون

ترد لمعان :

الأول : حرفاً مصدريًّا ناصباً للفعل المضارع ، وتقع معه في موقع المبتدأ ، والفاعل ، والمفعول ، والمضاف إليه .

---

(١) سورة : النحل . آية : ١١٤ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨٣ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٠١ .
(٤) سورة : الطلاق . آية : ٤ .
(٥) أنظر : البخاري ، مناقب الأنصار باب ٤٨ . ومسلم ، صلاة المسافرين حديث ١ . =

فالمبتدأ ، يكون في موضع رفع ، نحو :

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[1] .

﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[2] .

﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾[3] .

﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[4] .

والفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا ﴾[5] .

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾[6] .

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾[7] ، في قراءة من نصب « جواب » .

وتقع معه موقع المفعول به ، فيكون في موضع نصب ، نحو :

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا ٱلْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ ﴾[8] .

﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾[9] .

﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾[10] .

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ ﴾[11].

= والنسائي في الصلاة باب ٣ . وأحمد ٦/٢٣٤ ، ٢٤١ .

(١) سورة : البقرة . آية : ١٨٤ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٢٥ .

(٣) سورة : النور . آية : ٦٠ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٣٧ .

(٥) سورة : التوبة . آية : ١٢٠ .

(٦) سورة : يونس . آية : ٢ .

(٧) سورة : الأعراف . آية : ٨٢ .

(٨) سورة : يونس . : ٣٧ .

(٩) سورة : المائدة . آية : ٥٢ .

(١٠) سورة : الكهف . آية : ٧٩ .

(١١) سورة : الزمر . آية : ١٢ .

وقوله : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ ﴾[1] .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾[2] .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ ﴾[3] ، معناه « بأن أنذر » ، فلما حذفت الباء تعدّى الفعل فنصب .

ومنه في أحد القولين : ﴿ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا اللَّهَ ﴾[4] ؛ نصب على البدل من قوله : ﴿ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾[5] .

والمضاف إليه ، فيكون في موضع جر كقوله :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ ﴾[6] .

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ﴾[7] أي : من قبل إتيانك .

وإنما لم ينصب في قوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾[8] ، وإن كان المعنى : لوحينا لأن الفعل بعدها لم يكن مستحقاً للإعراب ، ولا يستعمل إلا أن تعمل فيه العوامل .

وقد يعرض لـ « أن » هذه حذف حرف الجر ، كقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ﴾[9] ، أي : بأن يقولوا .

كما قدرت في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ ﴾[10] ، أي : بأنّ لهم . ومذهب سيبويه أنها في موضع نصب ، ونفاها الخليل على أصل الجر .

---

(1) سورة : الأنعام . آية : ٣٥ .
(2) سورة : النساء . آية : ٢٨ .
(3) سورة : نوح . آية : ١ .
(4) سورة : المائدة . آية : ١١٧ .
(5) سورة : المائدة . آية : ١١٧ .
(6) سورة : الأنعام. آية : ٦٥ .
(7) سورة : الأعراف . آية : ١٢٩ .
(8) سورة : يونس . آية : ٢ .
(9) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .
(10) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .

وتقع بعد « عسى » ، فتكون مع صلتها في تأويل مصدر منصوب ، إن كانت ناقصة ؛ نحو : عسى زيد أن يقوم .

ومثله : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾[1] .

وتكون في تأويل مصدر مرفوع إن كانت تامة ، كقولك : عسى أن ينطلق زيد ، ومثله : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً ﴾[2] .

الثاني : مخففة من الثقيلة ، فتقع بعد فعل اليقين وما في معناه ، ويكون اسمُها ضمير الشأن ، وتقع بعدها الجملة خبراً عنها نحو :

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾[3] .

﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ﴾[4] .

﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[5] .

﴿ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ ﴾[6] .

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا ﴾[7] .

﴿ وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[8] .

وجعل ابن الشجريّ منه : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾[9] ، أي أنه يا إبراهيم .

الثالث : مفسرة بمنزلة « أيّ » التي لتفسير ما قبلها ، بثلاثة شروط : تمام

---

(1) سورة : الإسراء . آية : ٨ .
(2) سورة : البقرة . آية : ٢١٦ .
(3) سورة : طه . آية : ٨٩ .
(4) سورة : المزمل . آية : ٢٠ .
(5) سورة : المائدة . آية : ٧١ .
(6) سورة : الأعراف . آية : ١٨٥ .
(7) سورة : الجن . آية : ١٦ .
(8) سورة : يونس . آية : ١٠ .
(9) سورة : الصافات . آية : ١٠٤ .

ما قبلها من الجملة ، وعدم تعلقها بما بعدها ، وأن يكون الفعل الذي تفسره في معنى القول ، كقوله تعالى :

﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾[١] .

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٢] .

﴿ وَأَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾[٣] .

قال ابن الشجري : تكون هذه في الأمر خاصة ، وإنما شرط مجيئها بعد كلام تامّ ، لأنها تفسير ولا موضعَ لها من الإعراب ؛ لأنها حرف يعبّر به عن المعنى .

وخرج بالأول ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[٤] ؛ لأن الكلام لم يتمّ ، فإنّ ما قبلها مبتدأ وهي في موضع الخبر ؛ ولا يمكن أن تكون ناصبة ، لوقوع الاسم بعدها بمقتضى أنها المخففة من الثقيلة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا ﴾[٥] ؛ فقيل : إنها مفسِّرة ، لأنّ الانطلاق متضمّن لمعنى القول .

وقال الخليل : يريدون أنهم انطلقوا في الكلام بهذا ، وهو امشوا ، أي اكثروا يقال : أمشى الرجل ومشى ، إذا كثرت ماشيته ، فهو لا يريد : انطلقوا بالمشي الذي هو انتقال ؛ إنما يريد : قالوا هذا .

وقيل : عبارة عن الأخذ في القول فيكون بمنزلة صريحة ، وأن مفسرة . وقيل مصدرية .

فإن قيل : قد جاءت بعد صريح القول ، كقوله تعالى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ ﴾[٦] .

---

(١) سورة : الصافات . آية : ١٠٤ .
(٢) سورة : المؤمنين . آية : ٢٧ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ١٢٥ .
(٤) سورة : يونس . آية : ١٠ .
(٥) سورة : صّ. آية : ٦ .
(٦) سورة : المائدة . آية : ١١٧ .

قلنا : لا دلالة فيه ، لاحتمال أنها مصدرية .

وقال الصفّار : لا تصتور المصدرية هنا بمعنى « إلّا عبادة الله » ، لأن القول لا يقع بعده المفرد ؛ إلا أن يكون هو المقول بنفسه ، أو يكون في معنى القول ، نحو : قلت خبراً وشعراً ، لأنهما في معنى الكلام ؛ أو يقول : قلت « زيداً » ، أي هذا اللفظ ، وهذا لا يمكن في الآية ؛ لأنهم لم يقولوا هذه العبارة ، فثبت أنها تفسيرية ، أي اعبدوا الله .

وقال السِّيرافي : ليست « أن » تفسيراً للقول ، بل للأمر ، لأن فيه معنى القول ، فلو كان « مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلّاَ مَا قلت لي أن اعبدوا الله » لم يجز لذكر القول .

الرابع : زائدة ، وتكون بعد « لما » التوقيتيّة ، كقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً . . . ﴾[1] بدليل قوله في سورة هود : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً ﴾[2] ، فجاء فيها على الأصل .

وأما قوله : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾[3] ، فجيء بـ « أن » ولم يأت على الأصل من الحذف ؛ لأنه لما كان مجيءُ البشير إلى يعقوب عليه السلام بعد طول الحزن وتباعد المدة ، ناسب ذلك زيادة « أن » ، لما في مقتضى وصفها من التراخي .

وذهب الأخفش إلى أنها قد تنصب الفعل ، وهي مزيدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[4] .

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا ﴾[5] .

« وأن » في الآيتين زائدة بدليل :

---

(١) سورة : العنكبوت . آية : ٢٣ .
(٢) سورة : هود . آية : ٧٧ .
(٣) سورة : يوسف . آية : ٩٦ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٤٦ .
(٥) سورة : الحديد . آية : ١٠ .

﴿ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾[1] .

الخامس : شرطية في قول الكوفيين ، كقوله :

﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ ﴾[2] .

قالوا : ولذلك دخلت الفاء .

السادس : نافية بمعنى « لا » في قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَى هُدَى ٱللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ ﴾[3] ، أي : لا يُؤتى أحد .

والصحيح أنها مصدرية .

وزعم المبرّد أن « يؤتى » متصل بقوله : ﴿ وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾[4] ، واللام زائدة .

وقيل : إن « يؤتى » في موضع رفع ، أي أن الهدى أن يؤتى .

السابع : التعليل ، بمنزلة « لئلا » ، كقوله تعالى :

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[5] .

وقال البصريون : على حذف مضاف ، أي كراهة أن تضلوا .

وكذا قوله : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾[6] .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ ﴾[7] .

الثامن : بمعنى « إذ » مع الماضي ، كقوله : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ ﴾[8] .

---

(1) سورة : المائدة . آية : ٨٤ .

(2) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .

(3) سورة : آل عمران . آية : ٧٣ .

(4) سورة : آل عمران . آية : ٧٣ .

(5) سورة : النساء . آية . ١٧٦ .

(6) سورة : الأنعام . آية : ١٥٦ .

(7) سورة : الزمر . آية : ٥٦ .

(8) سورة : قَ. آية: ٣.

وقيل : بل المعنى « لأن جاءهم » ، أي من أجله .

قيل : ومع المضارع ، كقوله :

﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾[1] ، أي : إذا آمنتم .

والصحيح أنها مصدرية .

وأجاز الزمخشري أن تقع « أن » مثل « ما » في نيابتها عن ظرف الزمان ، وجعل منه قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ﴾[3] .

وردّ بأن استعمالها للتعليل مجمع عليه ، وهو لائق في هاتين الآيتين ، والتقدير « لأن آتاه » و « لئلا يصدقوا » .

٩ ـ إنّ
المكسورة المشدّدة

لها ثلاثة أوجه :

أحدها : للتأكيد : نحو : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[4] .

وللتعليل : أثبته ابن جني من النحاة ، وكذا أهل البيان ، وسبق بيانه في نوع التعليل من قسم التأكيد .

وبمعنى « نعم » : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[5] فيمن شدد النون .

---

(١) سورة : الممتحنة . آية : ١ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٥٨ .
(٣) سورة : النساء . آية : ٩٢ .
(٤) سورة : الأحزاب . آية : ١ .
(٥) سورة : طه . آية : ٦٣ .

قال أبو إسحاق : عرضت هـذا على محمد بن يـزيد ، وإسمـاعيل بن إسحاق ، فرضياه .

وقال ابن بَرهان : كأنهم أجمعوا بعد التنازع على قذف النبيين بالسحر ، صلى الله عليهما !

وعبارة غيره : هي بمعنى « أَجَل » وإن لم يتقدم سؤال عن سحرهم ، فقد تقدم : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ ﴾[1] فتكون على هذا القول مصروفة إلى تصديق ألسنتهم فيما ادّعوه من السحر .

واستضعفه الفارسي بدخول اللام في خبر المبتدأ ، وهو لا يجوز إلا في ضرورة .

فإن قدّرت مبتدأ محذوفاً ـ أي : فهما ساحران ـ فمردود ؛ لأن التأكيد لا يليق به الحذف .

وقيل : دخلت اللام في خبر المبتدأ مراعاة للفظ ، أو لما كانت تدخل معها في الخبريّة .

وقيل : جاء على لغة بني الحارث ، في استعمال المثنى بالألف مطلقاً .

١٠ ـ أنّ
المفتوحة المشدّدة

تجيء للتأكيد كالمكسورة . واستشكله بعضُهم ، لأنّك لو صرحت بالمصدر المنسبِك منها لم تُفد توكيداً . وهو ضعيف لما علم من الفرق بين « أنْ » والفعل ، والمصدر .

وقال في « المفصّل » : « إنّ » و « أنّ » تؤكدان مضمونَ الجملة : إلا أن

(١) سورة : طه . آية : ٥٧ .

المكسورة الجملة معها على استقلالها بفائدتها ، [والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفـرد (١)] .

قال ابن الحاجب : لأن وضع « إنّ » تأكيد للجملة من غير تغيير لمعناها ، فـوجب أن تستقل بـالفائـدة بعد دخـولها ، وأمـا المفتوحـة فوضعهـا وضع الموصولات ، في أن الجملة معها كالجملة مع الموصول ؛ فلذلك صارت مع جملتها في حكم الخبر ، فاحتاجت إلى جزء آخر ليستقلّ معها بـالكلام ، فتقول : إنّ زيداً قائم ، وتسكت . وتقول : أعجبني أنّ زيداً قائم ، فلا تجد بدّاً من هذا الجزء الذي معها ، لكونها صارت في حكم الجزء الواحد ، إذ معناه : أعجبني قيام زيد ، ولا يستقل بالفائدة ما لم ينضمّ إليه جزء آخر ، فكذلك المفتوحة مع جملتها . ولذلك وقعت فاعلة ومفعولة ومضافاً إليها ، وغير ذلك مما تقع فيه المفردات .

ومن وجوه الفرق بينهما : أنه لا تصدّر بالمفتوحة الجملة كمـا تصدّر بالمكسورة ، لأنها لو صدِّرت لوقعت مبتدأ ، والمبتدأ معرّض لدخول « إنّ » فيؤدي إلى اجتماعهما .

ولأنها قد تكون بمعنى « لعلّ » ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) وتلك لها صدر الكلام ، فقصدوا إلى أن تكون هذه مخالفة لتلك في الوضع .

١١ - إنما

لقصْر الصِّفة على الموصوف ، أو الموصوف على الصِّفة ، وهي للحصر عند جماعة ، كالنفي ، والاستثناء .

---

(١) في الأصول ينتهي الكلام عند « بفائدتها » أما « والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد » فمن المفصل للزمخشري ص ٢٩٣ .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ١٠٩ .

وفرّق البيانيون بينهما ، فقالوا : الأصل أن يكون ما يستعمل له « إنما » مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ، كقولك : إنّما هو أخوك ، إنما هو صاحبك القديم ؛ لمن يعلم ذلك ويقرّ به . وما يستعمل له النفي والاستثناء ، على العكس ، فأصله أن يكونَ مما يجهله المخاطب وينكره ، نحو : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] .

ثم إنه قد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب ، فيستعمل له النفي والاستثناء ، نحو :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ . . . ﴾[2] الآية .

ونحو : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾[3] .

والرسل ما كانوا على دفع البشرية عن أنفسهم وادعاء الملائكية ؛ لكن الكفّار كانوا يعتقدون أنّ الله لا يرسل إلا الملائكة ، وجعلوا أنهم بادعائهم النبوّة ينفُون عن أنفسهم البشرية ، فأخرِج الكلام مخرج ما يعتقدون ، وأخرِج الجواب أيضاً مخرج ما قالوا ، حكايةً لقولهم ، كما يحكِي المجادِل كلامَ خَصْمه ، ثم يكرّ عليه بالإِبطال ، كأنه قيل : الأمر كما زعمتم أنّنا بشر ، ولكن ليس الأمر كما زعمتم[4] من اختصاص الملائكة بالرسالة ، فإن الله يبعث من الملائكة رسلاً ومن الناس .

وقد ينزَّل المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهورَه ، فيستعَمل له « إنما » ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[5] ، فإنّ كونَهم مصلحين منتفٍ فهو مجهول ، بمعنى أنه لم يعلم بينهم صلاح[6] ، فقد نسبوا الإِصلاح إلى أنفسهم ، وادّعوْا أنهم كذلك ظاهر جليّ ، ولذلك جاء الردّ عليهم مؤكّداً من وجوه .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ٦٢ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ١٤٤ .

(٣) سورة : إبراهيم . آية : ١٠ .

(٤) في النسخة جـ : « كما اعتقدتم » .

(٥) سورة : البقرة . آية : ١١ .

(٦) في النسخة جـ : « بينهم إصلاح » .

١٢ - إلى

لانتهاء الغاية ، وهي مقابلة « مِنْ » .

ثم لا يخلو أن يقترن بها قرينة تدلّ على أن ما بعدها داخل فيما قبلها ، أو غير داخل . وإن لم يقترن بها قرينة تدلّ على أن ما بعدها داخل فيما قبلها أو غير داخل ، فيصار إليه قطعاً ، وإن لم يقترن بها .

واختلف في دخول ما بعدها في حكم ما قبلها على مذاهب :

أحدها : لا تدخل إلا مجازاً ، لأنّها تدلُّ على غاية الشيء ونهايته التي هي حدّه ، وما بعد الحدّ لا يدخل في المحدود ؛ ولهذا لم يدخل شيءٌ من الليل في الصوم في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱللَّيْلِ ﴾[1] .

الثاني : عكسه ، أي : أنه يدخل ولا يخرج إلا مجازاً ، بدليل آية الوضوء[2] .

والثالث : أنها مشتركة فيهما لوجود الدخول وعدمه .

والرابع : إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها أو جزءاً كالمرافق ، دخل ، وإلا فلا .

والحق أنه لا يطلق ، فقد يدخل نحو : ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[3] ، وقد لا يدخل نحو :

﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱللَّيْلِ ﴾[4] .

وقيل في آية المرافق : إنها على بابها ، وذلك أن المرفق هو الموضع الذي يتكىء الإنسان عليه في رأس العضُد وذلك هو المفصل وفريقه ، فيدخل فيه مفصل الذراع ، ولا يجب في الغسل أكثر منه .

(١) سورة : البقرة . اية : ١٨٧ .
(٢) سورة : المائدة . آية : ٦ .
(٣) سورة : المائدة . آية : ٦ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١٨٧ .

وقيل : « إلى » تدل على وجوب الغسل إلى المرافق ، ولا ينبغي وجوب غسل المرفق ؛ لأن الحدّ لا يدخل في المحدود ، ولا ينفيه التحديد ، كقولك : سرت إلى الكوفة ، فلا يقتضي دخولُها ولا ينفيه ، كذلك المرافق ؛ إلا أنّ غسله ثبت بالسنة .

ومنشأ الخلاف في آية الوضوء أن « إلى » حرف مشترك ، يكون للغاية والمعيّة ، واليد تطلق في كلام العرب على ثلاثة معان : على الكفّين فقط ، وعلى الكف والذراع والعضد ، فمن جعل « إلى » بمعنى « مع » ، وفهم من اليد مجموع الثلاثة ، أوجب دخوله في الغسل ، ومن فهم من « إلى » الغاية ، ومن اليد ما دون المرفق لم يدخلها في الغسل .

قال الآمديّ : ويلزم مِنْ جعلها بمعنى « مع » أن يُوجب غسلها إلى المنكب ، لأن العرب تسميه يداً .

وقد تأتي بمعنى « مع » كقوله :

﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ ﴾(1) .

﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾(2) .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾(3) .

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾(4) .

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾(5) .

وقيل : ترجع إلى الانتهاء ، والمعنى في الأول : من يضيف نصرته إلى نصرة الله ؟ وموضعها حال ، أي مَنْ أنصاري مضافاً إلى الله ؟ .

---

(1) سورة : آل عمران . آية : ٥٢ .
(2) سورة : هود . آية : ٥٢ .
(3) سورة : النساء . آية : ٢ .
(4) سورة : المائدة . آية : ٦ .
(5) سورة : البقرة . آية : ١٤ .

والمعنى في الأخرى : ولا تضيفوا أموالكم إلى أموالهم ، وكني عنه بالأكل كما قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[1] أي : لا تأخذوا .

وقد تأتي للتبيين ، قال ابن مالك : وهي المعلّقة في تعجب أو تفضيل بحبّ أو بغض . مبينة لفاعلية مصحوبها ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾[2] .

ولموافقة اللام كقوله: ﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾[3] .

وقيل : للانتهاء ، وأصله والأمر إليك .

وكقوله : ﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[4] وموافقة « في » في قوله تعالى : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾[5] .

وقيل : المعنى : بل أدعوك إلى أن تزكّى .

وزائدة ، كقراءة بعضهم : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾[6] بفتح الواو .

وقيل : ضمّن «تهوى» معنى « تميل » .

تنبيـــه :

من الغريب أن « إلى » قد تستعمل اسماً ، فيقال : انصرفت من إليك ، كما يقال : غدوت من عليك . حكاه ابن عصفور في شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنباري .

ولم يقف الشيخ ابن حيان على هذا فقال في تفسيره في قوله : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾[7] وقوله : ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾[8] : « إلى » حرف

---

(١) سورة : البقرة . اية : ١٨٨ .
(٢) سورة : يوسف . آية : ٣٣ .
(٣) سورة : النمل . آية : ٣٣ .
(٤) سورة : يونس . آية : ٢٥ .
(٥) سورة : النازعـات. آية : ١٨ .
(٦) سورة : إبراهيم . آية : ٣٧ .
(٧) سورة : مريم . آية : ٢٥ .
(٨) سورة : القصص . آية : ٣٢ .

جرّ بالإجماع وظاهرها ، أنها متعلقة بـ « هزّي » .

وكيف يكون ذلك مع القاعدة المشهورة ، أن الفعل لا يتعدّى إلى ضمير متصل . وقد يرفع المتصل وهما لمدلول واحد ، فلا تقول : ضربتني ولا ضربتك إلا في باب ظن ، والضمير المجرور عندهم بالحرف كالمنصوب المستقل ، فلا تقول : هززت إليّ ، ولا هززت إليك .

١٣ ـ ألَا
بالفتح والتخفيف

تأتي للاستفتاح ، وفائدته التنبيه على تحقيق ما بعدها ، ولذلك قلّ وقوع الجمل بعدها إلا مصدّرة بنحو ما يُتلقّى به القسم ، نحو :

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾[١] .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾[٢] .

﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٣] .

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِثَمُودَ ﴾[٤] .

﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾[٥] .

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾[٦] .

وتأتي مركبة من كلمتين : همزة الاستفهام ، ولا النافية .

والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً ، كقوله تعالى :

(١) سورة : البقرة . آية : ١٢ .
(٢) سورة : فصلت . آية : ٥٤ .
(٣) سورة : هود . آية : ١٨ .
(٤) سورة : هود . آية : ٦٨ .
(٥) سورة : هود . آية : ٧ .
(٦) سورة : هود . آية : ٥ .

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[2] .

والتقدير أنهم ليسوا بمتقين ، وليسوا بآكلين .

وللعرض وهو طلب بلين ، نحو :

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[3] .

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾[4] .

١٤ ـ ألّا
بالفتح والتشديد

حرف تحضيض ، مركبة من « أن » الناصبة و « لا » النافية ، كقوله تعالى :

﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾[5] ، ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾[6] .

ثم قيل : المشددة أصل والمخففة فرع . وقيل بالعكس .

وقيل : الهمزة بدل من الهاء ، وبالعكس ، حكاه ابن هشام الخضراوي[7] في « حاشية سيبويه » .

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ١١ .

(٢) سورة : الذاريات . آية : ٢٧ .

(٣) سورة : النور . آية : ٢٢ .

(٤) سورة : التوبة . آية : ١٣ .

(٥) سورة : النمل . آية : ٣١ .

(٦) سورة : النمل . آية : ٢٥ .

(٧) هو : محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الله ، المعروف بابن البرذعي : عالم بالعربية ، أندلسي من أهل الجزيرة الخضراء . توفي في تونس سنة ٦٤٦ هـ . من كتبه : « النخب » و « الإفصاح في شرح كتاب الإيضاح » و « الاقتراح في تلخيص الإيضاح » و « غرة الإصباح في شرح أبيات الإيضاح » و « النقض على الممتع لابن عصفور » و « فصل المقال في تلخيص أبنية الأفعال » . =

١٥ ـ إلاّ

ترد لمعان :

الأول : الاستثناء . وينقسم إلى متصل ، وهو ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه ، نحو جاء القوم إلا زيداً . وإلى منقطع وهو ما كان من غير جنْسِهِ .

وتقدّر بـ « لكن » ، كقوله :

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ . إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾[١] .

و ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٣] في سورة الانشقاق .

و ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾[٤] ، في آخر الغاشية .

وكذلك : ﴿ إِلَّا مَنْ آرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾[٥] .

ودخول الفاء في : ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ ﴾ دليل انقطاعه ، ولو كان متصلاً لتم الكلام عند قوله : « رسولٍ » .

وقوله : ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴾[٦] . ويجوز أن تكون ﴿ تذكرة ﴾ بدلاً من ﴿ لِتَشْقَى ﴾[٧] ، وهو منصوب بـ « أنزلنا »[٨] تقديره : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة .

وقـوله : ﴿ وَمَـا لِأَحَدٍ عِنْـدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْـزَى . إِلَّا آبْتِغَاءَ وَجْـهِ رَبِّهِ

= (أنظر : التكملة لابن الأبار ٣٦١ . وبغية الوعاة ١١٥ . والأعلام للزركلي ١٣٨/٧) .

(١) سورة : الغاشية . آية : ٣١ .
(٢) سورة : الفرقان . آية : ٥٧ .
(٣) سورة : الانشقاق . آية : ٢٥ .
(٤) سورة : الغاشية . آية : ٢٣ .
(٥) سورة : الجن . آية : ٢٧ .
(٦) سورة : طه . آية : ٣ .
(٧) سورة : طه . آية : ٢ .
(٨) سورة : طه . آية : ٢ .

ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1] ، فابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعم التي تجزى .

وقوله : ﴿ ٱلَّـذِينَ أُخْرِجُـوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْـرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُـوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[2] . فقولهم : ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ ليس بحق يوجب إخراجهم .

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي ٱلضَّرَرِ ﴾[3] .

لا حَرَج عليهم في قعودهم ؛ وإنما كان منقطعاً ؛ لأن القاعد عن ضرر ـ وإن كانت له نية الجهاد ـ ليس مستوياً في الأجر مع المجاهد ، لأن الأجر على حسب العمل ، والمجاهد يعمل ببدنه وقلبه ، والقاعد بقلبه .

وقوله : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾[4] .

إذ لو كان متصلاً لكان المعنى : فهل آمنت قريـة إلا قوم يـونس ، فلا يؤمنون ، فيكون طلب الإيمان من خلاف قوم يونس ، وذلك باطل ، لأن الله تعالى يطلب من كلّ شخص الإيمان ، فدلّ على أن المعنى : لكن قوم يونس .

وقال الزجاج : يمكن اتصاله ، لأن قوله : ﴿ فَلَوْلَا ﴾ في المعنى نفي ، فإن الخطاب لما يقع منه الإيمان ، وذلك إذا كان الكلام نفياً ، كان ما بعد « إلّا » يوجب إنكاره . قال : ما من قرية آمنت فنَفعها إيمانها إلا قوم يونس .

وقد رد عليه الآمدي بأن جَعْل « إلا » منقطعة عما قبلها لغة فصيحة ، وإن كان جعلها متصلة أكثر ، وَحَمْل الكلام على المعنى ليس بقياس .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾[5] .

فإن « من رحم » بمعنى المرحوم ليس من جنس العاصمين ؛ وإنما هو معصوم ، فدلّ على أنها بمعنى « لكن » .

---

(١) سورة : الليل . آية : ١٩ ـ ٢٠ .
(٢) سورة : الحج . آية : ٤٠ .
(٣) سورة : النساء . آية : ٩٥ .
(٤) سورة : يونس . آية : ٩٨ .
(٥) سورة : هود . آية : ٤٣ .

فإن قيل: يمكن اتصاله على أن ﴿ مَنْ رحم ﴾ بمعنى « الراحم » أي الذي يرحم، فيكون الثاني من جنس الأول.

قيل: حَمْل هذه القراءة على القراءة الأخرى، أعني قراءة ﴿ رُحِمَ ﴾ بضم الراء، حتى يتفق معنى القراءتين.

الثاني: بمعنى « بل » كقوله تعالى:

﴿ طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ . إِلَّا تَذْكِرَةً . . . ﴾(١)، أي: بل تذكرة.

الثالث: عاطفة بمعنى « الواو » في التّشريك، كقوله تعالى:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾(٢)، معناه « ولا الذين ظلموا ».

وقوله: ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾(٣)، أي: ومن ظلم. وتأوّلها الجمهور على الاستثناء المنقطع.

الرابع: بمعنى « غير » إذا كانت صفة. ويعرب الاسم بعد « إلا » إعراب « غير » كقوله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(٤).

وليست هنا للاستثناء، وإلا لكان التقدير: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، وهو باطل.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾(٥).

فلو كان استثناءً لكان من غير الجنس؛ لأن « أنفسهم » ليس شهوداً على

---

(١) سورة: طه. آية: ١ ـ ٣.
(٢) سورة: البقرة. آية: ١٥٠.
(٣) سورة: النمل. آية: ١٠، ١١.
(٤) سورة: الأنبياء. آية: ٢٢.
(٥) سورة: النور. آية: ٩٠.

الزنا ؛ لأن الشهداء على الزنا يعتبر فيهم العدد ، ولا يسقط الزنا المشهود به بيمين المشهود عليه .

وإذا جعل وصفاً فقد أمن فيه مخالفة الجنس فـ « إلّا » هي بمنزلة « غير » لا بمعنى الاستثناء ؛ لأن الاستثناء إما من جنس المستثنى منه أو من غير جنسه . ومَنْ توهم في صفة الله واحداً من الأمرين فقد أبطل .

قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني : هذا توهم منه ، وخاطر خطر من غير أصل ؛ ويلزم عليه أن تكون « إلا » في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾(1) .

وقوله : ﴿ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾(2) استثناء ، وأن تكون بمنزلة « غير » ، وذلك لا يقوله أحد ؛ لأنّ « إلا » إذا كانت صفة ، كان إعراب الاسم الواقع بعدها إعرابَ الموصوف بها ، وكان تابعاً له في الرفع والنصب والجرّ .

قال : والاسم بعد « إلا » في الآيتين منصوب كما ترى ، وليس قبل « إلا » في واحد منهما منصوب بإلا .

واعلم أنه يوصف بما بعد « إلا » ، سواء كان استثناءً منقطعاً أو متصلاً . قال المبرّد ، والجرميّ(3) في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾(4) ، لو قرىء بالرفع « قليل » على الصفة لكان حسناً والاستثناء منقطع .

الخامس : بمعنى « بدل » وجعل ابن الضّائع منه قوله تعالى :

---

(1) سورة : الشعراء . آية : ٧٧ .

(2) سورة : الإسراء . آية : ٦٧ .

(3) هو : صالح بن إسحاق ، الجرمي بالولاء ، أبو عمر : فقيه ، عالم بالنحو واللغة ، من أهل البصرة . سكن بغداد ، وتوفي سنة ٢٢٥ هـ .
من كتبه : « السير » و « كتاب الأبنية » و « غريب سيبويه » و « كتاب في العروض » .
أنظر : بغية الوعاة ٢٦٨ ، ووفيات الأعيان ٢٢٨/١ ، ونزهة الألبا ٢٠٦ ، والأعلام للزركلي ١٨٩/٣) .

(4) سورة : هود . آية : ١١٦ .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1] .

أي : « بدل الله » أي عوض الله ؛ وبه يخرج على الإشكال المشهور في الاستثناء ، وفي الوصف بـ « إلا » من جهة المفهوم .

بقيَ أن يقال : إن ابن مالك جعلها في الآية صفة ، وأنها للتأكيد لا للتخصيص ، لأنه لو قيل : لو كان فيهما آلهة فَسدتا ، لصحّ ؛ لأن الفساد مرتب على تعدد الآلهة .

فيقال : ما فائدة الوصف المقتضى ها هنا للتأكيد ؟ وجوابه أن « آلهة » تدلّ على الجنس ، أو على الجمع ، فلو اقتصر عليه لتوهم أن الفسادَ مرتب على الجنس من حيث هو ، فأتى بقوله : ﴿ إلا الله ﴾ ليدلّ على أن الفساد مرتب على التعدد . وهذا نظير قولهم في : ﴿ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾[2] ، أنّ الوصف هنا مخصص لا مؤكد ، لأن ﴿ إلٰهين ﴾ يدل على الجنسية وعلى التثنية ، فلو اقتصر عليه لم يفهم النهي عن أحدهما ، فأتى بـ « اثنين » ليدلّ على أن النهيَ عن الاثنين على ما سبق .

السادس : للحصر إذا تقدمها نفي :

إما صريح ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[3] .

أو مقدّر ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ ﴾[4] .

فإن « إلا » ما دخلت بعد لفظ الإيجاب إلا لتأويل ما سبق إلا بالنفي ، أي فإنها لا تسهل ، وهو معنى « كبيرة » ، وإما لأن الكلام صادق معها ، أي وإنها لكبيرة على كلّ أحد إلا على الخاشعين ، بخلاف ضربت إلا زيداً ، فإنه لا يصدق .

---

(1) سورة : الأنبياء . آية : ٢٢ .
(2) سورة : النحل . آية : ٥١ .
(3) سورة : الحجر . آية : ١١ .
(4) سورة : البقرة . آية : ٤٥ .

السابع : مركبة من « إن » الشرطية ، و« لا » النافية ، ووقعت في عدة مواقع من القرآن .

نحو : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾(١) .

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(٢) .

﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ ﴾(٣) .

﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾(٤) .

﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾(٥) .

ولأجل الشَّبَه الصوريّ غلِط بعضهم فقال في « إلا تفعلوه » : إنّ الاستثناء منقطع أو متصل .

وعجبت من أن ابن مالك في شرح « التسهيل » حيث عدّها في أقسام « إلا » ، لكنه في « شرح الكافية » قال في باب الاستثناء : لا حاجة للاحتراز عنها .

فائـــدة :

قال الرمانيّ في تفسيره : معنى « إلا » : اللازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره ، فإذا قلت : جاءني القوم إلا زيداً ، فقد اختصصتَ زيداً بأنه لم يجىء ، وإذا قلت : ما جاءني إلا زيد ، فقد اختصصته بالمجيء . وإذا قلت : ما جاءني زيد إلا راكباً ، فقد اختصصت هذه الحال دون غيرها ، من المشي والعدْو ونحوه .

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٤٠ .

(٢) سورة : الأنفال . آية : ٧٣ .

(٣) سورة : التوبة . آية : ٣٩ .

(٤) سورة : هود . آية : ٤٧ .

(٥) سورة : يوسف . آية : ٣٣ .

١٦ ـ أمّا
المفتوحة الهمزة المشدّدة الميم

كلمة فيها معنى الشرط ، بدليل لزوم الفاء في جوابها .

وقدّرها سيبويه بـ « مهما » وفائدتها في الكلام ، أنّها تُكسبه فضل تأكيد ، تقول : زيد ذاهب ؛ فإذا قصدت أنه لا محالة ذاهب ، قلت : أمّا زيد فذاهب . ولهذا قال سيبويه : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب .

وفي إيرادها في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾(١) إحماد عظيم للمؤمنين ، ونعيٌ على الكافرين لرميهم بالكلمة الحمقاء .

والاسم الواقع بعدها ، إن كان مرفوعاً فهو مبتدأ ، كقوله : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾(٢) ، ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ ﴾(٣) ، ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ ﴾(٤) .

وإن كان منصوباً ، فالناصب له ما بعد الفاء على الأصحّ ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾(٥) .

وقرىء : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾(٦) ، بالرفع والنصب ، فالرفع بالابتداء لاشتغال الفعل عنهم بضميرهم .

وتُذكر لتفصيل ما أجمله المخاطب . وللاقتصار على بعض ما ادّعى .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِي ٱلنَّارِ ﴾(٧) .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ ﴾(٨) .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٦ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٧٩ .
(٣) سورة : الكهف . آية : ٨٠ .
(٤) سورة : الكهف . آية : ٨٢ .
(٥) سورة : والضحى . آية : ٩ ـ ١٠ .
(٦) سورة : فصلت . آية : ١٧ .
(٧) سورة : هود . آية : ١٠٦ .
(٨) سورة : هود . آية : ١٠٨ .

فهذا تفصيل لما جُمع في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾[1] ، وبيان أحكام الشقيّ والسعيد .

والثاني : كما لو قيل : زيد عالم شجاع كريم ؛ فيقال : أمّا زيد فعالم ، أي لا يثبت له بما ادّعى سِوَى العلم .

واختُلف في تعدد الأقسام بها ، فقيل : إنه لازم ، وحمل قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[2] على معنى « وأما الراسخون » ، ليحصل بذلك التعدد بعدها ، وقطعه عن قوله : ﴿ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3] .

ومنهم من قال : إنه غير لازم ، بل قد يذكر فيها قسم واحد . ولا ينافِي ذلك أن تكون للتفصيل لما في نفس المتكلم ، كقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾[4] .

حكَى القولين ابن جمعة الموصلي في شرح « الدرة » وصحح الأول .

والأقرب الثاني ، والتقدير في الآية : « وأما غيرهم فيؤمنون به ويكِلون معناه إلى ربهم » ودل عليه : ﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ . . . ﴾ الآية[5] .

قال بعضهم : وهذا المعنى هو المشار إليه في آية البقرة : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[6] .

وهذا حكاه ابن قتيبة عن بعض المتقدمين ، قال : فالفاسقون ها هنا هم الذين في قلوبهم زيغ ، وهم الضالون بالتمثيل . ثم خالفه فقال : وأنت إذا جعلت المتبعين المتشابهَ بالتأويل المنافقين في اليهود المحرّفين له دون المؤمنين ، كما قال الله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾[7] أي غير الإسلام ،

(1) سورة : هود . آية: ١٠٣ .
(2) سورة : آل عمران . آية : ٧ .
(3) سورة : آل عمران . آية : ٧ .
(4) سورة : آل عمران . آية : ٧ .
(5) سورة : آل عمران . آية : ٧ .
(6) سورة : البقرة . آية : ٣٦ .
(7) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

وضح لك الأمر وصحّ ما قلناه من معرفة الراسخين بالمتشابه ، وعلى هذا فالوقف على : ﴿ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ ﴾[2] .

فقيل : الفاء جواب « أما » ، ويكون الشرط لا جواب له ، وقد سدّ جواب « أما » مسدّ جواب الشرط .

وقيل : بل جواب الشرط ، والشرط وجوابه سدّ مسدّ جواب « أما » .

وتجيء أيضاً مركبة من « أم » المنقطعة و « ما » الاستفهامية ، وأدغمت الميم في الميم ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

١٧ ـ إمّا
المكسورة المشدّدة

نحو : اشتر لي ، إما لحماً ، وإما لبناً .

وكقوله تعالى : ﴿ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾[4] .

﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ ﴾[5] .

﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾[6] وانتصب « مَنًّا » و « فداءً » على المصدر ، أي مِنْ « مننتم » و « فاديتم » .

وقال صاحب « الأزهية »[7] : حُكْمها في هذا القسم التكرير ، ولا تكرير إذا

(١) سورة : آل عمران . آية : ٧ .
(٢) سورة : الواقعة . آية : ٩٠ ، ٩١ .
(٣) سورة : النمل . آية : ٨٤ .
(٤) سورة : الكهف . آية : ٨٦ .
(٥) سورة : طه . آية : ٦٥ .
(٦) سورة : القيامة . آية : ٤ .

(٧) هو : علي بن محمد ، أبو الحسن الهروي ، عالم باللغة والنحو ، من أهل هراة ، سكن مصر ، وقرأ على الأزهري . توفي ٤١٥ هـ . =

كان في الكلام عِوَض من تكريرها ، تقول : إما تقول الحق وإلا فاسكت ، و « إلا » بمعنى « إما » .

ويمعنى الإبهام ، نحو :

﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾(١) .

﴿ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾(٢) .

﴿ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾(٣) .

وتكون بمعنى الشرطية ، مركبة من « إن » الشرطية و « ما » الزائدة ، وهذه لا تكرر .

والأكثر في جوابها نون التوكيد ، نحو :

﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً ﴾(٤) .

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾(٥) .

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ﴾(٦) .

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾(٧) .

وإنما دخلت معها نون التوكيد للفرق بينها وبين التي للتخيير .

واختلف في قوله تعالى : ﴿ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾(٨) .

من كتبه : « الذخائر في النحو » وسماه « الأزهية في علم الحروف » و « المرشد » و « المذكر والمؤنث » وغير ذلك .

(أنظر : الأزهية : مقدمة الناشر . والأعلام ٤/٣٢٧) .

(١) سورة : محمد . آية : ١٠٦ .

(٢) سورة : مريم . آية : ٧٥ .

(٣) سورة : الإنسان . آية : ٣ .

(٤) سورة : مريم . آية : ٢٦ .

(٥) سورة : المؤمنين . آية : ٩٣ .

(٦) سورة : الأنفال . آية : ٥٧ .

(٧) سورة : الأنفال . آية : ٥٨ .

(٨) سورة : الإنسان . آية : ٣ .

فقال البصريون : للتخيير ، فانتصاب « شاكراً » و« كفوراً » على الحال .

وقيل : التخيير هنا راجع إلى إخبار الله بأنه يفعل ما يشاء .

وقيل : حال مقيّدة ، أي إمّا إن تجد عندهما الشكر ، فهو علامة السعادة ، أو الكفر فهو علامة الشقاوة ، فعلى هذا تكون للتفصيل .

وأجاز الكوفيون أن تكون ها هنا شرطية ، أي إن شكر وإن كفر .

قال مكيّ : وهذا ممنوع ، لأن الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن تُضمر بعد « إن » فعلا ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾(١) ، ولا يجب إضماره هنا ، لأنه يلزم رفع « شاكر » بذلك الفعل .

وَرَدَ عليه ابن الشّجريّ ، بأن النحويين يضمرون بعد « إن » الشرطية فعلاً يفسره ما بعده ، من لفظه ، فيرتفع الاسم بعد أن يكون فاعلاً لذلك المضمر ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ ﴾(٢) ، ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾(٣) ، كذلك يُضمرون بعده أفعالاً تنصب الاسم ، بأنه مفعول به ، كقولك : إن زيداً أكرمته نفعك ، أي إن أكرمت .

١٨ ـ أل

تقدمت بأقسامها في قاعدة التنكير والتعريف .

١٩ ـ الآن

إسم للوقت الحاضر بالحقيقة . وقد تستعمل في غيره مجازاً .

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٦ .

(٢) سورة : النساء . آية : ١٧٦ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٢٨ .

وقال قوم : هي حدّ للزّمانين ، أي ظرف للماضي وظرف للمستقبل . وقد يتجوّز بها عما قَرُب من الماضي وما يقرب من المستقبل . حكاه أبو البقاء في « اللباب » .

وقال ابن مالك : لوقت حضر جميعه ، كوقت فعل الإنشاء حال النطق به ، أو ببعضه ، كقوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ آلآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ﴾[1] .

﴿ آلآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴾[2] .

وهذا سبقه إليه الفارسي ، فقال : « الآن » يراد به الوقت الحاضر ، ثم قد تَّسِعُ فيه العرب فتقول : أنا الآن أنظر في العلم ، وليس الغرض أنه في ذلك الوقت اليسير يفعل ذلك ، ولكن الغرض أنه في وقته ذلك ، وما أتى بعده ، كما تقول : أنا اليوم خارج ، تريد به اليوم الذي عقب الليلة .

قال ابن مالك : وظرفيتُهُ غالبة ، لا لازمة .

٢٠ ـ أف

صوت يستعمل عند التكرّه والتضجر ، واختلف في قوله تعالى :

﴿ فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾[3] .

فقيل : اسمٌ لفعل الأمر ، أي كفّا ، أو اتركا .

وقيل : إسم لفعل ماضٍ ، أي كرهت وتضجرت . حكاهما أبو البقاء[4] .

(١) سورة : الجن . آية : ٩ .
(٢) سورة : الأنفال . آية : ٦٦ .
(٣) سورة : الإسراء . آية : ٢٣ .
(٤) أنظر : إملاء ما من به الرحمٰن ، للعكبري ٢/٩٤ .

وحكى غيره ثالثاً ؛ أنه إسم لفعل مضارع ، أي أتضجّر منكما .

وأما قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ أُفٍّ لَكُمْ ﴾[1] ، فأحال أبو البقاء على ما سبق في الإسراء ، وقضيته تساوي المعنيين .

وقال العزيزي في « غريبه » في هذه : أي تلفاً لكم ، فغاير بينهما ، وهو الظاهر .

وفسّر صاحب « الصحاح » أف ، بمعنى « قذراً »[2] .

٢١ - أَنَّى

مشتركة بين الاستفهام والشرط ، ففي الشـرط تكون بمعنى « أين » ، نحو : أنّى يقم زيد يقم عمرو .

وتأتي بمعنى « كيف » ، كقوله تعالى :

﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[3] .

﴿ فَأَنَّى لَهُمْ ﴾[4] .

﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[5] .

﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[6] ، أي : كيف شئتم ، مقبلة ومدبرة .

وقال الضحاك : متى شئتم . ويردّه سبب نزول الآية .

وقال بعضهم : من أيّ جهة شئتم ، وهو طبق سبب النزول .

وتجيء بمعنى « من أين » نحو :

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ٦٧ .

(٢) أنظر : الصحاح ٢/١٣٣٠ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .

(٤) سورة : محمد . آية : ١٨ .

(٥) سورة : التوبة . آية : ٣٠ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٢٢٣ .

﴿ أَنَّى لَكِ هَٰذَا ﴾[1] .

وقوله : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾[2] .

﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾[3] .

قال ابن فارس : والأجود أن يقال في هذا أيضاً « كيف »[4] .

وقال ابن قتيبة : المعنيان متقاربان .

وقرىء شاذاً : ﴿ أَنَّى صَبَبْنَا ٱلْمَاءَ صَبًّا ﴾[5] ، أي : « من أين » ، فيكون الوقف عند قوله ﴿ إلى طعامه ﴾[6] .

وتكون بمعنى « متى » كقوله تعالى :

﴿ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[7] .

وقوله : ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا ﴾[8] .

ويحتمل أن يكون معناه « من أين » .

والحاصل أنها للسؤال عن الحال وعن المكان .

قال الفراء : أنّى مشاكلة لمعنى « أين » إلا أنّ « أين » للموضع خاصة ، « وأنى » تصلح لغير ذلك .

وقال ابن الدهان : فيها معنىً يزيد على « أين » ؛ لأنه لو قال : أين لك هذا ؟ كان يقصّر عن معنى « أنى لك » ؛ لأن معنى « أنى لك » « من أين لك » ، فإن معناه مع حرف الجرّ ، لأنّه يرى أنه وقع في الجواب ، كذلك قوله : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ ﴾ ، ولم يقل : هو عند الله .

---

(١) سورة : آل عمران ، آية : ٣٧ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ٤٧ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ٣٥ .

(٤) أنظر : فقه اللغة ، لابن فارس ١١٣ .

(٥) سورة : عبس . آية : ٢٤ .

(٦) سورة : عبس . آية : ٢٥ .

(٧) سورة : البقرة . اية : ٢٥٩ .

(٨) سورة : آل عمران . آية : ١٦٥ .

وجواب « أنّى لك » غير جواب « من أين لك هذا » ، فاعرفه .

٢٢ ـ أيّان

في « الكشاف » في آخر سورة الأعراف[١] :

قيل اشتقاقه: من «أيّ» «فعلان» منه؛ لأن معناه، أيّ وقت، وأيّ فعل، من أويت إليه، لأن البعض آوٍ إلى الكلّ، متساند إليه. وهو بعيد.

وقيل : أصله : أيّ أوانٍ .

وقال السكاكي : جاء « أيان » بفتح الهمزة وكسرها ، وكسر همزتها يمنع من أن يكون أصلها أيّ أوانٍ ، كما قال بعضهم ، حذفت الهمزة من « أوان » والياء الثانية من « أيّ » فبعد قلب الواو واللام ياء أدغمت الياء الساكة فيها . وجعلت الكلمتان واحدة .

وهي في الأزمان ، بمنزلة « متى » إلا أن « متى » أشهر منها ، وفي « أيان » تعظيم .

ولا تستعمل إلا في موضع التفخيم ، بخلاف « متى » ، قال تعالى :

﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾[٢] .

﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[٣] .

﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾[٤] .

﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[٥] .

---

(١) أنظر : الكشاف للزمخشري ٢/١٤٣ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٨٧ .

(٣) سورة : النحل . آية : ٢١ .

(٤) سورة : الذاريات . آية : ١٢ .

(٥) سورة : القيامة . آية : ٦ .

وقال صاحب « البسيط » : إنها تستعمل في الاستفهام عن الشيء المعظَّم أمره .

قال : وسكت الجمهور عن كونها شرطاً .

وذكر بعض المتأخرين مجيئها ، لدلالتها بمنزلة « متى » ، ولكن لم يسمع ذلك .

٢٣ - إِي

حرف جواب بمعنى « نعم » ، كقوله تعالى :

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّه لَحَقٌّ ﴾[١] .

ولا يأتي قبل النهي صلة لها .

٢٤ - حرف الباء

أصله للإلصاق ، ومعناه : اختلاط الشيء بالشيء ، ويكون حقيقة ، وهو الأكثر ، نحو : « بد داءً » ، ومجازاً كـ « مررت به » ، إذ معناه : جعلت مروري ملصَقاً بمكان قريب منه ، لا به ، فهو وارد على الاتساع .

وقد جعلوا منه قوله تعالى : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾[٢] .

وقد تأتي زائدة :

إمّا مع الخبر ؛ نحو : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلِهَا ﴾[٣] .

---

(١) سورة : يونس . آية : ٥٣ .

(٢) سورة : المائدة . آية : ٦ .

(٣) سورة : الشورى . آية : ٤٠ .

وإما مع الفاعل ، نحو : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾[1] فـ « الله » فاعل و « شهيداً » نصب على الحال أو التمييز ، والباء زائدة ، ودخلت لتأكيد الاتصال ، أي لتأكيد شدّة ارتباط الفعل بالفاعل ؛ لأنّ الفعل يطلب فاعلَه طلباً لا بدّ منه ، والباء توصل الأول إلى الثاني ، فكأنّ الفعل يصل إلى الفاعل ، وزادته الباء اتصالاً .

قال ابن الشجري : فعلوا ذلك ؛ إيذاناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عظم المنزلة ، فضوعف لفظها ليضاعف معناها .

وقيل : دخلت الباء لتدلّ على المعنى ؛ لأن المعنى : اكتفوا بالله .

وقيل : الفاعل مقدر ، والتقدير كفى الاكتفاء بالله ، فحذف المصدر وبقيَ معموله دالاً عليه .

وفيه نظر ، لأن الباء إذا سقطت ارتفع إسم الله على الفاعلية ، كقوله :

* كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهياً *

وإما مع المفعول ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾[3] ، أي : تبذلونها لهم .

وقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾[5] ؛ جعلت « المفتون » إسم مفعول لا مصدراً ، كالمعقول والمعسور والميسور .

---

(1) سورة : النساء . آية : ٧٩ .
(2) سورة : البقرة . آية : ١٩٥ .
(3) سورة : الممتحنة . آية : ١٠ .
(4) سورة : العلق . آية : ١ .
(5) سورة : القلم . آية : ٦ .

وقوله : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ آللَّهِ ﴾(1) .

﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾(2) .

﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾(3) .

وقوله : ﴿ فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾(4) ، ونحوه .

والجمهور على أنها لا تجيء زائدة ، وأنّه إنما يجوز الحكم بزيادتها إذا تأدى المعنى المقصود بوجودها وحالة عدمها على السواء ، وليس كذلك هذه الأمثلة ، فإن معنى : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾(5)، كما هي في : أحسِنْ بزيد .

ومعنى ﴿ آمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ : اجعلوا المسح ملاصقاً برءُوسكم .

وكذا ﴿ بوجوهكم ﴾ ، أشار إلى مباشرة العضو بالمسح ، وإنما لم يحسن في آية الغسل « فاغسلوا بوجوهكم » لدلالة الغسل على المباشرة ، وهذا كما تتعين المباشرة في قولك : « أمسكت به » وتحتملها في « أمسكته » .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ ﴾(6) ، فحذف المفعول للاختصار .

وأما ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ فمعناه : تلقون إليهم النصيحة بالمودة .

وقال النحاس : معناه تخبرونهم بما يخبِر به الرجلُ أهل مودته .

وقال السهيلي : ضمّن ﴿ تلقون ﴾ معنى « ترمون » ، من الرمي بالشيء ، يقال : ألقى زيد إليّ بكذا ، أي : رمى به ؛ وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب أو برسالة ، فعبّر عنه بالمودة ، لأنه من أفعال أهل المودة ، فلهذا جيء بالباء .

وأما قوله : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ آلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾(7) ، فليست زائدة ، وإلّا

---

(1) سورة : الإنسان . آية : ٦ .
(2) سورة : الحج . آية : ٢٥ .
(3) سورة : المؤمنون . آية : ٢٠ .
(4) سورة : المائدة . آية : ٦ .
(5) سورة : النساء . آية : ٧٠ .
(6) سورة : البقرة . آية : ١٩٥ .
(7) سورة : الإسراء . آية : ١٤ .

لَلَحِقَ الفعلَ قبلهَا علامةُ التأنيث ، لأنه للنفس ، وهو مما يغلب تأنيثه .

وجوز في الفعل وجهان :

أحدهما : أن تكون « كان » مقدرة بعد « كفى » ، ويكون « بنفسك » صفة له قائمة مقامه .

والثاني : أنه مضمر يفسره المنصوب بعده ، أعني « حسيباً » ، كقولك : نعم رجلاً زيد .

وتجيء للتعدية :

وهي القائمة مقام الهمزة في إيصال الفعل اللازم إلى المفعول به ، نحو : ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾[1] ، أي : أذهب .

كما قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾[2] .

ولهذا لا يجمع بينهما ، فهما متعاقبتان .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾[3] .

فقيل : « أسرى » و« سري » بمعنىً ، كسقى وأسقى ، والهمَزة ليست للتعدية ، وإنما المعدّي الباء في « بِعَبْدِهِ » .

وزعم ابن عطية أن مفعول « أسرى » محذوف ، وأن التعدية بالهمزة ، أي أسرى الليلة بعبده .

ومذهب الجمهور أنها بمعنى الهمزة ، لا تقتضي مشاركة الفاعل للمفعول .

ومذهب المبرّد ، والسّهيلي : أنها تقتضي مصاحبةَ الفاعل للمفعول في الفعل بخلاف الهمزة .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .
(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٣٣ .
(٣) سورة : الإسراء . آية : ١ .

ورد بقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[1] .

﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾[2] .

ألا ترى أن الله لا يذهب مع سمعهم ، فالمعنى : لأذهب سمعَهم .

وقال الصّفّار : وهذا لا يلزم ، لأنه يحتمل أن يكون فاعل « ذهب » البرق ، ويحتمل أن يكون الله تعالى ، ويكون الذهاب على صفة تليق به سبحانه ، كما قال :

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[3] .

قال : وإنما الذي يبطل مذهبه قول الشاعر :

دِيَارُ الَّتي كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِنىً ... تحلُّ بِنَا لَـوْلَا نَجَاءُ الـرَّكَائِبِ

أي : تجعلنا حُلالاً ، لا محرمين ، وليست الديار داخلة معهم في ذلك .

واعلم أنّه لكون الباء بمعنى الهمزة ، لا يجمع بينهما ، فإن قلت : كيف جاء ﴿تَنْبُتُ بالدُّهنِ ﴾[4] والهمزة في « أنبت » للنقل ؟

قلت : لهم في الانفصال عنه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون الباء زائدة .

والثاني : أنها باء الحال ، كأنه قال : تنبت ثمرها وفيه الدهن ، أي : وفيهما الدّهن ، والمعنى : تنبت الشجرة بالدهن ، أي ما هو موجود منه ، وتختلط به القوة بنبتها ، على موقع المنّة ، ولطيف القدرة ، وهداية إلى استخراج صبغة الآكلين .

والثالث : أنّ « نبت » و« أنبت » بمعنى .

---

(1) سورة : البقرة . آية : ١٧ .

(2) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .

(3) سورة : الفجر . آية : ٢٢ .

(4) سورة : المؤمنون . آية : ٢٠ .

وللاستعانة :

وهي الدالة على آلة الفعل ، نحو كتبت بالقلم ، ومنه في أشهر الوجهين .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

وللتعليل بمنزلة اللام : كقوله :

﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾(١) .

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا ﴾(٢) .

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾(٣) .

وللمصاحبة بمنزلة « مع » :

وتسمى باء الحال ، كقوله تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِالْحَقِّ ﴾(٤) أي مع الحق أو محقاً .

﴿ يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا ﴾(٥) .

وللظرفية بمنزلة « في » :

وتكون مع المعرفة ، نحو :

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ . وَبِاللَّيْلِ ﴾(٦) .

﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٧) .

ومع النكرة ، نحو : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾(٨) .

﴿ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾(٩) .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٥٤ .

(٢) سورة : النساء . آية : ١٦٠ .

(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٤٠ .

(٤) سورة : النساء . آية : ١٧٠ .

(٥) سورة : هود . آية : ٤٨ .

(٦) سورة : الصافت . آية : ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٧) سورة : الذاريات . آية : ١٨ .

(٨) سورة : آل عمران . آية : ١٢٣ .

(٩) سورة : القمر . آية : ٣٤ .

قال أبو الفتح في « التنبيه » : وتوهّم بعضهم أنها لا تقع إلا مع المعرفة ، نحو : كنا بالبصرة ، وأقمنا بالمدينة .

وهو محجوج بقول الشماخ(١) :

وَهُنَّ وُقُـوفٌ يَنْتَـظِرْنَ قَضَــاءَهُ   بضاحَى غداةٍ أمرِه وَهُوَ ضَامِزُ

أي في ضاحى وهي نكرة :

وللمجاوزة كـ « عن » :

نحو : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾(٢) .

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾(٣) .

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾(٤) ، أي : عن الغمام .

﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾(٥) ، أي : وعن أيمانهم .

وللاستعلاء ، كعلي :

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ ﴾(٦) ، أي : على قنطار ، كما قال : ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ ﴾(٧) .

---

(١) هو : الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان الحازمي الذبياني الغطفاني : شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وهو من طبقة لبيد ، والنابغة . كان شديد متون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطقاً . وكان أرجز الناس على البديهة جمع بعض شعره في ديوان . شهد القادسية ، وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢ هـ .

قال البغدادي وآخرون : اسمه معقل بن ضرار ، والشماخ لقبه .

(أنظر : الإصابة ت ٣٩١٣ . والأغاني ٩٧/٨ . وخزانة البغدادي ٥٢٦/١ . والكامل ٢٨/٢ . ورغبة الآمل ٩٤/٢ ، ١٦٢ . والتبريزي ٦٥/٣ ، ١٣٣/٤ . والأعلام ١٧٥/٣) .

(٢) سورة : الفرقان . آية : ٥٩ .

(٣) سورة : المعارج . آية : ١ .

(٤) سورة : الفرقان . آية : ٢٥ .

(٥) سورة : التحريم . آية : ٨ .

(٦) سورة : آل عمران . آية : ٧٥ .

(٧) سورة : يوسف . آية : ٦٤ .

ونحو : ﴿ وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾[1] ، أي : عليهم ، كما قال : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾[2] .

وللتبعيض كـ « من » ، نحو :

﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾[3] ، أي : منها . وخرّج عليه : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾[4] .

والصحيح أنها باء الاستعانة ، فإن « مَسَح » يتعدى إلى مفعول ، وهو المزال عنه ، وإلى آخر بحرف الجرّ وهو المزيل ؛ فيكون التقدير : « فامسحوا أيديَكم برءوسكم » .

٢٥ ـ بَلْ

حرف إضراب عن الأول ، وإثبات للثاني ؛ يتلوه جملة ومفرد .

فالأول الإضراب فيه ، إما بمعنى ترك الأول والرجوع عنه بإبطاله ، وتُسمى حرف ابتداء ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[5] أي بل هم عباد .

وكذا : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾[6] .

وإما الانتقال من حديث إلى حديث آخر ، والخروج من قصة إلى قصة ؛ من غير رجوع عن الأول؛ وهي في هذه الحالة عاطفة ، كما قاله الصفار ، كقوله تعالى :

---

(١) سورة : المطففين . آية : ٣٠ .
(٢) سورة : الصافات . آية : ١٣٧ .
(٣) سورة : الإنسان . آية : ٦ .
(٤) سورة : المائدة . آية : ٦ .
(٥) سورة : الأنبياء . آية : ٢٦ .
(٦) سورة : المؤمنون . آية : ٧٠ .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[1] .

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً ﴾[2] .

وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾[3] ؛ انتقل من القصة الأولى إلى ما هو أهمّ منها .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾[4] ليست للانتقال ، بل هم متصفون بهذه الصفات .

وقوله : ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[5] .

وفي موضع : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[6] .

وفي موضع : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾[7] ؛

والمراد : تعديد خطاياهم ، واتصافهم بهذه الصفات ، وبل لم ينوِ ما أضافه إليهم ، من إتيان الذكور والإعراض عن الإناث ؛ بل استدرك بها بيانَ عدوانهم ؛ وخرج من تلك القصة إلى هذه الآية .

وزعم صاحب « البسيط » ، وابن مالك أنها لا تقع في القرآن إلا بهذا المعنى ؛ وليست كذلك لما سبق .

وكذا قال ابن الحاجب في شرح « المفصل » ، إبطال ما للأول وإثباته للثاني ، إن كان في الإثبات ، نحو : جاء زيد بل عمرو ؛ فهو من باب الغلط ؛ فلا يقع مثله في القرآن ، ولا في كلام فصيح . وإن كان ما في النفي نحو : ما جاءني زيد بل عمرو .

---

(١) سورة : الأنعام. آية : ٩٤ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٤٨ .

(٣) سورة : السجدة. آية : ٣ .

(٤) سورة : النمل . آية : ٦٥ ـ ٦٦ .

(٥) سورة : الشعراء . آية : ١٦٦ .

(٦) سورة : النمل . آية : ٥٥ .

(٧) سورة : الأعراف . آية : ٨١ .

ويجوز أن يكون من باب الغلط ، يكون عمرو غير جاءٍ ، ويجوز أن يكون مثبتاً لعمرٍو المجيء ، فلا يكون غلطاً . انتهى .

ومنه أيضاً : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ . بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ صٓ . وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ . بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[3] .

ترك الكلام الأول ، وأخذ بـ « بل » في كلام ثان ، ثم قال حكاية عن المشركين : ﴿ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾[4] ، ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴾[5] ، ثم تركَ الكلام الأول ، وأخذ بـ « بل » في كلام آخر ، فقال : ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[6] .

والثاني ـ أعني ما يتولها مفرد ـ فهي عاطفة . ثم إن تقدمها إثبات نحو : اضرب زيداً بل عمراً ، وأقام زيد بل عمرو ، فقال النحاة : هي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه ، فلا يحكَم عليه بشيء ، ويثبت ما بعدها . وإن تقدمها نفي أو نهي ، فهي لتقرير ما قبلها على حاله . وجعل ضده لما بعدها ، نحو : ما قام زيد بل عمرو ، ولا يقم زيد بل عمرو .

ووافق المبرّد على ما ذكرنا ، غير أنه أجاز مع ذلك أن تكون ناقلة مع النهي أو النفي إلى ما بعدها .

وحاصل الخلاف أنه إذا وقع قبلها النفي هل تنفي الفعل أو توجبه ؟ .

---

(١) سورة : الأعلى . آية : ١٤ ـ ١٦ .
(٢) سورة : المؤمنون . آية : ٦٢ ـ ٦٣ .
(٣) سورة : صٓ. آية : ١ ـ ٢ .
(٤) سورة : صٓ. آية : ٨ .
(٥) سورة : صٓ. آية : ٨ .
(٦) سورة : صٓ. آية : ٨ .

٢٦ - بَلَى

لها موضعان :

أحدها : أن تكون ردًا لنفيٍ يقع قبلها ، كقوله تعالى :

﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾(١) ، أي : عملتُم السوء .

وقوله : ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾(٣) ثم قال : ﴿ بَلَى ﴾ ، أي عليهم سبيل .

والثاني : أن تقع جواباً لاستفهامٍ ، دخل عليه نفي حقيقة ، فيصير معناها التصديق لما قبلها ، كقولك : « ألم أكن صديقك !؟ » « ألم أحسن إليك !؟ » فتقول : « بلى » أي : كنتَ صديقي .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾(٤) .

ومنه : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾(٥) ، أي : أنت ربنا . فهي في هذا الأصل تصديق لما قبلها ، وفي الأول ردّ لما قبلها وتكذيب .

وقوله : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾(٦) ، أي : كنتم معنا .

ويجوز أن يقرَن النفي بالاستفهام مطلقاً ، أعم من الحقيقي والمجازي

فالحقيقي كقوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى ﴾(٧) .

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى ﴾(٨) .

---

(١) سورة : النحل . آية : ٢٨ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٣٨ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ٧٥ .

(٤) سورة : الملك. آية : ٨ ، ٩ .

(٥) سورة : الأعراف . آية : ٧٢ .

(٦) سورة : الحديد . آية : ١٤ .

(٧) سورة : الزخرف . آية : ٨٠ .

(٨) سورة : القيامة . آية : ٣ ، ٤ .

ثم قال الجمهور : التقدير : بل نحييها قادرين ؛ لأنّ الحساب إنما يقع من الإنسان على نَفْي جَمْعِ العظام ، و« بلى » إثبات فعل النفي ، فينبغي أن يكون الجمع بعدها مذكوراً على سبيل الإيجاب .

وقال الفراء : التقدير فنحيِها قادرين ، لدلالة « أيحسب » عليه ، وهو ضعيف ؛ لأنه عدول عن مجيء الجواب ، على نمط السؤال .

والمجازيّ : كقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[1] ، فإنّ الاستفهامَ هنا ليس على حقيقته ، بل هو للتقرير ، لكنهم أجروا النفيَ مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده بـ « بلى » .

وكذلك قال ابن عباس : لو قالوا : نعَم لكفروا . ووجهه أن « نعم » تصديق لما بعد الهمزة ، نفياً كان أو إثباتاً .

ونازع السهيليّ وغيره في المحكيّ عن ابن عباس من وجه أن الاستفهام التقريري إثبات قطعاً ، وحينئذٍ فنعم في الإيجاب تصديق له ، فهلّا أجيب بما أجيب به الإيجاب ! فإنّ قولك : ألم أعطِك درهَماً ! بمنزلة أعطيتك .

والجواب من أوجه :

أحدها : ذكره الصفّار: أن المقرر قد يوافقه المقرر فيما يدعيه وقد لا . فلو قيل في جواب : ألم أعطِك ! « نعم » لم يُدْرَ : هل أراد : نعم لم تعطني ، فيكون مخالفاً للمقرر ، أو نعم أعطيتني فيكون موافقاً . فلما كان يلتبِس أجابوه على اللفظ ، ولم يلتفتوا إلى المعنى .

تنبيهات :

الأول : ما ذكرنا من كون « بلى » إنما يجاب بها النفي ، هو الأصل ، وأمّا قوله تعالى ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ﴾[2] ، فإنّه لم يتقدمها نفيٌ لفظاً لكنه

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٧٢ .

(٢) سورة : الزمر . آية : ٥٩ .

مقدّر : فإن معنى ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي ﴾[1] مَا هَدَانِي ، فلذلك أجيب بـ « بلى » التي هي جواب النفي المعنوي ، ولذلك حققه بقوله : ﴿ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ﴾[2] وهي من أعظم الهدايات .

ومثله ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾[3] ، فإنه سبق نفي ، وهو ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾[4] ، فجاءت الآية على جهة التوبيخ لهم في اعتقادهم أن الله لا يجمع عظامهم ، فردّ عليهم بقوله : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾[5] .

وقال ابن عطية : حق « بلى » أن تجيء بعد نفي عليه تقرير .

وهذا القيد الذي ذكره في النفي لم يذكره غيره ، وأطلق النحويون أنها جواب النفي .

وقال الشيخ أثير الدين : حقّها أن تدخل على النفي ، ثم حمل التقرير على النفي ، ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب ، وأجابه بنعم .

وسأل الزمخشري : هلاّ قرن الجواب بما هو جواب له ، وهو قوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾[6] ، ولم يفصل بينهما بآية ؟[7] .

وأجاب بأنه إن تقدم على إحدى القرائن الثلاث فُرِق بينهن وبين النظم ، فلم يحسن ، وإن تأخرت القرينة الوسطى نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ، ثم التعليل بفقد الهداية ثم تمنّى الرجعة ؛ فكان الصواب ما جاء عليه ، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها .

ثم أجاب عما اقتضى الجواب من بينها .

الثاني : اعلم أنك متى رأيت « بلى » أو « نعم » بعد كلام يتعلّق بها تعلّق الجواب ، وليس قبلها ما يصح أن يكون جواباً له ، فاعلم أن هناك سؤالاً

(١) سورة : الزمر . آية : ٥٧ .
(٢) سورة : الزمر . آية : ٥٩ .
(٣) سورة : القيامة . آية : ٤ .
(٤) سورة : القيامة . آية : ٣ .
(٥) سورة : القيامة . آية : ٤ .
(٦) سورة : الزمر . آية : ٥٧ .
(٧) « ولم يفصل بينهما بآية » غير موجودة بالأصول وهي من الكشاف للزمخشري ١٠٧/٤ .

مقدراً ، لفظه لفظ الجواب ، ولكنه اختصر وطوي ذكره ، علماً بالمعنى ، كقوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾[1] ، فقال المجيب : « بلى » ، ويعاد السؤال في الجواب .

وكذا قوله : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾[2] ، ليست « بلى » فيه جواباً لشيء قبلها ، بل ما قبلها دال على ما هي جواب له ، والتقدير : ليس من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته خالداً في النار أو يخلَّد في النار ، فجوابه الحق « بلى» .

وقد يكتفى بذكر بعض الجواب دالاً على باقيه ، كما قال تعالى : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾[3] ، أي : بلى نجمعها قادرين ، فذكْر الجملة بمثابة ذكر الجزء من الجملة ، وكافٍ عنها .

الثالث : من القواعد النافعة : أن الجواب إما أن يكون لملفوظ به أو مقدّر .

فإن كان لمقدر ، فالجواب بالكلام ؛ كقولك لمن تقدره مستفهماً عن قيام زيد : قام زيد ، أو لم يقم زيد ، ولا يجوز أن تقول « نعم » ولا « لا » ، لأنه لا يعلم ما يعني بذلك ؛ وإن كان الجواب لملفوظ به ؛ فإن أردت التصديق قلت : نعم ، وفي تكذيبه « بلى » ، فتقول في جواب مَنْ قال : أما قام زيد ؟ « نعم » إذا صدقته ، و« بلى » إذا كذبته .

وكذلك إذا أدخلت أداة الاستفهام على النفي ، ولم ترد التقرير ، بل أبقيت الكلام على نفيه ، فتقول في تصديق النفي : « نعم » وفي تكذيبه « بلى » نحو ألم يقم زيد ؟ فتقول في تصديق النفي : « نعم » ، وفي تكذيبه : « بلى » .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ١١٢ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٨١ .

(٣) سورة : القيامة . آية : ٤ .

الرابع : يجوز الإثبات والحذف بعد « بلى » ؛ فالإثبات كقوله تعالى :
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[2] .

ومن الحذف قوله تعالى : ﴿ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا ﴾[3] ، فالفعل المحذوف بعد « بلى » في هذا الموضع « يكفيكم » ، أي بلى يكفيكم أن تصبروا .

وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى ﴾[4] ، أي : قد آمنت .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾[5] ، ثم قال : « بلى » ، أي تمسكم أكثر من ذلك .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾[6] ، ثم قال : بلى ، أي يدخلها غيرهم .

وقوله : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[7] .

وقد تحذف « بلى » وما بعدها ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾[8] ، أي : بلى قلت لي .

٢٧ - ثمّ

للترتيب مع التراخي .

وأمّا قوله : ﴿ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَى ﴾[1] .

---

(١) سورة : الملك . آية : ٨ - ٩ .
(٢) سورة : سبإ . آية : ٣ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٦٠ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٨٠ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ١١١ .
(٧) سورة : الحديد . آية : ١٤ .
(٨) سورة : الكهف . آية : ٧٥ .

والهداية سابقة على ذلك ، فالمراد « ثم دام على الهداية » ، بدليل قوله :

﴿ وَآمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ثُمَّ ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ﴾[٢] .

وقد تأتي لترتيب الأخبار ، لا لترتيب المخبَر عنه ، كقوله تعالى :

﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ ﴾[٣] .

وقوله : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[٤] .

وتقول : زيد عالم كريم ، ثم هو شجاع .

قال ابن بَرّي : قد تجيء « ثم » كثيراً لتفاوت ما بين رتبتين في قصد المتكلّم فيه تفاوت ما بين مرتبتي الفعل مع السكوت عن تفاوت رتبتي الفاعل ، كقوله تعالى :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[٥] .

فـ « ثم » هنا لتفاوت رتبة الخلْق والجعل من رتبة العدل ، مع السكوت عن وصف العادلين .

ومثله قوله تعالى :

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٦] .

دخلت لبيان تفاوت رتبة الفكّ والإطعام ، من رتبة الإيمان ، إلا أن فيها زيادة تعرّض لوصف المؤمنين بقوله : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾[٧] .

---

(١) سورة : طه . آية : ٨٢ .
(٢) سورة : المائدة . آية : ٩٣ .
(٣) سورة : يونس . آية : ٤٦ .
(٤) سورة : هود . آية : ٩٠ .
(٥) سورة : الانعام . آية : ١ .
(٦) سورة : البلد . آية : ١١، ١٧ .
(٧) سورة : البلد . آية : ١١ ، ١٧ .

وذكر غيره في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[1] : أن « ثم » دخلت لبُعد ما بين الكفر وبين خلق السموات والأرض .

وعلى ذلك جرى الزمخشري في مواضع كثيرة من الكشاف ، كقوله تعالى :

﴿ لَغفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا ﴾[3] .

قال : كلمة التراخي دلّت على تباين المنزلتيْن ؛ دلالتها على تباين الوقتين ، في « جاءني زيد ثم عمرو ـ أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه ؛ لأنها أعلى منها وأفضل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾[4] .

إن قلت : ما معنى « ثم » الداخلة في تكرير الدعاء ؟ قلت : الدلالة على أن الكرّة الثانية من الدعاء أبلغ من الأولى .

وقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[5] ، قال : جاء بـ « ثمّ » لتراخي الإمان وتباعده في الرتبة والفضيلة على العتق والصدقة ، لا في الوقت ، لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[6] :

إن « ثم » هذه : فيها من تعظيم منزلة النبي ﷺ ، وإجلال محلّه والإيذان

---

(1) سورة : الأنعام . آية : 1 .
(2) سورة : طه . آية : 82 .
(3) سورة : الأحقاف . آية : 13 .
(4) سورة : المدثر . آية : 18 ـ 20 .
(5) سورة : البلد . آية : 17 .
(6) سورة : النحل . آية : 123 .

بأنّه أولى وأشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة ، وأجلّ ما أوتي من النعمة أتباع رسول الله ﷺ في ملّته[1] .

واعلم أنّه بهذا التقدير يندفع الاعتراض بأن « ثم » قد تخرج عن الترتيب والمهلة وتصير كالواو ؛ لأنه إنما يتم على أنها تقتضي الترتيب الزماني لزوماً ، أما إذا قلنا : إنها ترد لقصد التفاوت والتراخي عن الزّمان لم يحتج إلى الانفصال عن شيء مما ذكر من هذه الآيات الشريفة ، لا أن تقول : إن « ثم » قد تمرن بمعنى الواو .

والحاصل أنها للتراخي في الزمان ، وهو المعبّر عنه بالمهلة ، وتكون للتباني في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية ، بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله ، وأنه لو انفرد لكان كافياً فيما قصد فيه ، ولم يقصد في هذا ترتيب زمانيّ ، بل تعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقعه ، وتحريك النفوس لاعتباره .

وقيل : تأتي للتعجب ، نحو :

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا ﴾[3] .

وقيل : بمعنى واو العطف ، كقوله :

﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ ﴾[4] ، أي : هو شهيد .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[5] .

والصواب أنها على بابها لما سبق قبله .

---

(١) في الأصول : « ما أوتي خليل الله في ملته » والإضافة من الكشاف ، للزمخشري ٥٠١/١ .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ١ .

(٣) سورة : المدثر . آية : ١٥ ـ ١٦ .

(٤) سورة : يونس . آية : ٤٦ .

(٥) سورة : القيامة . آية : ١٩ .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا ﴾[١] .

وقد أمر الله الملائكة بالسجود قبل خلقنا ، فالمعنى : وصوّرناكم .

وقيل على بابها ، والمعنى : ابتدأنا خلقكم ؛ لأن الله تعالى خلق آدم من تراب ثم صوّره وابتدأ خلق الإنسان من نطفة ثم صوره .

وأما قوله : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً ﴾[٢] ، وقد كان قضى الأجلَ ، فمعناه : أخبركم أني خلقته من طين ، ثم أخبركم أني قضيت الأجل ، كما تقول : كلمتك اليوم ثم كلمتك أمس ، أي أني أخبرك بذاك ، ثم أخبرك بهذا ، وهذا يكون في الجمل[٣] ،

فأما عطف المفردات فلا تكون إلا للترتيب . قاله ابن فارس .

قيل : وتأتي زائدة ، كقوله تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾[٤] .

لأن « تاب » جواب « إذا » من قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ ﴾[٥] .

وتأتي للاستئناف ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾[٦] .

فإن قيل : ما المانع من الجزم على العطف ؟

فالجواب ، أنه عدل به عن حكم الجزاء ، ألى حكم الإخبار ابتداء ، كأنه قال : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١١ .
(٢) سورة : الأنعام . آية : ١ .
(٣) في الأصول : « أني قضيت الأجل ، وهذا يكون في الجمل » والإضافة من فقه اللغة لابن فارس ص ١٢٠ .
(٤) سورة : التوبة . آية : ١١٨ .
(٥) سورة : التوبة . آية : ١١٨ .
(٦) سورة : آل عمران . آية : ١١١ .

فإن قيل : أي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى ؟

قيل : لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولّيهم ، وحين رفع كان النصر وعداً مطلقاً ، كأنه قال : ثم شأنُهم وقصتهم أني أخبركم عنها ، وأبشّركم بها بعد التولية أنهم مخذولون ، منعت عنهم النصرة والقوة ، ثم لا ينهضون بعدها بنجاح ، ولا يستقيم لهم أمر .

واعلم أنها وإن كانت حرف استئناف ، ففيها معنى العطف ، وهو عطف الخبر على جملة الشرط والجزاء ، كأنه قال : أخبركم أنهم يقاتلونكم فيهزموا ، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون .

فإن قيل : ما معنى التراخي في « ثم » ؟

قيل : التراخي في الرتبة ، لأن الأخبار التي تتسلط عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار ، وكقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ . ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلآخِرِينَ ﴾(١) .

٢٨ ـ ثَمَّ المفتوحة

ظرف للبعيد بمعنى هنالك .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ ﴾(٢) .

وقرىء : ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثَمَّ ٱللَّهُ شهِيدٌ ﴾(٣) ، أي : هنالك الله شهيد ، بدليل : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَايَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾(٤) .

(١) سورة : المرسلات . آية : ١٦ ـ ١٧ .
(٢) سورة : الإنسان . آية : ٢٠ .
(٣) سورة : يونس . آية : ٤٦ ـ ٥١ .
(٤) سورة : الكهف . آية : ٤٤ .

وقال الطبري في قوله : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾[1]، معناه : أهنالك ، وليست « ثم » العاطفة . وهذا وَهْم اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة .

٢٩ ـ حاشا

إسم يأتي بمعنى التنزيه ، كقوله تعالى :

﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾[2] .

بدليل قول بعضهم : « حاشاً للَّه »بالتنوين .

كما قيل : ﴿ براءة من الله ﴾ من كذا ، أي : حاشاً للَّه بالتنوين كقولهم : رَعْياً لزيد .

وقراءة ابن مسعود ﴿ حاشا اللَّهِ ﴾ بالإضافة ، فهذا مثل سبحان الله ، ومعاذ الله .

وقيل : بمعنى جَانَب يوسف المعصية لأجل الله ، وهذا لا يتأتى في :

﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا هٰذَا بَشَراً ﴾[3] .

قال الفارسيّ : وهو فاعل من الحشا الذي هو الناحية ، أي صارَ في ناحية ، أي بعُد مما رُمِي به وتنحَّى عنه فلم يَغْشَه ولم يلابسه .

فإن قلت : إذا قلنا بإسميّة « حاشا » ، فما وجهُ تركِ التنوين في قراءة الجماعة وهي غير مضافة ؟

قلت : قال ابن مالك : والوجه أن تكون « حاشى » المشبّهة بحاشى الذي هو حرف ، وأنه شابهه لفظاً ومعنى ، فجرى مجراه في البناء .

(١) سورة : يونس . آية : ٤٦ ـ ٥١ .
(٢) سورة : يوسف . آية : ٥١ .
(٣) سورة : يوسف . آية : ٣١ .

٣٠ ـ حتى

كـ « إلى » لكن يفترقان ؛ في أنّ ما بعد « حتى » يدخل في حكم ما قبلها قطعاً ، كقولك : قام القوم حتى زيد ؛ فـ « زيد » ها هنا دخل في القيام ، ولا يلزم ذلك في قام القوم إلى زيد .

ولهـذا قال سيبـويه : إنّ « حتى » تجـري مجرى الـواو « وثم » في التشريك .

ومن الدّليل على دخول ما بعدها فيما قبلها ؛ قولُه ﷺ : « كلُّ شيءٍ بقضاءٍ وَقَدَرٍ حتى العجز والكسل »[١] .

وقوله : « أرِيت كلّ شيء حتى الجنة والنار » .

وقال الكواشي في تفسيره : الفرقُ بينَهما أنّ « حتى » تختص بالغاية المضروبة ، ومن ثَمّ جاز : أكلت السمكةَ حتى رأسها ، وامتنع « حتى نصفها » أو « ثلثها » وإلى عامّة في كل غاية . انتهى .

ثم الغاية تجيء عاطفة ؛ وهي للغاية كيف وقعت ؛ إمّا في الشرف ، كجاء القوم حتى رئيسهُم ، أو الضعة ، نحو أسنّت الفصال حتى القرعى .

أو تكون جملة من القول على حال هو آخر الأحوال المفـروضة أو المتوهّمة ، بحسب ذلك الشأن ؛ إمّا في الشدة ، نحـو : ﴿ وَزُلْزِلُـوا حَتَّى يَقُولَ ﴾[٢] إذا أريد حكاية الحال ؛ ولولا ذلك لم تعطف الجملة الحالية ، على الجملة الماضية . فإن أريد الاستقبال لزم النصب .

---

(١) في الأصول : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » .
والحديث في مسند الربيع بن حبيب ١٩/١ : «كـل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكسل » وهو ما أثبتناه .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢١٤ .

وإما في الرّخاء ، نحو : شربت الإبل حتى يجيء البعير يجرّ بطنه ، على الحكاية .

ولانتهاء الغاية ، نحو :

﴿ حَتَّى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[1] .

﴿ حَتَّى يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾[2] .

والتعليل ، وعلامتها أن تحسن في موضعها « كي » نحو : « حتى تغيظ ذا الحسد » .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ ﴾[3] .

ويحتملها : ﴿ حَتَّى تَفِيءَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ ﴾[5] .

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾[6] .

قيل : وللاستثناء ، كقوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا ﴾[7] ؛ والظاهرُ أنّها للغاية .

وحرف ابتداء ؛ أي تبتدأ به الجملة الاسمية أو الفعلية ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَقُولُ ٱلرَّسُولُ ﴾[8] في قراء نافع .

وكذا الداخلة على « إذا » ، في نحو : ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾[9] ونظائره ، والجواب محذوف .

---

(١) سورة : القدر . آية : ٥ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٣٥ .
(٣) سورة : محمد . آية : ٣١ .
(٤) سورة : الحجرات . آية : ٩ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ .
(٦) سورة : المنافقون . آية : ٧ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ١٠٢ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ٢١٤ .
(٩) سورة : آل عمران . آية : ١٥٢ .

٣١ ـ حيث

ظرف مكان .

قال الأخفش : وللزمان ، وهي مبنية على الضم تشبيهاً بالغايات ، فإن الإضافة إلى الجملة كلا إضافة .

ولهذا قال الزّجاج في قوله تعالى : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾(١) : ما بعد « حيث » صلة لها وليست بمضافة إليه ؛ يريد أنها ليست مضافة للجملة بعدها ، فصارت كالصلة لها ، أي كالزيادة .

وفهم الفارسيّ أنه أراد أنها موصولة ، فردّ عليه .

ومن العرب من يعرب « حيث » ، وقراءة بعضهم : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) ، بالكسر تحتملها . وتحتمل البناء على الكسر . وقد ذكروا الوجهين في قراءة : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثَ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾(٣) بفتح الثاء .

والمشهور أنها ظرف لا يتصرف .

وجوز الفارسيّ وغيره في هذه الآية كونَها مفعولاً به على السعة ، قالوا : ولا تكون ظرفاً ، لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلَم منه في مكان .

وإذا كانت مفعولاً لم يعمل فيها « أعلم » ؛ لأن « أعلم » ؛ لا يعمل في المفعول به ، فيقدر لها فعل .

واختار الشيخ أثير الدين أنها باقية على ظرفيتها مجازاً . وفيه نظر .

٣٢ ـ دُون

نقيض « فوق » ، ولها معان :

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ٢٨ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٨٢ .

(٣) سورة : الأنعام . آية : ١٢٤ .

أحدها : من ظروف المكان المبهَم ؛ لاحتمالها الجهات الستّ .

وقيل : هي ظرف يدُلّ على السُّفل في المكان أو المنزلة ، كقولك : زيد دون عمرو .

وقال سيبويه : وأما « دون » فتقصير عن الغاية .

قال الصّفّار : لا يريد الغاية على الإطلاق ، بل الغاية التي تكون بعدها ، فإذا قلت : أنا دونك في العلم ، معناه : أنا مقصّر عنك ، وهو ظرف مكان متجوّز فيه ، أي أنا في موضع من العلم لا يبلغ موضعك . ونظيره : فلان فوقك في العلم .

الثاني : إسم ، نحو : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾(١) .

الثالث : صفة ، نحو : هذا الشيء دون ، أي رديء ، فيجري بوجوه الإعراب .

وقد تكون صفة لا بمعنى رديء ، ولكن على معناه من الظرفيّة ؛ نحو : رأيت رجلاً دونك .

ثم قد يحذف هذا الموصوف وتقام الصفة مقامه ؛ وحينئذٍ فللعرب فيه لغتان : أحدهما : إعرابها كإعراب الموصوف وجريها بوجوه الإعراب ، والثانية : أبقاؤها على أصلها من الظرفية ، وعليها جاء قوله : ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾(٢) ، قرىء بالرفع والنصب .

وقال الزمخشريّ : معناه : أدنى مكان من الشيء .

ومنه : الدّون : للحقير ، ويستعمل للتفاوت في الحال ، نحو : زيد دون عمرو ، أي : في الشرف والعلم ، واتسع فيه ، فاستعمل في تجاوز حدّ إلى حدّ ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) ، أي : لا يتجاوزون ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين .

---

(١) سورة : النساء . آية : ١١٧

(٢) سورة : الجن . آية : ١١ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٤٤ .

وقيل : إنه مشتق من « دون » فعل ، يقال : دان يدون دَوْناً ، وأدين إدانة ؛ والمعنى على الحقارة والتقريب . وهذا دون ذلك ، أي : قريب منه .

ودوَّن الكتب إذا جمعها ؛ لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض ، وتقليل المسافة بينها ، ودونك هذا ، أصله خذه من دونك ، أي : من مَنْ أدنى منك ، فاختصر .

٣ ـ ذو ، وذات

بمعنى : صاحب، ومنه قوله تعالى : ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾(٢) .

ولا يستعمل إلا مضافاً ، ولا يضاف إلى صفة ، ولا إلى ضمير .

وإنما وضعت وُصلة إلى وصف الأشخاص بالأجناس ، كما أن « الذي » وضعت وصلة إلى وصل المعارف بالجمل ، وسبب ذلك أن الوصف إنما يراد به التوضيح والتخصيص ، والأجناس أعمّ من الأشخاص فلا يُتصور تخصيصها لها ؛ فإنك إذا قلت : مررت برجل عِلْم ، أو مال ، أو فضل ؛ ونحوه لم يعقل ؛ ما لم يقصد به المبالغة ؛ فإذا قلت : بذِي علْم ، صحّ الوصفُ ، وأفاد التخصيص ؛ ولذلك كانت الصفة تابعة للموصوف في إعرابه ومعناه .

وأما قراءة ابن مسعود : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عَالِمٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

فقيل : » العالم « هنا مصدر ، كالصالح والباطل ، وكأنه قال :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ﴾(٣) .

فالقراءتان في المعنى سواء .

وقيل : « ذي » زائدة .

---

(١) سورة : البروج . آية : ١٥ .

(٢) سورة : الرحمٰن . آية : ٤٨ .

(٣) سورة : يوسف . آية : ٧٦ .

وقيل : من إضافة المسمّى إلى الاسم ، أي وفوق كل ذي شخص يسمى عالماً ، أو يقال له عالم عليم .

ولا يضاف إلى ضمير الأشخاص ، ولهذا الحنوّ قول بعضهم : « صلى اللّه على محمد وذويه » .

واختلفوا هل تضاف « ذو » إلى ضمير الأجناس ، فمنعه الأكثرون. والظاهر الجـواز؛ لأن ضمير الجنس هو الجنس في المعنى .

عن ابن بَرّي أنها تضاف إلى ما يضاف إليه صاحب ، لأنها رديفته ؛ وأنّه لا يمتنع إضافتها للضمير إلا إذا كانت وصلة ، وإلا فلا يمتنع .

وقال المطرّزي في « المُغْرب » :

ذو بمعنى الصاحب تقتضي شيئين : موصوفاً ومضافاً إليه ؛ تقول : جاءني رجل ذو مال ، بالواو في الرفع ، وبالألف في النصب ، وبالياء في الجرّ ، ومنه : ذو بطن خارجة ، أي جنينها ، وألقت الدجاجة ذا بطنها ، أي باضت أو سلحت . وتقول للمؤنث : امرأة ذات مال ، وللبنتين ذواتا مال ، وللجماعة ذوات مال .

قال : هذا أصل الكلمة ، ثم اقتطعوا عنها مقتضاها ؛ وأجروْها مجرى الأسماء التّامة المستقلة ، غير المقتضية لما سواها ، فقالوا : ذات متميزة ، وذات قديمة ومحدثة ، ونسبوا إليها كما هي من غير تغيير علامة التأنيث ، فقالوا : الصفات الذاتية ، واستعملوها استعمال النفس والشيء .

وعن أبي سعيد ـ يعني السيرافي ـ كلّ شيء ذات ، وكل ذات شيء .

وحكى صاحب « التكملة »[1] في قولَ العرب : جعل ما بيننا في ذاته ، وعليه قول أبي تمام :

---

(١) هو: حسن بن محمد الصاغاني ، صاحب كتاب « التكملة على الصحاح » وقد سبقت ترجمته في الجزء الأول.

* ويضرب في ذات الإله فيوجع *

قال شيخنا - يعني الزمخشري : إن صح هذا ، فالكلمة عربية ، وقد استمر المتكلمون في استعمالها ، وأما قوله : ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(١) ، وقوله : « فلان قليل ذات اليد » ، فمن الأول ، والمعنى الإقلال ، لمصاحبة اليد . وقولهم : « أصلح الله ذات بينه » ، و « ذو اليد أحق » . انتهى .

وقال السّهيليّ : والإضافة لـ « ذي » أشرف من الإضافة لصاحب ، لأن : قولك : «ذو» يضاف إلى التابع ، و «صاحب» يضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبي ﷺ ، ولا تقول : النبيّ صاحب أبي هريرة إلا على جهةٍ ما ، وأما « ذو » فإنك تقول فيها : ذو المال ، وذو العرش ، فتجد الاسمَ الأول متبوعاً غير تابع ، ولذلك سمِّيت أقيال حمير بالأذواء ، نحو قولهم : ذو جَدَن ، ذو يَزَن ، في الإسلام أيضاً : ذو العين ، وذوالشهادتين ، وذو السِّماكين ، وذو اليدين ؛ هذا كله تفخيم للشيء ، وليس ذلك في لفظة « صاحب » ، وبني على هذا الفرق أنه سبحانه قال في سورة الأنبياء : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾(٢) ، فأضافه إلى « النون » وهو الحوت ، وقال في سورة القلم : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾(٣) ، قال : والمعنى واحد ، لكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالتين، وتنزيل الكلام في الموضعين ، فإنه ذكر في موضع الثناء عليه ذو النون ، ولم يقل صاحب النون ، لأن الإضافة بـ « ذي » أشرف من صاحب ، ولفظ النون أشرف من الحوت ، لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء أوائل السور ، وليس في اللفظ الآخر ما يشرفه لذلك . فالتفِتْ إلى تنزيل الكلام في الآيتين يَلُحْ لك ما أشرنا إليه في هذا الغرض ؛ فإن التدبّر لإعجاز القرآن واجب ومفترض .

---

(١) سورة : هود . آية : ٥ .

(٢) سورة : الأنبياء . آية : ٨٧ .

(٣) سورة : القلم . آية : ٤٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[1] أي : الحال بينكم ، وأزيلوا المشاجرة .

وتكون للإرادة والنية ، كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[2] ، أي : السرائر .

٣٤ ـ رُوَيد

تصغير « رُود » ، وهو المَهْل ، قال تعالى : ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾[3] ، أي : قليلاً .

قال ابن قتيبة : وإذا لم يتقدمها « أمهلهم » ؛ كانت بمعنى « مهلاً » ولا يُتكلم بها إلا مصغراً مأموراً بها .

٣٥ ـ ربّما

لا يكون الفعل بعدها إلا ماضياً ؛ لأن دخول « ما » لا يزيلها عن موضعها في اللغة ، فأما قوله تعالى : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] ، فقيل على إضمار « كان » ، تقديره « ربما كان يود الذين كفروا » .

٣٦ ـ السين

حرف استقبال .

قيل : وتأتي للاستمرار ، كقوله تعالى :

(١) سورة : الأنفال . آية : ١ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ١٥٤ .
(٤) سورة : الطارق . آية : ١٧ .
(٥) سورة : الحجر . آية : ٢ .

﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾[2] .

لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ ﴾ ، فجاءت السين إعلاماً بالاستمرار لا بالاستقبال .

قال الزمخشري : أفادت السين وجود الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت : سأنتقم منك .

ومثلُهُ قول سيبويه في قوله : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾[3] : معنى السين أن ذلك كائن لا محالة ، وإن تأخرت إلى حين .

وقال الطيبي : مراد الزمخشري أن السين في الإثبات مقابلة « إن » في النفي ؛ وهذا مردود ؛ لأنه لو أراد ذلك لم يقل : السين توكيد للوعد ، بل كانت حينئذٍ توكيداً للموعود به ، كما أن « لو » تفيد تأكيد النفي بها .

وتأتي زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾[4] ، أي : تجيبون .

وقوله : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[5] .

٣٧ - سوف

حرف يدل على التأخير والتنفيس ، وزمانه أبعد من زمان السين ؛ لما فيها من إرادة التسويف .

ومنه قيل : فلان يسوّف فلاناً ، قال تعالى :

---

(١) سورة : النساء . آية : ٩١ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٤٢ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ١٣٧ .
(٤) سورة : الإسراء . آية : ٥٢ .
(٥) سورة : الشورى . آية : ٢٦ .

﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ ﴾(٢) ، فقرّب القول .

وممن صرح بالتفاوت بينهما الزمخشري ، وابن الخشاب في « شرح الجمل » ، وابن يعيش ، وابن أبان ، وابن بابشاذ ، وابن عصفور ، وغيرهم .

ومنع ابن مالك كون التراخي في « سوف » أكثر ، بأن الماضي والمستقبل متقابلان ، والماضي لا يقصد به إلا مطلق المضيّ دون تعرض لقرب الزمان أو بعده ، فكذا المستقبل ، ليجري المتقابلان على سَنَنٍ واحد ، ولأنهما قد استعملا في الوقت الواحد .

وقال تعالى في سورة : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

وفي سورة التكاثر : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾(٥) .

قلت : ولا بدّ من دليل على أن قوله تعالى : ﴿ وَسَوفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٦) .

وقوله : ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ﴾(٧) : معبّراً به عن معنى واحد .

ولمانع أن يمنعه مستنداً إلى أن الله تعالى وعد المؤمنين أحوال خير في الدنيا والآخرة ، فجاز أن يكون ما قرن بالسين لما في الدنيا ، وما قرن بسوف لما في الآخرة . ولا يخفى خروج قوله : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾(٨) ، وقوله : ﴿ كَلَّا

---

(١) سورة : الزخرف . آية : ٤٤ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٤٢ .
(٣) سورة : النبإ . آية : ١ - ٤ - ٥ .
(٤) سورة : التكاثر . آية : ٣ - ٤ .
(٥) سورة : النساء . آية : ١٤٦ .
(٦) سورة : النساء . آية : ١٤٦ .
(٧) سورة : النساء . آية : ١٧٥ .
(٨) سورة : النبإ . آية : ٤ .

سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] عن دعواه ؛ لأن الوعد والوعيد مع « سوف » لا إسكان فيه ، ومع السين للمبالغة وقصد تقريب الوقوع ، بخلاف سيقوم زيد ، وسوف يقوم ؛ مما القصد فيه الإخبار المجرد .

وفرق ابن بابشاذ أيضاً بينهما ، بأن « سوف » تستعمل كثيراً في الوعيد والتهديد ، وقد تستعمل في الوعد .

مثال الوعيد : ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[2] .

و ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وأمثالها في الوعد : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[4] .

فأمّا قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[5] ، لتضمّنه الوعد والوعيد جميعاً ، فالوعد لأجل المؤمنين المحبين ، والوعيد لما تضمنت من جواب المرتدين بكونهم أعزّة عليهم وعلى جميع الكافرين .

والأكثر في السين الوعد ، وتأتي للوعيد .

مثال الوعد : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ وُدًّا ﴾[6] .

ومثال الوعيد : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[7] .

٣٨ ـ عَلَى

للاستعلاء حقيقة .

---

(١) سورة : التكاثر . آية : ٣ .
(٢) سورة : الفرقان . آية : ٤٢ .
(٣) سورة : النبإ . آية : ٤ .
(٤) سورة : الضحى . آية : ٥ .
(٥) سورة : المائدة . آية : ٥٤ .
(٦) سورة : مريم . آية : ٩٦ .
(٧) سورة : الشعراء . آية : ٢٢٧ .

نحو : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾[1] .

أو مجازاً .

نحو : ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾[2] .

﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[3] .

وأما قوله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾[4] ، فهي بمعنى الإضافة والإسناد ، أي : أضفتُ توكلي ، وأسندتُه إلى الله تعالى ؛ لا إلى الاستعلاء ؛ فإنها لا تفيده ها هنا .

وللمصاحبة .

كقوله : ﴿ وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾[5] .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾[6] .

وتأتي للتعليل .

نحو : ﴿ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾[7] أي : لهدايته إياكم .

قال بعضهم : وإذا ذكرت النعمة في الغالب مع الحمد لم تقترن بـ « على » ، نحو :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[8] .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[9] .

وإذا أريدت النعمة أتي بـ « على » ، ففي الحديث : كان إذا رأى ما يكره

---

(1) سورة : المؤمنون . آية : ٢٢ .
(2) سورة : الشعراء . آية : ١٤ .
(3) سورة : البقرة . آية : ٢٥٣ .
(4) سورة : الفرقان . آية : ٥٨ .
(5) سورة : البقرة . آية : ١٧٧ .
(6) سورة : الرعد . آية : ٦ .
(7) سورة : الحج . آية : ٣٧ .
(8) سورة : الأنعام . آية : ١ .
(9) سورة : فاطر . آية : ١ .

قال : الحمد لله على كل حال . ثم أورد هذه الآية .

وأجاب بأن العلوّ هنا رفع الصوت بالتكبير .

وتجيء للظرفية ، نحو :

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾(١) .

ونحو : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾(٢) ، أي : في ملك سليمان ، أو في زمن سليمان ، أي زمن ملكه .

ويحتمل أن « تتلو » ضمن معنى « تقول » ، فتكون بمنزلة ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾(٣) .

وبمعنى « من » كقوله تعالى : ﴿ اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾(٤) .

وحُمِل عليه قوله : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ ﴾(٥) أي : منهم .

وقوله : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾(٦) أي : كان الورود حتماً مقضياً من ربك .

وبمعنى عند نحو ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾(٧) ، أي : عندي .

والباء ، نحو : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ ﴾(٨) وفي قراءة أبيّ رضي الله عنه : بالباء .

تنبيـــه :

حيث وردت في حق الله تعالى ؛ فإن كانت في جانب الفضل كان معناه الوقوع وتأكيده ، كقوله :

---

(١) سورة : القصص . آية : ١٥ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٠٢ .

(٣) سورة : الحاقة . آية : ٤٤ .

(٤) سورة : المطففين . آية : ٢ .

(٤) سورة : المائدة . آية : ١٠٧ .

(٥) سورة : مريم . آية : ٧١ .

(٦) سورة : الشعراء . آية : ١٤ .

(٧) سورة : الأعراف . آية : ١٠٥ .

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾[2] .

٣٩ - عن

تقتضي مجاوزة ما أضيف إليه نحو غيره وتعدّيه عنه .

تقول : أطعمته عن جوع ، أي : أزلت عنه الجوع ، ورميت عن القوس ؛ أي : طرحتُ السهم عنها . وقولك : أخذت العلم عن فلان ، مجاز ، لأن علمه لم ينتقل عنه ؛ ووجه المجاز أنك لما تلقيته منه صار كالمنتقل إليك عن محلّه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾[3] ؛ لأنهم إذا خالفوا أمره بَعُدوا عنه وتجاوزوه .

قال أبو محمد البصري : عن تستعمل أعمّ من « على » ، لأنه يستعمل في الجهات الست ، وكذلك وقع موقع « علي » في قوله :

* إذا رَضِيَتْ عليّ بنو قشير *

ولو قلت : أطعمته من جوع ، وكسوته على عري ، لم يصح .

وتجيء للبدل ، نحو : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ﴾[4] .

وللاستعلاء ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾[5] .

---

(١) سورة : الرعد . آية : ٤٠ .
(٢) سورة : الغاشية . آية : ٢٦ .
(٣) سورة : النور . آية : ٦٣ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٤٨ .
(٥) سورة : محمد . آية : ٣٨ .

وقوله : ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾[1] ، أي : قدمته عليه .

وقيل : على بابها ، أي منصرفاً عن ذكر ربّي .

وحكي الرمانيّ عن أبي عبيدة أن « أحببت » ، من أحبّ البعير إحباباً ؛ إذا برك فلم يقم ، فـ« عن » متعلقة باعتبار معناه التضمين ، أي تثبطت عن ذكر رَبّي ، وعلى هذا فـ« حب الخير » ، مفعول لأجله .

وللتعليل ، نحو :

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾[2] .

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾[3] .

وبمعنى « بعد » ، نحو :

﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[4] .

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[5] .

بدليل أن في مكان آخر « من بعد مواضعه » .

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾[6] .

وبمعنى « من » نحو :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[7] .

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾[8] .

بدليل : ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾[9] .

---

(١) سورة : ص . آية : ٣٢ .
(٢) سورة : التوبة . آية : ١١٤ .
(٣) سورة : هود . آية : ٥٣ .
(٤) سورة : المؤمنون . آية : ٤٠ .
(٥) سورة : المائدة . آية : ١٣ .
(٦) سورة : الانشقاق . آية : ١٩ .
(٧) سورة : الشورى . آية : ٢٥ .
(٨) سورة : الأحقاف . آية : ١٦ .
(٩) سورة : المائدة . آية : ٢٧ .

وبمعنى « الباء » نحو :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[1] .

قيل : على حقيقتها ، أي : وما يصدر قولُهُ عن هوى .

وقيل : للمجاوزة ؛ لأن نطقه متباعد عن الهوى ، ومتجاوز عنه .

وفيه نظر ، لأنها إذا كانت بمعنى الباء ، نفي عنه النطق في حال كونه متلبّساً بالهوى ، وهو صحيح ، وإذا كانت على بابها نفي عنه التعلق حال كونه مجاوزاً عن الهوى ، فيلزم أن يكون النطق حال كونه متلبساً بالهوى . وهو فاسد .

٤٠ - عسى

للترجي في المحبوب ، والإشفاق في المكروه .

وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾[2] .

قال ابن فارس : وتأتي للقرب والدنوّ ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾[3] .

قال : وقال الكسائيّ : كل ما في القرآن من « عسى » على وجه الخبر فهو موحّد ، نحو :

﴿ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ﴾[4] .

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً ﴾[5] ، ووحّد على « عسى الأمر أن يكون كذا » .

---

(١) سورة : النجم . آية : ٣ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢١٦ .
(٣) سورة : النمل . آية : ٧٢ .
(٤) سورة : الحجرات . آية : ١١ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٢١٦ .

وما كان على الاستفهام فهو يُجمع ، كقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾[1] .

قال أبو عبيدة معناه : هل عدوتم ذلك ؟ هل جُزْتموه ؟

وروى البيهقي في سننه عن ابن عباس ، قال : كل « عسى » في القرآن فهي واجبة[2] .

وقال الشافعيّ : يقال : عسى من الله واجبة .

وحكى ابن الأنباريّ عن بعض المفسرين أن « عسى » في جميع القرآن واجبة ، إلا في موضعين في سورة بني إسرائيل .

﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾[3] ، يعني : بني النضير ، فما رحمهم الله ، بل قاتلهم رسول الله ﷺ ، وأوقع عليهم العقوبة .

وفي سورة التحريم : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ ﴾[4] .

ولازمْنه حتى قضى رسول الله ﷺ .

وعمّم بعضهم القاعدة ، وأبطل الاستثناء ، لأن تقديره أن يكون على شرط ، أي في وقت من الأوقات ، فلما زال الشرط وانقضى الوقت ، وجب عليكم العذاب ، فعلَى هذا لم تخرج عن بابها الذي هو الإيجاب .

وكذا قوله : ﴿ عَسَ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ ﴾[5] .

تقديره : واجب أن يبدِله أزواجاً خيراً منكن ، أي لبتّ طلاقكن ، ولم يبت طلاقهنّ ، فلا يجب التبديل .

---

(1) سورة : محمد . آية : ٢٢ .
(2) أنظر السنن الكبرى ، للبيهقي ١٣/٩ .
(3) سورة : الإسراء . آية : ٨ .
(4) سورة : التحريم . آية : ٥ .
(5) سورة : التحريم . آية : ٥ .

وقال صاحب « الكشاف » في سورة التحريم : ﴿ عَسَى رَبُّهُ ﴾[1] إطماع من الله تعالى لعباده .

وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بـ « لعلّ » وعسى ، ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبتّ . والثاني : أن تجيء تعليماً للعباد وجوب الترجيح بين الخوف والرجاء .

٤١ ـ عند

ظرف مكان بمعنى « لدن » ، إلا أن « عند » معرَبة ، وكان القياس بناءها لافتقارها إلى ما تضاف إليه ، كـ «لدن» وإذْ ، ولكن أعربوا « عند » لأنهم توسعوا فيها ، فأوقعوها على ما هو مِلك الشخص ، حضره أو غاب عنه ، بخلاف « لدن » فإنه لا يقال : لدن فلان ؛ إلا إذا كان بحضرة القائل ، فـ « عند » بهذا الاعتبار أعمّ من « لدن » ؛ ويستأنس له بقوله :

﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾[2] ، أي : من العلم الخاصّ بنا ، وهو علم الغيب .

وقوله : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾[3] ، الظاهر أنها بمعنى « عندك » ؛ وكأنها أعمّ من « لدن » لما ذكرنا ، فهي أعمّ « من بين يدي » ؛ لاختصاص هذه بجهة « أمام » ؛ فإن من حقيقتها الكون من جهتيْ مسامتة البدن .

وتفيد معنى القرب .

وقد تجيء بمعنى « وراء » و « أمام » ، إذا تضمّنت معنى « قبل » كـ « بين يدي الساعة » .

---

(١) سورة : التحريم . آية : ٥ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٦٥ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ٨ .

وقد تجيء « وراء » بمعنى « لدى » المضمن معنى « أمام » . كقوله تعالى :

﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ ﴾[1] .

﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾[2] .

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾[4] ، يتناول الحالين بالتضايف .

وقد يطلق لتضمنه معنى الطواعية وترك الاختيار مع المخاطب ، كقوله تعالى :

﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[5] ، من النهي عن التقديم ، أو التقدّم على وجه المبادرة بالرأي والقول ، أي لا تقدموا القول ، أو لا تقدموا بالقول بين يدي قول الله .

وعلى هذا يكون المعنى بقوله : ﴿ بين يدي الله ورسوله ﴾ أملأ بالمعنى .

وإذا ثبت أن « عند » و « لدى » للقرب ، فتارة يكون حقيقياً ، كقوله :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ـ عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَى ﴾[6] .

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى ٱلْبَابِ ﴾[7] .

وتارة مجازياً ، إما قرب المنزلة والزلفى ، كقوله :

﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[8] .

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٧٩ .
(٢) سورة : إبراهيم . آية : ١٦ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٩١ .
(٤) سورة : الحشر . آية : ١٤ .
(٥) سورة : الحجرات . آية : ١ .
(٦) سورة : النجم . آية : ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ .
(٧) سورة : يوسف . آية : ٢٥ .
(٨) سورة : آل عمران . آية : ١٦٩ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾[١] وعلى هذا قيل : الملائكة المقرّبون .

أو قرب التشريف ، كقوله : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾[٢] .

وقوله ﷺ : « اللهم اغفر لي خطئي وعمدي ، وهَزْلِي وجِدّي ، كل ذلك عندي »[٣] ، أي : في دائرتي ؛ إشارة لأحوال أمته ؛ وإلا فقد ثبتت له العصمة .

وتارة بمعنى الفضل ؛ ومنه : ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾[٤] ، أي : من فضلك وإحسانك .

وتارة يراد به الحُكْم ، كقوله : ﴿ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ ﴾[٥] .

﴿ وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[٦] أي : في حكمه تعالى .

وقوله : ﴿ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾[٧] أي : في حكمك .

وقيل بحذف « عند » في الكلام ؛ وهي مرادة للإيجاز ، كقوله تعالى :

﴿ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾[٨] .

﴿ رَسُولٌ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[٩] .

﴿ عَذَابٌ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[١٠]، أي : من عند الرحمٰن ؛ لظهور :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾[١١].

وقد تكون « عند » للحضور ، نحو : ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾[١٢].

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ٢٠٦ .
(٢) سورة : التحريم . آية : ١١ .
(٣) أنظر الحديث في : مسند الإمام أحمد ٤١٧/٤ .
(٤) سورة : القصص . آية : ٢٧ .
(٥) سورة : النور . آية : ١٣ .
(٦) سورة : النور . آية : ١٥ .
(٧) سورة : الأنفال . آية : ٣٢ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ١٤٧ .
(٩) سورة : البينة . آية : ٢ .
(١٠) سورة : مريم . آية : ٤٥ .
(١١) سورة : المائدة . آية : ١٥ .
(١٢) سورة : النمل. آية : ٤٠ .

وقد يكون الحضور والقرب معنويين ، نحو :

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ ﴾[1] .

ويجوز : وأنزل عندك .

٤٢ ـ غير

متى ما حسن موضعها « لا » كانت حالاً ، ومتى حسن موضعها « إلا » كانت استثناء .

ويجوز أن تقع صفة لمعرفة ، إذا كان مضافُها إلى ضد الموصوف ، بشرط أن يكون له ضدّ واحد ، نحو مررت بالرجل الصادق غيرِ الكاذب ؛ لأنه حينئذٍ يتعرف .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[2] ، فإن الغضب ضد النعمة ، والأول هم المؤمنون والثاني هم الكفار .

وأورِد عليه قوله تعالى : ﴿ نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾[3] ، فإنه أضيف إلى الذين كانوا يعملون ، وهو ضد الصالح كأنّه قيل : « الصالح » .

وأجيب بأنّ الذين كانوا يعملونه بعض الصالح فلم يتمحض فيهما .

٤٣ ـ الفاء

ترِد : عاطفة ، وللسببية ، وجزاء ، وزائدة .

١ ـ الأول : العاطفة :

---

(١) سورة : النمل . آية : ٤٠ .

(٢) سورة : الفاتحة . آية : ٧ .

(٣) سورة : فاطر . آية : ٣٧ .

ومعناها التعقيب ، نحو قام زيد فعمرو ؛ أي أنّ قيامه بعد بلا مهلة .
والتعقيب في كلّ شيء بحسبه ؛ نحو :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[1] .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً ﴾[2] ، والبأس في الوجود قبل الهلاك - وبها احتجّ الفرّاء على أنّ ما بعد الفاء يكون سابقاً - ففيه عشرة أوجه :

أحدها : أنه حذف السبب وأبقى المسبّب ؛ أي أردنا إهلاكها .

الثاني : أن الهلاك على نوعين : استئصال ، [وبغير استئصال][3] ، والمعنى : وكم قرية أهلكناها بغير استئصال للجميع ، فجاءها بأسنا باستئصال الجميع .

الثالث : أنه لما كان مجيء البأس مجهولاً للناس ، والهلاك معلوم لهم ، ذكره عقِب الهلاك ، وإن كان سابقاً ؛ لأنه لا يتّضح إلا بالهلاك .

الرابع : أن المعنى : قاربنا إهلاكها ؛ فجاءها بأسنا ؛ فأهلكناها .

الخامس : أنه على التقديم والتأخير ؛ أي جاءها بأسنا فأهلكناها .

السادس : أن الهلاك ومجيء البأس ، لما تقاربا في المعنى ، جاز تقديم أحدهما على الآخر .

السابع : أن معنى : ﴿ فَجَاءَهَا ﴾ أنّه لما شوهد الهلاك ، عُلِم مجيء البأس ، وحُكم به من باب الاستدلال بوجود الأثر على المؤثِّر .

الثامن : أنها عاطفة للمفصَل عَلَى المجمَل ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً ﴾[4] .

---

(١) سورة : البقرة . اية : ٣٦ . (٢) سورة : الأعراف . آية : ٤ .

(٣) « وبغير استئصال » زيادة أضافها محقق المطبوعة يقتضيها السياق .

(٤) سورة : الواقعة . آية : ٣٥ - ٣٧ .

التاسع : أنها للترتيب الذِّكْري .

العاشر . . . [1] .

وتجيء للمهلة كـ « ثمّ » ، كقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ﴾[2] ؛ ولا شكّ أن بينها وسائط .

وكقوله : ﴿ وَٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَى . فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾[3] ، فإنّ بين الإخراج والغُثاء وسائط .

وجعل منه ابنُ مالك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[4] .

وتؤُولت عَلَى أنّ « تصبح » معطوف على محذوف تقديره « أتينا به فطال النبت ، فتصبح » .

وقيل : بل هي للتعقيب ، والتعقيب على ما بَعُد في العادة ، تعقيباً لا على سبيل المضايفة ، فربّ سنين بعد الثاني عقب الأول في العادة ؛ وإن كان بينهما أزمان كثيرة ، كقوله :

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ﴾[5] . قاله ابن الحاجب .

وقيل : بل للتعقيب الحقيقي على بابها ؛ وذلك لأن أسباب الاخضرار عند زمانها ؛ فإذا تكاملت أصبحت مخضرّة بغير مهلة ، والمضارع بمعنى الماضي يصحّ عطفه على الماضي ، وإنما لم ينصب على جواب الاستفهام لوجهين :

---

(١) هناك نقص في الكلام ، هكذا وردت العبارة في الأصول .

(٢) سورة : المؤمنون . آية : ١٤ .

(٣) سورة : الأعلى . آية : ٤ ، ٥ .

(٤) سورة : الحج . آية : ٦٣ .

(٥) سورة : المؤمنون. آية: ١٤.

أحدهما : أنه بمعنى التقرير ، أي قد رأيت ؛ فلا يكون له جواب ؛ لأنه خبر .

والثاني : أنّه إنما ينصب ما بعد الفاء ؛ إذا كان الأول سبباً له ، ورؤيته لإنزال الماء ليست سبباً لاخضرار الأرض ؛ إنما السبب هو إنزال الماء ؛ ولذلك عطف عليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾[1] .

﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾[2] .

فالتقدير : فإذا أردت ؛ فاكْتُفِيَ بالسبب عن المسبب .

ونظيره : ﴿ أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾[3] ، أي : فضرب فانفجرت .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ﴾[4] .

فقيل : الفاء في ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ ﴾ ، وفي : ﴿ فَكَسَوْنَا ﴾ بمعنى « ثم » لتراخي معطوفها .

وقال صاحب « البسيط » ؛ طول المدة وقصرها بالنسبة إلى وقوع الفعل فيهما ؛ فإن كان الفعل يقتضي زمناً طويلاً طالت المهلة ؛ وإن كان في التحقيق وجود الثاني عقيب الأول بلا مهلة ؛ وإن كان الفعل يقتضي زمناً قصيراً ظهر التعقيب بين الفعلين ؛ فالآية واردة على التقدير الأول ؛ فلا ينافي معنى الفاء .

والحاصل : أن المهلة بين الثاني والأول بالنسبة إلى زمن الفعل ؛ وأما بالنسبة إلى الفعل فوجود الثاني عقب الأول من غير مهلة بينهما ، هذا كله في سورة المؤمنين .

---

(١) سورة : النحل . آية : ٩٨ .

(٢) سورة : المائدة . آية : ٦ .

(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٦٠ .

(٤) سورة : المؤمنون . آية : ١٤ .

وقال في سورة الحج: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾[1] فعطف الكل بـ «ثم».

ولهذا قال بعضهم: ثمّ لملاحظة أول زمن المعطوف عليه، والفاء لملاحظة آخره؛ وبهذا يزول سؤال أن المخبَر عنه واحد وهو مع أحدهما بالفاء وهي للتعقيب، وفي الأخرى بثم وهي المهلة، وهما متناقضان.

وقد أورد الشيخ عز الدين هذا السؤال في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

وفي أخرى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ﴾[3].

وأجاب بأنّ أولَ ما تحاسب أمة النبي ﷺ، ثم الأمم بعدهم، فتحمل الفاء على أول المحاسبين؛ ويكون من باب نسبة الفعل إلى الجماعة إذا صدر عن بعضهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[4]، ويحمل «ثم» على تمام الحساب.

فإن قيل: حساب الأولين متراخٍ عن البعث، فكيف يحسن الفاء؟ فيعود السؤال.

قلنا: نص الفارسيّ في «الإيضاح» على أن «ثمّ» أشد تراخياً من «الفاء»، فدلّ على أنّ الفاء لها تراخ، وكذا ذكره غيرُه من المتقدمين، ولم يدّع أنّها للتعقيب إلا المتأخرون. انتهى.

وتجيء لتفاوت ما بين رتبتين؛ كقوله:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾[5].

---

(١) سورة: الحج. آية: ٥.
(٢) سورة: الزمر. آية: ٧.
(٣) سورة: الأنعام. آية: ٦٠.
(٤) سورة: آل عمران. آية: ١٨١.
(٥) سورة: الصافات. آية: ١-٣.

تحتمل الفاء فيه تفاوت رتبة الصفّ من الزجر ، ورتبة الزجر من التلاوة ، ويحتمل تفاوت رتبة الجنس الصافّ من رتبة الجنس الزاجر ؛ بالنسبة إلى صفهم وزجرهم ، ورتبة الجنس الزاجر من الجنس التالي بالنسبة إلى زجره وتلاوته .

وقال الزمخشري : للفاء مع الصفات ثلاثة أحوال :

أحدها : أنها تدل على ترتيب معانيها في الوجود ، كقوله :

يَا لَهْفَ زَيَّابَةَ للحارث فالـ ـصابح فـالغـانِم فـالآيبِ

أي : الذي أصبح فغنم فآب .

الثاني : أن تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه ؛ نحو قولك : خذ الأكمل فالأفضل ، واعمل الأحسن فالأجمل .

الثالث : أنها تدلّ على ترتيب موصوفاتها ؛ فإنها في ذلك ، نحو « رحم الله المحلّقين فالمقصرين » .

٢ ـ النوع الثاني : لمجرد السببية والربط :

نحو : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ ﴾(١) ، ولا يجوز أن تكون عاطفة ؛ فإنه لا يعطف الخبر على الإنشاء ، وعكسه عكسها بمجرد العطف فيما سبق ، من نحو :

﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾(٢) .

وقد تأتي لهما ، نحو :

﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾(٣) .

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾(٤) .

---

(١) سورة : الكوثر . آية : ١ ـ ٢ .

(٢) سورة : الأعلى . آية : ٥ .

(٣) سورة : القصص . آية : ١٥ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٣٧ .

﴿ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾(١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(٢) ، فهذه ثلاث فاءات ؛ وهذا هو الغالب على الفاء المتوسطة بين الجمل المتعاطفة .

وقال بعضهم : إذا ترتب الجواب بالفاء ، فتارة يتسبب عن الأول ، وتارة يقام مقام ما تسبب عن الأول .

مثال الجاري على طريقة السببية : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ﴾(٣) .

﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(٤) .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ ﴾(٥) .

ومثال الثاني : ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾(٦) .

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ ﴾(٧) .

٣ ـ النوع الثالث : الجزائية :

والفاء تلزم في جواب الشرط إذا لم يكن فعلاً خبرياً ، أعني ماضياً ومضارعاً ، فإن كان فعلاً خبرياً امتنع دخول الفاء ، فيحتاج إلى بيان ثلاثة أمور :

العلّة ، وتعاقب الفعل الخبريّ والفاء .

والجواب عن اجتماعهما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ ﴾(٨) .

---

(١) سورة : الواقعة . آية : ٥٢ ـ ٥٥ .
(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٧٥ .
(٣) سورة : الأعلى . آية : ٦ .
(٤) سورة : الصافات . آية : ١٤٨ .
(٥) سورة : الأعراف . آية : ٦٤ .
(٦) سورة : الإسراء . آية : ٦٠ .
(٧) سورة : الأحقاف . آية : ٢٦ .
(٨) سورة : النمل . آية : ٩٠ .

وقوله : ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً ﴾[1] .

وقراءة حمزة : ﴿ إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرُ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَى ﴾[2] .

وعن ارتفاعهما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[3] .

وفي قول الشاعر :

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱللَّهُ يَشْكُرُهَا *

والجواب عن الأول ، وهو السؤال عن علة تعاقب الفعل والفاء ؛ أن الجواب هو جملة تامة ؛ يجوز استقلالها فلا بدّ من شيء يدل على ارتباطها بالشرط، وكونها جواباً له ؛ فإذا كانت الجملة فعلية صالحة لأن تكون جزاءً ، اكتفى بدلالة الحال على كونها جواباً ؛ لأن الشرط يقتضي جواباً ، وهذه الجملة تصلح جواباً ولم يؤت بغيرها ؛ فلزم كونها جواباً . وإذا تعقبت الجواب امتنع دخول الفاء للاستغناء عنها ، فإن كانت الجملة غير فعلية لم تكن صالحة للجواب بنفسها ؛ لأنّ الشرط إنما يقتضي فعلين : شرطاً وجزاءً ؛ فما ليس فعلاً ليس من مقتضيات أداة الشرط ؛ حتى يدلّ اقتضاؤها على أنه الجزاء ، فلا بدّ من رابطة ، فجعلوا الفاء رابطة ؛ لأنها للتعقيب ؛ فيدل تعقيبها الشرط بتلك الجملة ؛ على أنها الجزاء ، فهذا هو السبب في تعاقب الفعل والفاء في باب الجزاء .

والجواب عن الثاني : هو أن اجتماع الفعل والفاء في الآيتين غير مبطل للمدّعي بتعاقبهما وهو أن المدعي تعاقبهما ، إذا كان الفعل صالحاً لأن يجازي به ؛ وهو إذا ما كان صالحاً للاستقبال ؛ لأن الجزاء لا يكون إلا مستقبلاً .

وقوله : « صدقت » ، و« كذبت » ، المراد : بالفعل في الآية : المضيّ ؛ فلم يصح أن يكون جواباً فوجبت الفاء .

---

(1) سورة : الجن . آية : ١٣ .

(2) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .

(3) سورة : الروم . آية : ٣٦ .

فإن قيل : فلم سقطت « الفاء » في قوله : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾(١) ؟ قلنا عنه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن « إذا » في الآية ليست شرطاً ، بل لمجرد الزمان ؛ والتقدير : والذين هم ينتصرون زمان إصابة البغي لهم .

والثاني : أن « هم » زائدة للتوكيد .

والثالث : أنّ الفاء حَسّن حذفها كون الفعل ماضياً .

وبالأول : يجاب عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾(٢) .

والجواب عن الثالث : أن الفعل والفاء أيضاً من قوله : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾(٣) ، فهو أنّ « إذا » قامت مقام الفاء ، وسدّت مسدّها ، لحصول الربط بها ، كما يحصل بالفاء ؛ وذلك لأن « إذا » للمفاجأة ، وفي المفاجأة معنى التعقيب .

وأما الأخفش ، فإنه جوّز حذف الفاء حيث يوجِب سيبويه دخولها ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(٤) .

وبقراءة من قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٥)، في قراءة نافع ، وابن عامر .

ولا حجة فيه ، لأن الأول يجوز أن يكون جواب قسم ، والتقدير : والله إن أطعتموهم ؛ فتكون ﴿ إنكم لمشركون ﴾ جواباً للقسم ؛ والجزاء محذوف سدّ جواب القسم مسدّه .

وأما الثانية : فلأن « ما » فيه موصولة لا شرطية ، فلم يجز دخول الفاء في خبرها .

---

(١) سورة : الشورى . آية : ٣٧ .
(٢) سورة : الجاثية . آية : ٢٥ .
(٣) سورة : الروم . آية : ٣٦ .
(٤) سورة : الأنعام . آية : ١٢١ .
(٥) سورة : الشورى . آية : ٣٠ .

٤ ـ والرابع : الزائدة :

كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ ﴾[١] ، والخبر : « حميم » وما بينهما معترض .

وجعل منه الأخفش : ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾[٢] .

وقال سيبويه : هي جواب لشرط مقدر أي إن أردت عليه فذلك .

وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[٣] على قول .

٤٤ ـ في

تجيء لمعان كثيرة :

للظرفية :

ثم تارة يكون الظرف والمظروف حسيّين ، نحو زيد في الدار :

ومنه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾[٤] .

﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴾[٥] .

﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[٦] .

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِي أُمَمٍ ﴾[٧] .

وتارة يكونان معنويين ؛ نحو رغبت في العلم ، ومنه :

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[٨] .

وتارة يكون المظروف جسماً ، نحو :

---

(١) سورة : صٓ. آية : ٥٧ .

(٢) سورة : الماعون . آية : ٢ .

(٣) سورة : الكوثر . آية : ٢ .

(٤) سورة : المرسلات . آية : ٤١ .

(٥) سورة : الفجر . آية : ٢٩ ، ٣٠ .

(٦) سورة : النمل . آية : ١٩ .

(٧) سورة : الأحقاف . آية : ١٨ .

(٨) سورة : البقرة . آية : ١٧٩ .

﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1] .

وتارة يكون الظرف جسماً ، نحو :

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾[2] .

والأول حقيقة ، والرابع أقرب المجازات إلى الحقيقة .

وتجيء بمعنى « مع » ، نحو : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾[3] ، ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾[4] ، على قول .

وبمعنى « عند » ، نحو : ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[5] .

وللتعليل : ﴿ فَذَالِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾[6] .

وبمعنى « على » كقوله تعالى :

﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾[7] .

بدليل قوله :

﴿ فإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾[8] .

وقوله : ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[9] لما في الكلام من معنى الاستعلاء .

وقيل : ظرفية ؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ؛ فلذلك جاز أن يقال : في .

---

(1) سورة : الأعراف . آية : ٦٠ .
(2) سورة : البقرة . آية : ١٠ .
(3) سورة : النمل . آية : ١٢ .
(4) سورة : الفجر . آية : ٢٩ ، ٣٠ .
(5) سورة : الشعراء . آية : ١٨ .
(6) سورة : يوسف . آية : ٣٢ .
(7) سورة : يونس . آية : ٢٢ .
(8) سورة : المؤمنون . آية : ٢٨ .
(9) سورة : طه . آية : ٧١ .

وقيل : إنّما آثر لفظة « في » للإشعار بسهولة صلبهم ؛ لأن « على » تدل على نبوّ يحتاج فيه إلى تحرك إلى فوق .

وبمعنى « إلى » نحو : ﴿ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[١] .

﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾[٢] .

وبمعنى « من » : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾[٣] .

ـ وللمقايسة :

وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق، كقوله تعالى :

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٤] .

وللتوكيد ، كقوله تعالى : ﴿ ٱرْكَبُوا فِيهَا ﴾[٥] .

وبمعنى بعد : ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾[٦] أي : بعد عامين .

وبمعنى « عن » ، كقوله : ﴿ فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَى ﴾[٧] .

قيل : لما نزلت : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[٨] ، لم يسمعوا ولم يصدقوا ؛ فنزل : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَى ﴾[٩] .

أي : عن النعيم الذي قلناه ، ووصفناه في الدنيا ، فهو في نعيم الآخرة أعمى إذ لم يصدِّق .

٤٥ ـ قد

تدخل على الماضي المتصرّف ، وعلى المضارع ؛ بشرط تجرّده عن الجازم والناصب وحرف التنفيس .

---

(١) سورة : النساء . آية : ٩٧ .
(٢) سورة : إبراهيم . آية : ٩ .
(٣) سورة : النحل . آية : ٨٩ .
(٤) سورة : التوبة . آية : ٣٨ .
(٥) سورة : هود . آية : ٤١ .
(٦) سورة : لقمان . آية : ١٤ .
(٧) سورة : الإسراء . آية : ٧٢ .
(٨) سورة : الإسراء . آية : ٧٠ .
(٩) سورة : الإسراء . آية : ٧٢ .

وتأتي لخمس معان : التوقّع ، والتقريب ، والتقليل ، والتكثير ، والتحقيق .

١ ـ **فأما التوقع** : فهو نقيض « ما » التي للنفي .

وتدخل على الفعل المضارع، نحو : قد يخرج زيد ، تدلّ على أن الخروج متوقّع ؛ أي منتظر .

وأمّا مع الماضي فلا يتحقق الوقوع بمعنى الانتظار ؛ لأن الفعل قد وقع ، وذلك ينافي كونه منتظراً ، ولذلك استشكل بعضهم كونها للتوقع مع الماضي ؛ ولكن معنى التوقيع فيه أن « قد » تدلّ على أنه كان متوقّعاً منتظراً ، ثم صار ماضياً ؛ ولذلك تُستعمل في الأشياء المترقبة .

وقال الخليل : إن قولك : قد قعد ، كلام لقوم ينتظرون الخبر .

ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ؛ لأن الجماعة منتظرون .

وظاهر كلام ابن مالك في « تسهيله » أنها لم تدخل على المتوقّع لإفادة كونه متوقعاً ، بل لتقريبه من الحال . انتهى .

ولا يبعد أن يقال : إنها حينئذٍ تفيد المعنيين .

واعلم أنه ليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً لمتوقّع ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١) ؛ لأن القوم توقّعوا علم حالهم عند الله .

وكذلك قوله :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾(٢) ؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله تعالى لدعائها .

٢ ـ **وأما التقريب** :

فإنها ترد للدلالة عليه مع الماضي فقط ، فتدخل لتقريبِهِ من الحال ؛

---

(١) سورة : المؤمنون . آية : ١ .
(٢) سورة : المجادلة . آية : ١ .

ولذلك تلزم « قد » مع الماضي إذا وقع حالاً ، كقوله تعالى :

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[1] .

وأمّا ما ورد دون « قد » فقوله تعالى : ﴿ هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾[2] ، فـ« قد » فيه مقدرة ؛ هذا مذهب المبرد والفراء وغيرهما .

وقيل : لا يقدر قبله قد .

وقال ابن عصفور : إن جواب القَسَم بالماضي المتصرف المثبَت ، إن كان قريباً من زمن الحال دخلت عليه « قد واللام » ، نحو : والله لقد قام زيد ؛ وإن كان بعيداً لم تدخل ، نحو : والله لقام زيد .

وكلام الزمخشري يدلّ على أنّ « قد » مع الماضي في جواب القسم للتوقع ، قال في الكشاف عند قوله : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ﴾[3] في سورة الأعراف[4] .

فإن قلت : ما لهم لا يكادون ينطقون باللام إلى مع « قد » ، وقلّ عندهم مثل قوله :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ لَنَامُوا فَمَا إِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ

قلت : إنما كان كذلك ؛ لأن الجملة القَسَمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها ؛ فكانت مظِنّة لمعنى التوقع ؛ الذي هو معنى « قد » عن استماع المخاطب كلمة القَسم .

وقال ابن الخباز : إذا دخلت « قد » على الماضي أثّرتْ فيه معنيين : تقريبه من زمن الحال ، وجعله خبراً منتظراً ؛ فإذا قلت : قد ركب الأمير ، فهو كلام لقوم ينتظرون حديثك . هذا تفسير الخليل . انتهى .

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ١١٩ .

(٢) سورة : يوسف . آية : ٦٥ .

(٣) سورة : الأعراف . آية : ٥٩ .

(٤) انظر : الكشاف ، للزمخشري ٢/٨٨ .

وظاهره أنها تفيد المعنيين معاً في الفعل الواحد .

ولا يقال : إن معنى التقريب ينافي معنى التوقع ؛ لأن المراد به ما تقدم تفسيره .

وكلام الزمخشري في « المفصّل »[1] يدلّ على أن التقريب لا ينفكّ عن معنى التوقّع .

٣ ـ وأما التقليل :

فإنها ترد له مع المضارع ، إمّا لتقليل وقوع الفعل نحو : قد يجود البخيل وقد يصدق الكذوب .

أو للتقليل لمتعلّق ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾[2] ، أي : ما هم عليه هو أقلّ معلوماته سبحانه .

وقال الزمخشري : هي للتأكيد ، وقال : إنّ « قد » إن دخلت على المضارع كانت بمعنى « ربما » ، فوافقت « ربما » في خروجها إلى معنى التكثر ؛ والمعنى : إن جميع السموات والأرض مختصاً به خلقاً وملكاً وعلماً ، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين[3] .

وقال في سورة الصف : ﴿ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾[4] : قد معناها التوكيد ، كأنه قال : تعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه[5] .

ونصّ ابن مالك على أنها إذا كانت للتقليل صرفت المضارع إلى الماضي .

وقد نازع بعض المتأخرين في أن « قد » تفيد التقليل ، مع أنه مشهور

---

(١) أنظر : المفصل ، للزمخشري ص ٣١٦ .
(٢) سورة : النور . آية : ٦٤ .
(٣) أنظر : الكشاف ، للزمخشري ٣/٢٠٧ .
(٤) سورة : الصف . آية : ٥ .
(٥) أنظر : المرجع السابق ٤/٤١٩ .

ونص عليه الجمهور ، فقال : قد تدلّ على توقع الفعل عمّن أسند إليه ، وتقليل المعنى لم يُستفد من « قد » بل لو قيل : البخيل يجود والكذوب يصدق ، فُهِم منه التقليل ؛ لأن الحكم على مَنْ شأنه البخل بالجود ، وعلى مَنْ شأنه الكذب بالصدق ، إن لم يحمل ذلك على صدور ذلك قليلاً ، كان الكلام كذباً ؛ لأن آخره يدفع أولَه .

٤ ـ وأما التكثير :

فهو معنى غريب ؛ وله من التوجيه نصيب ، وقد ذكره جماعة من المتأخرين .

وجعل منه الزمخشري : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾(١) .

وجعلها غيرُهُ للتحقيق .

وقال ابن مالك : إن المضارع هنا بمعنى الماضي ، أي قد رأينا .

٥ ـ وأما التحقيق :

فترد لتحقيق وقوع المتعلّق مع المضارع والماضي ، لكنه قد يرد والمراد به المضيّ ، كما في قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾(٢) .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ﴾(٣) .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾(٤) .

وقال الراغب : إن دخلت على الماضي اجتمعت لكل فعل متجدد ، نحو :

---

(١) سورة : البقرة . آية : ١٤٤ .
(٢) سورة : البقرة . ية : ١٤٤ .
(٣) سورة : الأنعام . آية : ٣٣ .
(٤) سورة : النور . آية : ٦٤ .

﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾[1] .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾[2] .

﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

﴿ لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ ﴾[4] .

ولهذا لا تستعمل في أوصاف الله ، لا يقال : « قد كان الله غفوراً رحيماً » .

فأما قوله : ﴿ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ﴾[5] ، فهو متأوّل للمرضى في المعنى ؛ كما أن النفي في قولك : ما علم الله زيد يخرج ، هو للخروج ، وتقديره : وما يخرج زيد فيما علم الله . وإن دخلت على المضارع فذلك لفعل يكون في حاله ، نحو :

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ ﴾[6] ، أي : قد يتسللون فيما علم الله .

٤٦ ـ الكاف

للتشبيه ، نحو : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنْشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ ﴾[7] وهو كثير .

وللتعليل : كقوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً ﴾[8] .

قال الأخفش : أي لأجل إرسالي فيكم رسولاً منكم ، فاذكروني .

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٩٠ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ١٣ .
(٣) سورة : الفتح . آية : ١٨ .
(٤) سورة : التوبة . آية : ١١٧ .
(٥) سورة : المزمل . آية : ٢٠ .
(٦) سورة : النور . آية : ٦٣ .
(٧) سورة : الرحمٰن . آية : ٢٤ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ١٥١ ، ١٩٨ .

وهو ظاهر في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾[1] .

وجعل ابن بَرْهان النحويّ منه : قوله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[2] .

وللتوكيد : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[4] ، أي : ليس شيء مثله ؛ وإلا لزم إثبات المثل .

قال ابن جني : وإنما زيدت لتوكيد نفي المثْل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً .

وقال غيره : الكاف زائدة ؛ لئلا يلزم إثبات المثل لله تعالى ؛ وهو محال ، لأنها تفيد نفيَ المثل عن مثله ، لا عنه ، لأنه لولا الحكم بزيادتها لأدّى إلى محال آخر ؛ وهو أنه إذا لم يكن مثلَ شيء لزم ألّا يكون شيئاً ؛ لأن مثْل المثل مثله .

وقيل : المراد مثل الشيء ذاته وحقيقته ، كما يقال : مثلي لا يفعل كذا ، أي أنا لا أفعل ؛ وعلى هذا لا تكون زائدة .

وقال ابن فُورك : هي غير زائدة ، والمعنى ليس مثل مثله شيء ، وإذا نفيت التماثل عن الفعل ، فلا مثل لله على الحقيقة .

قال صاحب المستوفى . ولتأكيد الوجود ، كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾[5] ، أي : أن ترتيبهما لي قد وجدت ، كذلك أوجد رحمتك لهما يا رب .

---

(1) سورة : البقرة . آية : ١٥١ ، ١٩٨ .
(2) سورة : القصص . آية : ٨٢ .
(3) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .
(4) سورة: الشورى . آية : ١١ .
(5) سورة : الإسراء . آية : ٢٤ .

٤٧ ـ كان

تأتي للمضيّ ، وللتوكيد ، وبمعنى القدرة .

كقوله : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾(١) ، أي : ما قدرتم .

وبمعنى « ينبغي » ، كقوله : ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾(٢) ، أي : لم ينبغ لنا .

وتكون زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣) ، أي : بما يعملون ؛ لأنه قد كان عالماً ما علموه من إيمانهم به .

وقد سبقت في مباحث الأفعال .

٤٨ ـ كأنّ

للتشبيه المؤكد ؛ ولهذا جاء ﴿ كأنه هو ﴾(٤) ، دون غيرها من أدوات التشبيه .

ولليقين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾(٥) ، على ما سيأتي .

وقد تخفف ، قال تعالى : ﴿ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ ﴾(٦) .

٤٩ ـ كأيّن

بمعنى « كم » للتكثير ؛ لأنها كناية عن العدد ، قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾(٧) .

---

(١) سورة : النمل . آية : ٦٠ .
(٢) سورة : النور . آية : ١٦ .
(٣) سورة : الشعراء . آية : ١١٢ .
(٤) سورة : النمل . آية : ٤٢ .
(٥) سورة : القصص . آية : ٨٢ .
(٦) سورة : يونس . آية : ١٢ .
(٧) سورة : الطلاق . آية : ٨ .

وفيها قراءاتان : « كائن » على وزن « قائل » و « بائع » .

« وكأيّن » بتشديد الياء .

قال ابن فارس : سمعتُ بعض أهل القرية يقول : ما أعلم كلمة تثبت فيها النون خَطًّا غير هذه .

٥٠ ـ كاد

بمعنى : قارب ، وسبقت في مباحث الأفعال .

٥١ ـ كلّا

قال سيبويه : حرف ردْع وزجْر .

قال الصَّفّار : إنها تكون إسماً للردّ ، إما لردِّ ما قبلها ، وإما لردّ ما بعدها ، كقوله تعالى :

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(١) ، هي ردٌّ لما قبلها ؛ لأنه لما قال : ﴿ أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾(٢) ، كان إخباراً بأنهم لا يعلمون الآخرة ولا يصدقون بها ، فقال : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(٣) ، فلا يحسنُ الوقف عليها هنا إلا لتبيين ما بعدها ، ولو لم يُفْتَقَرْ لما بعدها لجاز الوقف .

وقوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا ﴾(٤) ، وهي ردّ لما قبلها ؛ فالوقف عليها حسن . انتهى .

---

(١) سورة : التكاثر . آية : ٣ ـ ٤ .

(٢) سورة : التكاثر . آية : ١ ـ ٢ .

(٣) سورة : التكاثر . آية : ٣ .

(٤) سورة : الهمزة . آية : ٣ ـ ٤ .

وقال ابن الحاجب : شرطه أن يتقدم ما يردّ بها ما في غرض المتكلم ؛ سواء كان من كلام غير المتكلّم على سبيل الحكاية أو الإنكار ، أو من كلام غيره .

كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ بعد قوله : ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾(١) .

وكقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إنا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾(٢) .

وكقولك : أنا أهين العالم ! كلاّ . انتهى .

وهي نقيض « إي » في الإثبات ، كقوله :

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْداً . كَلَّا ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ وَٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا ﴾(٥) .

وتكون بمعنى « حقاً » صلة لليمين ، كقوله :

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴾(٦) .

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾(٧) .

وقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾(٨) .

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾(٩) .

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾(١٠) .

---

(١) سورة : القيامة . آية : ١٠ ـ ١١ .
(٢) سورة : الشعراء . آية : ٦١ ـ ٦٢ .
(٣) سورة : العلق . آية : ١٩ .
(٤) سورة : مريم . آية : ٧٨ ـ ٧٩ .
(٥) سورة : مريم . آية : ٨١ ـ ٨٢ .
(٦) سورة : المدثر . آية : ٣٢ .
(٧) سورة : الفجر . آية : ٢١ .
(٨) سورة : المطففين . آية : ١٥ .
(٩) سورة : المطففين . آية : ٧ .
(١٠) سورة : المطففين . آية : ١٨ .

وأما قوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا ﴾[1] ، فيحتمل الأمرين .

وقد اختلف القرّاء في الوقف عليها :

فمنهم : من يقف عليها أينما وقعت ، وغلّب عليها معنى الزجر .

ومنهم : من يقف دونها أينما وقعت ؛ ويبتدىء بها ، وغلّب عليها معنى الزجر .

ومنهم : من يقف دونها أينما وقعت ، ويبتدىء بها ، وغلّب عليها أن تكون لتحقيق ما بعدها .

ومنهم : من نظر إلى المعنيين ، فيقف عليها إذا كانت بمعنى الردع ، ويبتدىء بها إذا كانت بمعنى التحقيق . وهو أولى .

ونقل ابن فارس عن بعضهم أن « ذلك » و « هذا » نقيضان لـ « لا » ، وأن « كذلك » نقيض[2] لـ « كلّا » ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَٱنْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾[3] على معنى : ذلك كما قلنا وكما فعلنا .

ومثله : ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾[4] .

قال : ويدلّ على هذا المعنى دخول الواو بعد قوله : « ذلك » و « هذا » ؛ لأن ما بعد الواو يكون معطوفاً على ما قبله بها وإن كان مضمراً .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[5] ، ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ ، أي : كذلك فعلنا ونفعله من التنزيل ، وهو كثير .

---

(١) سورة : الهمزة . آية : ٣ ، ٤ .

(٢) « في الأصول : « وهذا نقيضان لكلا . . . » والإضافة من فقه اللغة لابن فارس ، ١٣٤ .

(٣) سورة : محمد . آية : ٤ .

(٤) سورة : صٓ . آية : ٥٥ .

(٥) سورة : الفرقان . آية : ٣٢ .

وقيل : إنها إذا كانت بمعنى « لا » فإنها تدخل على جملة محذوفة ، فيها نفيٌ لما قبلها ، والتقدير : ليس الأمر كذلك ؛ وهي على هذا حرف دال على هذا المعنى ، ولا تستعمل عند خلاف النحويين بهذا المعنى إلا في الوقف عليها ، ويكون زجراً ورداً أو إنكاراً لما قبلها ؛ وهذا مذهب الخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، والمبرد ، والزجاج ، وغيرهم ؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد ؛ ولذلك لم تقع في القرآن إلا في سورة مكية ، لأن التهديد والوعيد أكثر ما نزل بمكة ؛ لأن أكثر عتوّ المشركين وتجبّرهم بمكة ، فإذا رأيت سورة فيها « كلاّ » ، فاعلم أنها مكية .

وتكون « كلا » بمعنى « حقاً » عند الكسائي ، فيبتدأ بها لتأكيد ما با بعدها ، فتكون في موضع المصدر ، ويكون موضعها نصباً على المصدر ، والعامل محذوف ، أي أحقّ ذلك حقاً .

ولا تستعمل بهذا المعنى عند حذاق النحويين إلا إذا ابتدىء بها لتأكيد ما بعدها .

وتكون بمعنى « أَلَا » فيستفتح بها الكلام ، وهي على هذا حرف . وهذا مذهب أبي حاتم ؛ واستدل على أنها للاستفتاح أنه رُوي أن جبريل نزل على النبي ﷺ بخمس آيات من سورة العَلَق ، ولما قال : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] ، طوى النمط . فهو وقف صحيح ، ثم لما نزل بعد ذلك : ﴿ كَلَّا إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾[2] ، فدلَّ على أن الابتداء بـ « كلا » من طريق الوحي ، فهي في الابتداء بمعنى «أَلَا » عنده .

فقد حصل لـ « كلّا » معاني النفي في الوقف عليها ، و « حقاً » و « أَلَا » في الابتداء بها .

وجميع « كلّا » في القرآن ثلاثة وثلاثون موضعاً ، في خمس عشرة سورة ، ليس في النصف الأول من ذلك شيء .

---

(١) سورة : العلق . آية : ٥ .   (٢) سورة : العلق . آية : ٦ .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾[1] ، على معنى « أَلَا » ، واختار قوم جعلها بمعنى حقاً . وهو بعيد لأنه يلزم فتح « إنّ » بعدها ، ولم يقرأ به أحد .

٥٢ - كلّ

إسم وضع لضم أجزاء الشيء على جهة الإحاطة ؛ من حيث كان لفظه مأخوذاً من لفظ « الإكليل » و« الكلّة » و« الكلالة » ؛ ممّا هو للإحاطة بالشيء ، وذلك ضربان :

أحدهما : انضمام لذات الشيء وأحواله المختصّة به ، وتفيد معنى التمام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[2] ، أي : بسطاً تاماً .

﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾[3] ، ونحوه .

والثاني : انضمام الذوات ؛ وهو المفيد للاستغراق .

ثم إن دخل على منكّر أوجب عموم أفراد المضاف إليه ، أو على معرّف أوجب عموم أجزاء ما دخل عليه .

وهو ملازم للأسماء ، ولا يدخل على الأفعال .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[4] ، فالتنوين بدل من المضاف ، أي كلّ واحد .

وهو لازم للإضافة معنىً ، ولا يلزم إضافته لفظاً إلا إذا وقع تأكيداً أو نعتاً ، وإضافته منويّة عند تجرده منها .

ويضاف تارة إلى الجمع المعرّف ، نحو كلّ القوم . ومثله إسم الجنس ، نحو :

(١) سورة : المؤمنون . آية : ١٠٠ .
(٢) سورة : الإسراء . آية : ٢٩ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٢٩ .
(٤) سورة : النمل . آية : ٨٧ .

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسرَائِيلَ ﴾(1) .

وتارة إلى ضميره نحو :

﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾(2) .

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾(3) .

﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾(4) .

وإلى نكرة مفردة ، نحو : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾(5) .

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾(6) .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(7) .

وربما خلا من الإضافة لفظاً وينوي فيه ، نحو :

﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(8) .

﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾(9) .

﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾(10) .

﴿ كُلاًّ هَدَيْنَا ﴾(11) .

﴿ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(12) .

﴿ وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ ٱلأَمْثَالَ ﴾(13) .

---

(1) سورة : آل عمران . آية : 93 .

(2) سورة : مريم . آية : 95 .

(3) سورة : الحجر . آية : 30 .

(4) سورة : الفتح . آية : 28 .

(5) سورة : الإسراء . آية : 13 .

(6) سورة : النساء . آية : 176 .

(7) سورة: المدثر. آية : 38 .

(8) سورة : الأنبياء . آية : 33 .

(9) سورة : النمل. آية : 87 .

(10) سورة : مريم . آية : 95 .

(11) سورة : الأنعام . آية : 84 .

(12) سورة : الأنبياء . آية : 85 .

(13) سورة : الفرقان . آية : 39 .

وهل تنوينه حينئذٍ تنوين عوض أو تنوين صرف ؟ قولان .

قال أبو الفتح : وتقديمُها أحسنُ مِن تأخيرها ؛ لأنّ التقدير : « كلهم » ، فلو أخرت لباشرت العوامل ، مع أنّها في المعنى منزلة مَنْزِلة ما لا يباشره ، فلما تقدّمت أشبهت المرتفعة بالابتداء ؛ في أن كلًّا منهما لم يلِ عاملاً في اللفظ ، وأما « كلّ » المؤكد بها فلازمة للإضافة .

وتحصّل لها ثلاثة أحوال :

مؤكّدة ، ومبتدأً بها مضافة ، ومقطوعة عن الإضافة .

فأما المؤكّدة : فالأصل فيها أن تكون توكيداً للجملة ، أو ما هو حكم الجملة مما يُتبعّض ، لأنّ موضوعها الإحاطة كما سبق .

وأما المضافة غير المؤكّدة : فالأصل فيها أن تضاف إلى النكرة الشائعة في الجنس لأجل **معنى الإحاطة** : وهو إنّما ما يطلب جنساً يحيط به ، فإن أضفتَه إلى جملة معرّفة نحو كلّ إخوتك ذاهب ، قَبح إلا في الابتداءَ ، إلا أنّه إذا كان مبتدأ وكان خبره مفرداً ، تنبيهاً على أنّ أصلَه الإضافة للنكرة لشيوعها .

فإن لم يكن مبتدأ وأضفته إلى جملة معرّفة ، نحو : ضربت كلّ إخوتك ، وضربت كلّ القوم ، لم يكن في الحسن بمنزلة ما قبله ، لأنك لم تضفه إلى جنس ، ولا معك في الكلام خبر مفرد يدلّ على معنى إضافته إلى جنس معرّف بالألف واللام حَسُن ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾[1] ، لأنّ الألف واللام للجنس ، ولو كانت للعهد لم يحسُن ، لمنافاتها معنى الإحاطة .

ويجوز أن يؤتى بالكلام على أصله ، فتؤكّد الكلام بـ « كل » فتقول : خُذ من الثمرات كلها .

فإن قيل : فإذا استوى الأمران في قوله : كُلْ من كلّ الثمرات ، وكُلْ من

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ٥٧ .

الثمرات كلّها ، فما الحكمة في اختصاص أحد الجائزيْن في نظم القرآن دون الآخر ؟

قال السهيليّ في « النتائج » : له حكمة ، وهو أن « مِنْ » في الآية لبيان الجنس لا للتبعيض ، والمجرور في موضع المفعول لا في موضع الظرف ، وإنما يريد الثمرات أنفسَها ، لأنه أخرج منها شيئاً ، وأدخل « من » لبيان الجنس كلّه . ولو قال : « أخرجنا به من الثمرات كلّها » لقيل : أيّ شيء أخرج منها ؟ وذهب التوهّم إلى أن المجرور في موضع ظرف وأن مفعول ﴿ أَخْرَجْنَا ﴾ فيما بعد ، وهذا يُتَوَهّم مع تقدّم « كلّ » لعلم المخاطبين أن « كلّاً » إذا تقدمت اقتضت الإحاطةَ بالجنس ، وإذا تأخرت اقتضت الإحاطة بالمؤكّد بتمامه ؛ جنساً شائعاً كان أو معهوداً .

وأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾(١) ، ولم يقل « من الثمرات كلها » ففيه الحكمة السابقة ، وتزيد فائدة ، وهي أنه قد تقدمها في النّظم : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ . . . ﴾(٢) الآية .

فلو قال بعدها . « ثم كلي من الثمرات كلها » لأوْهَمَ أنها للعهد المذكور قبله ؛ فكان الابتداء بـ « كلّ » أحضر للمعنى ، وأجمع للجنس ، وأرفع للبس .

وأما المقطوعة عن الإضافة ، فقال السُّهيليّ :

حقها أن تكون مبتدأة مخبَراً عنها ، أو مبتدأة منصوبة بفعل بعدها لا قبلها ، أو مجرورة يتعلق خافضها بما بعدها ، كقولك : كلّا ضربت وبكلٍّ مررت . فلا بد من مذكورين قبلها ، لأنه إن لم يذكر قبلها جملة ، ولا أضيفت إلى جملة ، بطل معنى الإحاطة فيها ، ولم يعقل لها معنى .

واعلم أن لفظ « كل » لأفراد التذكير ، ومعناه بحسب ما يضاف إليه ، والأحوال ثلاثة :

---

(١) سورة : النحل . آية : ٦٩ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٦٧ .

فالأول : أن يضاف إلى نكرة فيجب مراعاة معناها ، فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾(1) .

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ ﴾(2) .

ومفرداً مؤنثاً في قوله :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(3) .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾(4) .

ومجموعاً مذكراً في قوله :

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(5) ؛ في معنى الجمع ؛ لأنه إسم جمع .

وما ذكرناه من وجوب مراعاة المعنى مع النكرة دون لفظ « كل » قد أوردوا عليه نحو قوله تعالى :

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾(6) .

وقوله : ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ ﴾(7) .

وقوله : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى ﴾(8) .

وأجيب بأن الجمع في الأولى باعتبار « الأمة » .

وكذلك في الثانية فإن الضّامر اسم جمع ؛ كالجامل والباقر .

---

(1) سورة : القمر . آية : ٥٢ .
(2) سورة : الإسراء . آية : ١٣ .
(3) سورة : المدثر . آية : ٣٨ .
(4) سورة : آل عمران . آية : ١٨٥ .
(5) سورة : المؤمنون . آية : ٥٣ .
(6) سورة : غافر . آية : ٥ .
(7) سورة : الحج . آية : ٢٧ .
(8) سورة : الصافات . آية : ٧ ، ٨ .

وكذلك في الثالثة ؛ إنّما عاد الضمير إلى الجمع المستفاد من الكلام ، فلا يلزم عودُهُ إلى « كلّ » .

وزعم الشيخ أثير الدين في تفسيره :

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ ٱللَّهِ ﴾(١) ، ثم قال : ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾(٢) ، أنه ممّا روعي فيه المعنى بهذا اللفظ .

وليس كذلك ؛ فإن الضمير لم يَعُد إلى « كل » بل على « الأفّاكين » الدالة عليه ﴿ كُلُّ أَفَّاكٍ ﴾ .

وأيضاً فهاتان جملتان والكلام في الجملة الواحدة .

الثاني : أن تضاف إلى معرفة ، فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها ، سواء كانت الإضافة لفظاً ، نحو :

﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾(٣) .

فراعَى لفظ « كلّ » . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « كلّكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته »(٤) .

ولم يقل : راعون ولا مسئولون .

أو معنى ؛ نحو : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾(٥) ، فراعى لفظها .

---

(١) سورة : الجاثية . آية : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة : الجاثية . آية : ٨ .

(٣) سورة : مريم . آية : ٩٥ .

(٤) أنظر ، الحديث في : صحيح البخاري ، صلاة الجمعة باب ١١ ، وكتاب الجنائز باب ٣٢ ، وفي الاستقراض باب ٢٠ ، والوصايا باب ٩ ، والعتق باب ١٧ ، ١٩ ، والنكاح باب ٨١ ، ٩٠ ، والأحكام باب ١ . ومسلم في الإمارة حديث ١ ، ١٣ . والترمذي في كتاب الجهاد باب ٢٧ . والإمام أحمد ٥/٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١٢١ .

(٥) سورة : العنكبوت . آية : ٤٠ .

وقال : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[1] ، فراعى المعنى .

وقد اجتمع مراعاة اللفظ والمعنى في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمٰنِ عَبْداً . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾[2] .

هذا إذا جعلنا « مَنْ » موصولة ، فإن جعلناها نكرة موصوفة ، خرجت من هذا القسم إلى الأول .

الثالث : أن تقطع عن الإضافة لفظاً ، فيجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها .

فمن الأول :

﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾[3] .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾[4] .

﴿ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾[5] ، ولم يقل : « كذبوا » .

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾[6] .

ومن الثاني :

﴿ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[7] .

﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[8] .

﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾[9] .

---

(١) سورة : النمل . آية : ٨٧ .
(٢) سورة : مريم . آية : ٩٣ : ٩٥ .
(٣) سورة : البقرة . ية : ٢٨٥ .
(٤) سورة : الإسراء . آية : ٨٤ .
(٥) سورة : صَ. آية : ١٤ .
(٦) سورة : العنكبوت . آية : ٤٠ .
(٧) سورة : الأنفال . آية : ٥٤ .
(٨) سورة : الأنبياء . آية : ٣٣ .
(٩) سورة : الروم . آية : ٢٦ .

﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[1] .

قال أبو الفتح : وعِلّته أنّ أَحَدَ الجمعين عندهم كان عن صاحبه ؛ فإن لفظ « كلّ » للأفراد ومعناها الجمع ، وهذا يدل على أنهم قدّروا المضاف إليه المحذوف في الموضعين جمعاً ، فتارة رُوعي كما إذا صرح به ، وتارة رُوعي لفظ « كل » ، وتكون حالة الحذف مخالفة لحال الإثبات .

قيل : ولو قال قائل : حيث أفرد يقدّر الحذف مفرداً ، وحيث جُمع يقدر جمعاً فيقدّر في قوله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾[2] « كلّ واحد » .

ويقدر في قوله : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[3] « كل نوع مما سبق » لكان موافقاً إذا أضيف لفظاً إلى نكرة .

وما ذكروه يقتضي أن تقديره : وكلهم أتوه ، وكلا التقديرين سائغ ، والمراد الجمع .

ويتعين في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[4] ، أنّ كلا من الشمس والقمر والليل والنهار لا يصحّ وصفه بالجمع .

وقد قدر الزمخشري : ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[5] : كلّ أحدٍ ، وهو يساعد ما ذكرناه .

وما ذكرناه في هذه الحالة هو المشهور .

وقال السهيليّ في « نتاج الفكر » : إذا قطعت « كل » عن الإضافة فيجب أن يكون خبرها جمعاً ؛ لأنها اسم في معنى الجمع ، تقول : كلّ ذاهبون ؛ إذا تقدم ذكر قوم . وأجاب عن إفراد الخبر في الآيات السابقة ؛ بأن فيها قرينة تقتضي تحسين المعنى بهذا اللفظ دون غيره .

---

(١) سورة : النمل . آية : ٨٧ .
(٢) سورة : العنكبوت . آية : ٤٠ .
(٣) سورة : النمل . آية : ٨٧ .
(٤) سورة : الأنبياء . آية : ٣٣ .
(٥) سورة : الإسراء . آية : ٨٤ .

أما قوله : ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[1] ، فلأنّ قبلها ذَكَرَ فريقين مختلفين ، مؤمنين وظالمين ، فلو جمعهم في الأخبار وقال : كلّ يعملون ، لبطل معنى الاختلاف ، وكان لفظ الإفراد أدلَّ على المراد ، والمعنى : كلّ فريق يعمل على شاكلته .

وأما قوله : ﴿ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾[2] ، فلأنه ذكر قروناً وأمماً ، وختم ذكرهم بقوم تُبّع ، فلو قال : كلّ كذبوا ، لعاد إلى أقرب مذكور ، فكانَ يُتوهّم أن الإخبار عن قوم تبّع خاصة ، فلما قال : ﴿ إن كل إلّا كَذَّبَ ﴾ ، علم أنه يريد كلّ فريق منهم كذب ، لأن إفراد الخبر عن « كل » حيث وقع إنما يدل على هذا المعنى .

مسألـــة :

وتتصل « ما » بـ « كلّ » نحو : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ﴾[3] ، وهي مصدرية لكنّها نائبة بصلتها عن ظرف زمان ، كما ينوبُ عنه المصدر الصريح ، والمعنى : كل وقت .

وهذه تسمّى « ما » المصدرية الظرفية ، أي النائبة عن الظرف ، لا أنها ظرف في نفسها ، فـ « كلّ » من « كلما » منصوب على الظرفية لإضافته إلى شيء هو قائم مقام الظرف .

ثم ذكر الفقهاء والأصوليون أن « كلما » للتكرار .

قال الشيخ أبو حيان : وإنما ذلك من عموم « ما » ، لأنّ الظرفية مراد بها العموم ، فإذا قلت : أصحبك ما ذرّ لله شارق ، فإنما تريد العموم ، فـ « كلّ » أكدت العموم الذي أفادته « ما » الظرفية ؛ لا أن لفظ « كلما » وضع للتكرار كما

---

(١) سورة : الإسراء . آية : ٨٤ .

(٢) سورة : صٓ . آية : ١٤ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .

يدلّ عليه كلامهم ، وإنما جاءت « كل » توكيداً للعموم المستفاد من « ما » الظرفية . انتهى .

وقوله : إن التكرار من عموم « ما » ممنوع ؛ فإن « ما » المصدرية لا عموم لها ، ولا يلزم من نيابتها عن الظرف دلالتُها على العموم ؛ وإن استفيد عموم في مثل هذا الكلام فليس من « ما » إنما هو من التركيب نفسه .

وذكر بعض الأصوليين أنها إذا وصلت بـ « ما » صارت أداة لتكرار الأفعال وعمومها قصديّ ، وفي الأسماء ضِمْني .

قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾[1] ، وإذا جُـرّدت من لفظ « ما » ، انعكس الحكم وصارت عامة في الأسماء قصداً ، وفي الأفعال ضمناً .

ويظهر الفرق بينهما في قوله : كل امرأة أتزوّجها فهي طالق ، تطلق كلّ امرأة يتزوجها ، وتكون عامة في جميع النساء لدخولها على الاسم وهو قصديّ .

ولو تزوج امرأة ثم تزوّجها مرة أخرى لم تطلق في الثانية لعدم عمومها قصداً في الأسماء .

ولو قال : كلما تزوجت امرأة فهي طالق فتزوج امرأة مراراً طلقت في كل مرة لاقتضائها عموم الأفعال قصداً ، وهو التزوج .

مسألة :

ويأتي « كلّ » صفة ، ذكره سيبويه في باب النَّعت قال : ومن الصفة أنت الرّجل كلّ الرجل ؛ ومررت بالرجل كلّ الرجل .

قال الصّفّار : هذا يكون عند قصد التأكيد والمبالغة ، فإن قولك : « الرجل » معناه الكامل ، ومعنى « كلّ الرجل » أي هو الرجل ، لعظمته قد قام مقام الجنس ، كما تقول : أكلت شاة كل شاة .

(١) سورة : النساء . آية : ٥٦ .

وإليه أشار بقوله ﷺ : « كل الصّيد في جوف الفرا » .

أيّ : أن مَنْ صاده فقد صاد جميع الصّيد لقيامه مقامه لعظمته .

قال : وهذا إنما يجوز إذا سبقها ما فيه رائحة الصفة كما ذكرنا ، فلو كان جامداً لم يجز ، نحو : مررت بعبد الله ، كل الرجل . لا يفهم من « عبد الله » شيء .

٥٣ ـ كلا وكلتا

هما توكيد الاثنين ؛ وفيهما معنى الإحاطة ؛ ولهذا قال الراغب : هي في التثنية ككلّ في الجمع ، ومفرد اللفظ مثنى المعنى ؛ عبّر عنه مرة بلفظه ، ومرّة بلفظ الاثنين ، اعتباراً بمعناه ؛ قال تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا ﴾[١] .

قلت : لا خلاف أن معناها التثنية . واختلف في لفظها .

فقال البصريون : مفرد .

وقال الكوفيون : تثنية .

والصحيح الأول ؛ بدليل عَوْد الضمير إليها مفرداً في قوله : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ ﴾[٢] ، فالإخبار عن « كلتا » بالمفرد دليل على أنها مفرد ؛ إذ لو كان مثنى لقال : « آتتا » ، ودليل إضافتها إلى المثنى في قوله : ﴿ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا ﴾ ، ولو كان مثنى لم يجز إضافته إلى التثنية ؛ لأنه لا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه . والفصيح مراعاة اللفظ ؛ لأنّه الذي ورد به القرآن ؛ فيقال : كلا الرجلين خرج ، وكلتا المرأتين حضرت .

---

(١) سورة : الإسراء ، آية : ٢٣ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٣٣ .

وقد نازع بعض المتأخرين وقال : ليس معناه التثنية على الإطلاق كما ذكره النحاة ، ولو كان كذلك لكثرت مراعاة المعنى ؛ كما كثرت مراعاته في « من » و « ما » الموصولتين ؛ لكنّ أكثر ما جاء في لسان العرب عود الضمير مفرداً ؛ ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ ﴾[1] ، وما جاء فيه مراعاة المعنى في غاية القلة .

قال : فالصواب أن معناها مفرد صالح لكلٍّ من الأمرين المضاف إليهما . وأما مراعاة التثنية فيه فعلى سبيل التوسّع ؛ ووجه التوسّع أن كل فرد في جانب الثبوت معه غيره ؛ فجاءت التثنية بهذا الاعتبار ؛ فالإفراد إليه مراعاة المعنى واللفظ ، والتثنية مراعاة المعنى من بعض الوجوه .

فائــــدة :

وقع في شعر أبي تمام « كلا الآفاق » ، وخطأه المعرّي ؛ لأن « كلا » يستعمل في الاثنين لا الجمع .

قال : ولم يأت في المسموع : كلا القوم ، ولا كلا الأصحاب ؛ وإنما يقال : كلا الرجلين ونحوه ؛ فإن أخذ من الكلأ ؛ من قولك : كلأت الشيء إذا رعيتَه وحفظته ، فالمعنى يصحّ إلا أن المتكلم يقصر ؛ وهي ممدودة .

٥٤ ـ كم

نكـرة لا تتعرّف ؛ لأنهـا مُبْهمة في العـدد ، كـ « أين » في الأمكنة ، و « متى » في الأزمنة ، و « كيف » في الأحوال .

وقول سيبويه : كم أرضك جَريباً ؟ : « كم » مبتدأ ، و « أرضك » مبنيّ عليه ؛ مجاز ليس بحقيقة ؛ وإنما « أرضك » مبتدأ ، و « كم » الخبر ، مثل كيف زيد ؟ .

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٣٣ .

وهي قسمان :

استفهامية تحتاج إلى جواب ؛ بمعنى : أيّ عدد ؟ ، فينصب ما بعدها ، نحو : كم رجلاً ضربت ؟

وخبرية لا تحتاج إلى جواب ؛ بمعنى : عدد كثير ، فيجرّ ما بعدها ؛ نحو : كم عبدٍ ملكت .

وقد تدخل عليها « مِنْ » ، كقوله : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾(١) .

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾(٢) .

وليست الاستفهامية أصلاً للخبرية ؛ خلافاً للزمخشري حيث ادّعى ذلك في سورة « يسٓ » عند الكلام على : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾(٣) .

ولم تستعمل الخبرية غالباً إلا في مقام الافتخار والمباهاة ؛ لأن معناها التكثير ؛ ولهذا ميزت بما يميز العدد الكثير ؛ وهو مائة وألف ؛ فكما أن « مائة » تميّز بواحد مجرور ؛ فكذلك « كم » .

واعلم أن « كم » مفردة اللفظ ، ومعناها الجمع ؛ فيجوز في ضميرها الأمران بالاعتبارين .

قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ ﴾(٤) .

ثم قال : ﴿ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ ﴾(٥) ، فأتى به جمعاً .

وقال : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾(٦) .

ثم قال : ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾(٧) .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ٤ .
(٢) سورة : الأنبياء . آية : ١١ .
(٣) سورة : يسٓ . آية : ٣١ .
(٤) سورة : النجم . آية : ٢٦ .
(٥) سورة : النجم . آية : ٢٦ .
(٦) سورة : الأعراف . آية : ٤ .
(٧) سورة : الأعراف . آية : ٤ .

٥٥ ـ كيف

استفهام عن حال الشيء لا عن ذاته ؛ كما أن « ما » سؤال عن حقيقته ، و « مَنْ » عن مشخصاته ؛ ولهذا لا يجوز أن يقال في « الله » « كيف » .

وهي مع ذلك منزَّلة منزلة الظرف ؛ فإذا قلت : كيف زيد ؟ كان « زيد » مبتدأ ، و « كيف » في محلّ الخبر ، والتقدير . على أيّ حال زيد ؟

هذا أصلها في الوضع ؛ لكن قد تعرِض لها معانٍ تفهم من سياق الكلام ، أو من قرينة الحال ؛ مثل معنى التنبيه والاعتبار وغيرهما .

وقال بعضهم : لها ثلاثة أوجه :

أحدها : سؤال محض عن حال ؛ نحو كيف زيد ؟

وثانيها : حال لا سؤال معه ، كقولك : لأكرمنّك كيف أنت ، أي على أي حال كنت .

ثالثها : معنى التعجّب .

وعلى هذين تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾(١) .

قال الراغب في تفسيره : كيف هنا استخبار لا استفهام ؛ والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب توبيخاً ؛ ولا يقتضي عدم المستخبَر ، والاستفهام بخلاف ذلك .

وقال في « المفردات » : كلّ ما أخبر الله بلفظ « كيف » عن نفسه فهو إخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو توبيخ ؛ نحو :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٨ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨ .

﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْماً ﴾[1] .

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ ﴾[2] .

﴿ ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ ﴾[3] .

﴿ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾[4] .

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِىءُ اللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[5] .

وقال غيره : قد تأتي للنّفي والإنكار ، كقوله :

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾[6] .

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾[7] .

ولتضمّنها معنى الجَحْد شاع أن يقع بعدها « إلاّ » ، كقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ﴾[8] .

وللتوبيخ ، كقوله :

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾[9] .

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾[10] .

وللتحذير ، كقوله : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾[11] .

وللتنبيه والاعتبار ، كقوله : ﴿ ٱنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[12] .

---

(1) سورة : آل عمران . آية : 86 .
(2) سورة : التوبة . آية : 7 .
(3) سورة : الإسراء . آية : 48 .
(4) سورة : العنكبوت . آية : 20 .
(5) سورة : العنكبوت . آية : 19 .
(6) سورة : التوبة . آية : 7 .
(7) سورة : آل عمران . آية : 86 .
(8) سورة : التوبة . آية : 7 .
(9) سورة : آل عمران . آية : 101 .
(10) سورة : البقرة . آية : 28 .
(11) سورة : النمل . آية : 51 .
(12) سورة : الإسراء . آية : 21 .

وللتأكيد وتحقيق ما قبلها ؛ كقوله : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾[1] .

وقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[2] .

فإنه توكيد لما تقدّم وتحقيق لما بعده ؛ على تأويل : إن الله لا يظلم الناس شيئاً في الدنيا فكيف في الآخرة !

وللتعظيم والتهويل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[3]، أي : فكيفَ حالهم إذا جئنا .

وقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو : « كيف بكَ إذا بقِيتَ في حُثالةٍ من الناس »[4] !

وقيل : وتجيء مصدراً ، كقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[5] .

﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[6] .

وتأتي ظرفاً في قول سيبويه ؛ وهي عنده في قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ منصوبة على التشبيه بالظرف ، أي : في حالٍ تكفرون . وعلى الحال عِنْد الأخفش ، أي : على حال تكفرون .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٤١ .

(٣) سورة : النساء . آية : ٤١ .

(٤) أنظر الحديث في : صحيح البخاري ، كتاب الصلاة باب ٨٨ ، وفي الفتن باب ١٣ . وسنن أبي داود ، في الملاحم باب ١٠ . والدارمي ، في الرقاق باب ١١ . ومسند الإمام أحمد ١٦٢/٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ١٩٣/٤ .

(٥) سورة : الفرقان . آية : ٤٥ .

(٦) سورة : الروم . آية : ٥٠ .

وجعل منه بعضهم قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[1] ؛ فإن شئت قدرت بعدها إسماً ، وجعلتها خبراً ، أي كيف صنعكم أو حالكم ؟ وإن شئت قدرت بعدها فعلاً ، تقديره : كيف تصنعون ؟

وأثبت بعضهم لها الشرط ؛ كقوله تعالى : ﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[2] .

﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[3] .

﴿ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[4] .

وجوابه في ذلك محذوف ؛ لدلالة ما قبلها .

ومراد هذا القائل ، الشرط المعنويّ ؛ وهو إنّما يفيد الربط فقط ؛ أي : ربط جملة بأخرى كأداة الشرط ، لا اللفظيّ ، وإلا لجزم الفعل .

وعن الكوفيين أنها تجزم ، نحو كيف تكُنْ أكن .

وقد يحذف الفعل بعدها ، قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾[5] ، أي كيف تُوالُونَهُمْ !

٥٦ ـ اللام

قسمان :

إما أن تكون عاملة ، أو غير عاملة .

القسم الأول : غير العاملة :

وتجيء لعشرة معانٍ :

(١) سورة : النساء . آية : ٤١ .
(٢) سورة : المائدة . آية : ٦٤ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ٦ .
(٤) سورة : الروم . آية : ٤٨ .
(٥) سورة : التوبة . آية : ٨ .

معرّفة ، ودالة على البعد ، ومخففة ، وموجبة ، ومؤكدة ، ومتممـة ، وموجهة ، ومسبوقة ، والمؤذنة ، والموطئة .

١ ـ **فالمعرّفة** : التي معها ألف الوصل ، عند من يجعل المعرّفة اللام وحدها ، وينسب لسيبويه . وذهب الخليل إلى أنه ثنائيّ ، وهمزته همزة قطْع ، وُصِلت لكثرة الاستعمال .

وتنقسم المعرّفة . إلى : عهدية ، واستغراقية ، وقد سبقا في قاعدة التنكير والتعريف . وزاد قوم طلب الصلة ، وجعل منه :

﴿ رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ﴾[١] .

﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئبُ ﴾[٢] .

وللإضمار ، ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَى ﴾[٣] ، ولا خلاف أن الإضمار بعدها مراد ؛ وإنما اختلفوا في تقديره ؛ فعند الكوفيين : « هي مأواه » ، وعند البصريين : هي المأوى له .

واللام في التعريف مرققة إلا في إسم الله فيجب تفخيمها ؛ إذا كان قبلها ضمّة أو فتحة ، وهي في الأسماء تفخيم الْجرْس، وفي المعنى توقير المسمّى وتعظيمه ، سبحانه !

٢ ـ **والدالة على البعد الداخلة على أسماء الإشارة** ؛ إعلاماً بالبعد أو توكيداً له ، على الخلاف فيه .

٣ ـ **والمخففة** : التي يجوز معها تخفيف « إنّ » المشدّدة ؛ نحو :

﴿ إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٤] .

وتسمّى لام الابتداء ، والفارقة ؛ لأنها تفرق بينها وبين إن النافية .

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٧١ .

(٢) سورة : يوسف . آية : ١٧ .

(٣) سورة : النازعات . آية : ٣٩ .

(٤) سورة : الطارق . آية : ٤ .

والمخففة هي التي تحقق الخبر مع المبتدأ ؛ كقوله تعالى :

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾[1] .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾[2] .

٤ ـ **والموجبة** : بمعنى « إلّا » عند الكوفيين ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[3] .

﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[4] ، أي : ما كلّ ، فجعلوا : « إن » بمعنى « ما » ، واللام بمعنى « إلّا » في الإيجاب .

وقرأ الكِسَائي : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[5] ، بالرفع والمراد : « وما كان مكرهم إلا لتزول منه » .

٥ ـ **والمؤكدة** ؛ وهي الزائدة أول الكلام ؛ وتقع في موضعَيْن :

أحدهما : المبتدأ ؛ وتسمّى لام الابتداء ؛ فيؤذن بأنّه المحكوم ؛ قال تعالى :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾[6] .

﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ ﴾[7] .

﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾[8] .

ثانيهما : في باب « إن » ، على اسمها إذا تأخر ؛ نحو ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾[9] .

---

(١) سورة : الشورى . آية : ٤٣ .
(٢) سورة : التوبة . آية : ١٢٨ .
(٣) سورة : يسۤ . آية : ٣٢ .
(٤) سورة : الزخرف . آية : ٣٥ .
(٥) سورة : إبراهيم . آية : ٤٦ .
(٦) سورة : التوبة . آية : ١٠٨ .
(٧) سورة : يوسف . آية : ٨ .
(٨) سورة : الحشر . آية : ١٣ .
(٩) سورة : النازعات . آية : ٢٦ .

وعلى خبرها ، نحو : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[1] .

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ ﴾[2] .

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾[3] .

فـ « إنّ » في هذا توكيد لما يليها ؛ واللام لتوكيد الخبر .

وكذا في « أنّ » المفتوحة ، كقراءة سعيد ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ﴾[4] ، بفتح الهمزة ؛ فإنه ألغى اللام ؛ لأنها لا تدخل إلاّ على « إنّ » المكسورة ، أو على ما يَتصل بالخبر إذا تقدّم عليه ؛ نحو :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[5] ، فإن تقديره : «ليعمهون في سكرتهم» .

واختلف في اللام في قوله : ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ ﴾[6] ؛ فقيل هي مؤخّرة ، والمعنى : يدعو لَمَنْ ضرّه أقرب من نفعه .

وجاز تقديمها وإيلاؤها المفعول ؛ لأنها لام التوكيد واليمين ؛ فحقها أن تقع صدر الكلام .

واعترض بأن اللام في صلة « من » فتقدّمها على الموصول ممتنع . وأجاب الزمخشري بأنها حرف لا يفيد غير التوكيد ؛ وليست بعاملة ، كـ « من » المؤكدة ، في نحو : ما جاءني من أحد ، دخولها وخروجها سواء ؛ ولهذا جاز تقديمها .

ويجوز ألاّ تكون هنا موصولة ؛ بل نكرة ؛ ولهذا قال الكسائيّ : اللام في غير موضعها ؛ و « مَنْ » في موضع نصب بـ « يدعو » ، والتقدير : « يدعو من ضرّه أقرب من نفعه » ، أي يدعو إلَهاً ضرّه أقرب من نفعه .

---

(١) سورة : الفجر . آية : ١٤ .

(٢) سورة : هود . آية : ٧٥ .

(٣) سورة : البروج . آية : ١٢ .

(٤) سورة : الفرقان . آية : ٢٠ .

(٥) سورة : الحجر . آية : ٧٢ .

(٦) سورة : الحج . اية : ١٣ .

قال المبرّد : يدعو في موضع الحال ، والمعنيّ في ذلك هو الضلال البعيد في حال دعائه إياه ، وقوله : ﴿ لَمَنْ ﴾ مستأنف مرفوع بالابتداء ، وقوله : ﴿ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾(١) في صلته ، و ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَى ﴾(٢) خبره .

وهذا يستقيم لو كان في موضع ﴿ يَدْعو ﴾ ، « يُدعى » ، لكن مجيئه بصيغة فعل الفاعل ، وليس فيه ضميره يُبعده .

٦ ـ والمتممة : كقوله تعالى : ﴿ إِذَنْ لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾(٣) ، ﴿ إِذَنْ لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾(٤) ؛ فاللام هنا لتتميم الكلام .

قال الزمخشري : « إذنْ » دالة على أن ما بعدها جواب وجزاء .

٧ ـ والموجّهة ، في جواب « لولا » : كقوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾(٥) ؛ فاللام في ﴿ لقد ﴾ تُوَجِّه للتثبيت .

٨ ـ والمسبوقة في جواب « لو » : كقوله تعالى :

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً ﴾(٦) ؛ أي تفيد تأخره لأشدّ العقوبة .

كقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾(٧) وهذا بخلاف قوله : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً ﴾ بغير لام ؛ فإنّه يفيد التعجيل ؛ أي جعلناه أجاجاً لوقته .

٩ ـ والمؤنة : الداخلة على أداة الشرط بعد تقدم القَسَم لفظاً أو تقديراً ،

---

(١) سورة : الحج . آية : ١٣ .
(٢) سورة : الحج . آية : ١٣ .
(٣) سورة : الإسراء . آية : ٤٢ .
(٤) سورة : الإسراء . آية : ٧٥ .
(٥) سورة : الإسراء . آية : ٧٤ .
(٦) سورة : الواقعة . آية : ٦٥ .
(٧) سورة : يونس . آية : ٢٤ .

لتؤذن أن الجواب له ، لا للشرط ، أو للإيذان بأن ما بعدها مبنيّ على قَسَم قبلها .

١٠ ـ وتسمّى الموطئة ؛ لأنّها وطّأت الجواب للقسم ، أي : مهّدته .

وقول المعربين : إنّها موطئة للقسم فيه تجوّز ؛ وإنما هي موطّئة لجوابه ، كقوله :

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ ﴾(١) .

وليست جواباً للقسم ؛ وإنّما الجواب ما يأتي بعد الشرط . ويجمع هذه الأربعة المتأخرة ؛ قولك : لام الجواب .

وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً ﴾(٢) ، فاللام في « لئن » مؤذنة ، وقوله : ﴿نَسْفَعاً﴾ جواب القسم المقدر ؛ تقديره : والله لَنَسْفعنْ .

ومن جواب القسم قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ ﴾(٣) .

وزعم الشيخ أثير الدين في تفسيره أنها لام التوكيد ؛ وليس كما قال.

وقد قال الواحديّ في « البسيط » : إنها لام القسم ، ولا يجوز أن تكون لام ابتداء ؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلاّ الأسماء ، وما يكون بمنزلتها كالمضارع .

القسم الثاني :

وهي على ثلاثة أقسام : جارّة ، وناصبة ، وجازمة .

١ ـ **الأولى** : **الجارّة** ، وتأتي لمعان :

---

(١) سورة : الحشر . آية : ١٢ .

(٢) سورة : العلق . آية : ١٥ .

(٣) سورة : القصص . آية : ٤٣ .

للملك الحقيقيّ ؛ كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾[1] .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] .

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3] .

والتمليك ، نحو وهبت لزيد ديناراً ؛ ومنه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِن رَحْمَتِنَا ﴾[4] .

والاختصاص ، ومعناها أنها تدلّ على أن بين الأول والثاني ، نسبة باعتبار ما دَلّ عليه متعلّقة ؛ نحو : هذا صديق لزيد ، وأخ له ؛ ومنه : الجنّة للمؤمنين .

وللتخصيص ، ومنه : ﴿ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾[5] .

وللاستحقاق كقوله تعالى :

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾[6] .

﴿ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ ﴾[7] .

والفرق بينه وبين الملك ؛ أن الملك لِمَا حَصَل وثبت ، وهذا لما لم يحصُلْ بَعْد ؛ ولكن هو في حكم الحاصل ، من حيث ما قد استحقّ . قاله الراغب .

وللولاية ، كقوله : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[8] .

ويجوز أن تجمع هذه الثلاثة ، كقولك : الحمد لله ؛ لأنه يستحق

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٢٨ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٠٧ .
(٣) سورة : الفتح . آية : ٤ .
(٤) سورة : مريم . آية : ٥٠ .
(٥) سورة : الأحزاب . آية : ٥٠ .
(٦) سورة : القصص . آية : ١ .
(٧) سورة : الرعد . آية : ٢٥ .
(٨) سورة : الروم . آية : ٤ .

الحمد ، ووليه ، والمخصوص به ؛ فكأنه يقول : الحمد لي وإليّ .

وللتعليل ؛ وهي التي يصلح موضعها « من أجل » ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(١) ؛ أي من أجل حبّ الْخير .

وقوله : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾(٢) ؛ وهي متعلقة بقوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا ﴾(٣) ، أو بقوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾(٤) ؛ ولهذا كانتا في مصحف أُبيّ سورة واحدة .

وضُعّف بأن جعلهم كعصف مأكول ؛ إنما هو لكفرهم وتجرّئهم على البيت .

وقيل : متعلّق بمحذوف ، أي « اعجبوا » .

وقوله : ﴿ سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾(٥) ، أي : لأجل بلدٍ ميت ؛ بدليل : ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ ٱلْمَاءَ ﴾(٦) .

هذا قول الزمخشري ؛ وهو أولى من قول غيره إنها بمعنى « إلى » .

وقوله : ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾(٧) ؛ أي : لا تخاصم الناس لأجل الخائنين .

قال الراغب : ومعناه كمعنى : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾(٨) ، وليست كالتي في قولك : لا تكن للّه خصيماً ، دخولها على المفعول ؛ أي لا تكن خصيم الله .

وبمعنى « إلى » كقوله : ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾(٩) بدليل قوله : ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾(١٠) .

---

(١) سورة : العاديات . آية : ٨ .
(٢) سورة : قريش . آية : ١ .
(٣) سورة : قريش . آية : ٣ .
(٤) سورة : الفيل . آية : ١ .
(٥) سورة : الأعراف . آية : ٥٧ .
(٦) سورة : الأعراف . آية : ٥٧ .
(٧) سورة : النساء . آية : ١٠٥ .
(٨) سورة : النساء . آية : ١٠٧ .
(٩) سورة : الرعد . آية : ٢ .
(١٠) سورة : إبراهيم . آية : ١٠ .

وقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾[1] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾[2] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[4] ، بدليل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَىٰ ٱلنَّحْلِ ﴾[5] .

وزيَّفه الراغب لأنّ الوَحي للنحل ، جعل ذلك له لِلتَّسخير والإلهام ، وليس كالوحي الموحَى إلى الأنبياء ؛ فاللام على جَعل ذلك الشيء له بالتّسخير .

وبمعنى « على » ، نحو : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾[6] .

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[7] .

وقوله : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[8] ؛ أي فعليها ؛ لأن السيئة على الإنسان لا له ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾[9] .

وقوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾[10] .

وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[11] ، أي : مَنْ لم يكن .

وقوله : ﴿ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ ﴾[12] .

---

(١) سورة : الانعام . آية : ٢٨ .
(٢) سورة : الأعراف . آية : ٤٣ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ١٩٣ .
(٤) سورة : الزلزلة . آية : ٥ .
(٥) سورة : النحل . آية : ٦٨ .
(٦) سورة : الإسراء . آية : ١٠٩ .
(٧) سورة : الصافات . آية : ١٠٣ .
(٨) سورة : الإسراء . آية : ٧ .
(٩) سورة : هود . آية : ٣٥ .
(١٠) سورة : فصلت . آية : ٤٦ .
(١١) سورة : البقرة . آية : ١٩٦ .
(١٢) سورة : الرعد . آية : ٢٥ .

وبمعنى « في » كقوله : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾(١) .

﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾(٢) .

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾(٣) .

وبمعنى « بعد » ، نحو : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾(٤) .

وقال ابن أبان : الظاهر أنها للتعليل .

وبمعنى «عـن» مع القول ، كقوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّـذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا ﴾(٥) .

أي : عن الذين آمنوا ، وليس المعنى خطابهم بذلك ، وإلا لقيل : « سبقتمونا » . وقيل لام التعليل ، وقيل للتبليغ ، والتفت عن الخطاب إلى الغيبة .

وكقوله : ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ ﴾(٦) .

وأما قوله : ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ ﴾(٧) ؛ فاللام للتبليغ ؛ كـذلك قسمها ابن مالك ، كقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ ﴾(٨) .

وغيره يُسَمِّيها لام التبليغ ، فإن عرف من غاب عن القول حقيقة أو حكماً فللتعليل نحو :

﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا ﴾(٩) .

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ٤٧ .
(٢) سورة : الفجر . آية : ٢٤ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٨٧ .
(٤) سورة : الإسراء . آية : ٧٨ .
(٥) سورة : الأحقاف . آية : ١١ .
(٦) سورة : الأعراف . آية : ٣٨ .
(٧) سورة : الأعراف . آية : ٣٩ .
(٨) سورة : الكهف . آية : ٧٥ .
(٩) سورة : آل عمران . آية : ١٥٦ .

﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾[1] .

وذكر ابنُ مالك وغيره ضابطاً في اللام المتعلقة بالقول ؛ وهو إن دخلت على مخاطبة القائل ؛ فهي لتعدية القَوْل للمقول له ، نحو :

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[2] .

﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا ﴾[3] .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ﴾[4] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[6] . وهو كثير .

وبمعنى « أن » المفتوحة الساكنة . قاله الهرويّ : وجُعل منه .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ﴾[7] .

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[8] .

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[9] .

وهذه اللام لا تكون إلا بعد « أردت » ، و« أمرت » ، وذلك لأنّهما يطلبان المستقبل ، ولا يصلحان في الماضي ، فلهذا جعل معهما بمعنى « أن » ؛ وبذلك صرح صاحب « الكشاف » في تفسير سورة الصفّ ، فقال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ﴾[10] أصله: يريدون أن يطفئوا[11]، كما جاء في سورة براءة.

---

(١) سورة : هود . آية : ٣١ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٨ .

(٣) سورة : آل عمران . آية: ١٥٦ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ١٦٨ .

(٥) سورة : النحل . آية : ١١٦ .

(٦) سورة : الكهف . آية : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٧) سورة : الصف . آية : ٨ .

(٨) سورة : النساء . آية : ٢٦ .

(٩) سورة : الأنعام . آية : ٧١ .

(١٠) سورة : التوبة . آية : ٣٢ .

(١١) « أصله : يريدون أن يطفئوا » إضافة من الكشاف للزمخشري ٤/ ٤٢٠ .

وللتعدية ؛ وهي التي تعدى العامل إذا عجز ، نحو : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾(١) ، فاللام فيه للتعدية ؛ لأن الفعل يضعف بتقديم المفعول عليه .

وسمّاها ابنُ الأنباريّ : آلةَ الفعل ، وذكرَ أنّ البصريِّين يُسمّونها لام الإضافة ؛ كقوله تعالى :

﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾(٢) .

﴿ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾(٣) .

وقال الراغب : التعدية ضربان : تارة لتقوية الفعل ، ولا يجوز حذفه ، نحو :

﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾(٤) .

وتارة يحذف ، نحو : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾(٥) .

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ ﴾(٦) ، فأثبت في موضع وحذف في موضع . انتهى .

وللتبيين ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾(٧) ؛ أي : أَقْبِلْ وَتَعَالَ أقول لك .

وذكر ابن الأنباريّ أنّ اللام المكسورة تجيء جواباً للقَسَم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ﴾(٨) ، والمعنى « لَيجزِيَنَّ » ، بفتح اللام والتوكيد بالنون ، فلما حذف النون أقام المكسورة مقام المفتوحة .

وهذا ضعيف ، وذكر مثله عن أبي حاتم .

ويحتمل أن يكون قبلها فعل مقدّر ؛ أي آمنوا ليجزي .

(١) سورة : يوسف . آية : ٤٣ .
(٢) سورة : لقمان . آية : ١٤ .
(٣) سورة : هود . آية : ٣٤ .
(٤) سورة : الصافات . آية : ١٠٣ .
(٥) سورة : التوبة . آية : ٣٢ .
(٦) سورة : الأنعام . آية : ١٢٥ .
(٧) سورة : يوسف . آية : ٢٣ .
(٨) سورة : النجم . آية : ٣١ .

٢ ـ الثاني : الناصبة : على قول الكوفيين في موضعين : لام كيْ ، ولام الجحود .

ولام الجحود هي : الواقعة بعد الجحْد ؛ أي النفي ؛ كقوله :

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾(٢) .

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾(٣) .

وضابطها أنها لو سقطت تمّ الكلام بدونها ؛ وإنما ذكرت توكيداً لنفي الكون ؛ بخلاف لام كي .

قال الزَّجّاج : اللام في قوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَى ﴾(٤) ، لام كيْ ؛ لأن لام الجحود إذا سقطت لم يختلّ الكلام ؛ ولو سقطت اللام من الآية بطل المعنى . ولأنه يجوز إظهارُ « أن » بعد لام « كيْ » ، ولا يجوز بعد لام الجحود ؛ لأنها في كلامهم نفي للفعل المستقبل ؛ فالسين بإزائها ، فلم يظهر بعدها ما لا يكون بعدها ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾(٥) ، فجاء بلام الجَحد حيث كانت نفياً لأمرٍ متوقع مخوف في المستقبل ، ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٦) فجاء باسم الفاعل الذي لا يختصّ بزمان ؛ حيث أراد نفيَ العذاب بالمستغفرين على العموم في الأحوال .

ومثله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَى ﴾(٧) .

ثم قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَى ﴾(٨) .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٧٩ .
(٢) سورة : الأنفال . آية : ٣٣ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٦٨ .
(٤) سورة : الزمر . آية : ٣ .
(٥) سورة : الأنفال . آية : ٣٣ .
(٦) سورة : الأنفال . آية : ٣٣ .
(٧) سورة : هود . آية : ١١٧ .
(٨) سورة : القصص . آية : ٥٩ .

ومثال لام « كيْ » و « كَيْ » مُضْمَرة معها ، قوله تعالى :

﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً ﴾[1] .

﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[2] .

﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾[3] .

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾[5] ، يريد : « كي تكونوا » .

وقوله : ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾[6] .

وقد تجيء معها « كي » نحو :

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾[7] .

﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾[8] .

﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾[9] .

وربّما جاءت « كي » بلا لام ، كقوله : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ ﴾[10] وفي معناه لام الصَّيْرورة ، كقوله تعالى :

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾[11] .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[12] .

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٢ .
(٢) سورة : الفرقان . آية : ٣٢ .
(٣) سورة : يوسف . آية : ٢٤ .
(٤) سورة : النحل . آية : ٣٩ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ١٤٣ .
(٦) سورة : يونس . آية : ٩٢ .
(٧) سورة : النحل . آية : ٧٠ .
(٨) سورة : الأحزاب . آية : ٧ .
(٩) سورة : آل عمران . آية : ١٥٣ .
(١٠) سورة : الحشر . آية : ٧ .
(١١) سورة : القصص . آية : ٨ .
(١٢) سورة : الذاريات . آية : ٥٦ .

وتسمّى لام العاقبة ؛ فإنّ من المعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك ؛ بل لضدّه ، بدليل قوله :

﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾(١) .

وحكى ابن قتيبة عن بعضهم أنّ علامتها جواز تقدير الفاء موضعها ؛ وهو يقتضي أنّها لام التعليل ؛ لكن الفرق بينها وبين لام التعليل التي في نحو قوله : ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً ﴾(٢) ، أن لام التعليل تدخل على ما هو غرض لفاعل الفعل ، ويكون مرتباً على الفعل وليس في لام الصيرورة إلا الترتب فقط .

وقال الزمخشري في تفسير سورة المدثّر : أفادت اللام نفسَ العِلّة والسبب ، ولا يجب في العلّة أن تكون غَرضاً ؛ ألا ترى إلى قولك : خرجتُ من البلد مخافة الشرّ ، فقد جعلت المخافة عِلّة لخروجك ، وما هي بغرضك .

ونقل ابن فُورَك عن الأشعريّ : أن كلّ لام نسبها الله إلى نفسه ؛ فهي للعاقبة والصَّيرورة دون التعليل ؛ لاستحالة الغَرض .

واستكشله الشيخ عز الدين بقوله : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾(٤) ، فقد صرّح فيه بالتعليل . ولا مانع من ذلك ؛ إذ هو على وجه التفضّل .

وأقول : ما جعلوه للعاقبة هو راجع للتعليل ؛ فإن التقاطهم أفضى إلى عَداوته ؛ وذلك يوجب صدقَ الإخبار بكوْن الالتقاط للعداوة ؛ لأنّ ما أفضى إلى الشيء يكون عِلّة ، وليس من شرطه أن يكون نصب العلّة صادراً عمّن نُسب الفعل إليه لفظاً ؛ بل جاز أن يكون ذلك راجعاً إلى من يُنْسبُ الفعل إليه خَلْقاً ؛ كما تقول : جاء الغيث لإخراج الأزهار ، وطلعت الشمس لإنضاج الثمار ، فإنّ الفعل يضاف إلى الشمس والغيث .

---

(١) سورة : القصص . آية : ٩ .

(٢) سورة : الفرقان . آية : ٤٩ .

(٣) سورة : الحشر . آية : ٧ .

(٤) سورة : الفتح . آية : ١ .

كذلك التقاط آل فرعون موسى ؛ فإنّ اللَّهَ قَدّره لحكمته ، وجعله علَّة لعداوته ، لإفضائه إليه بواسطة حفظه وصيانته ؛ كما في مجيء الغيث بالنسبة إلى إخراج الأزهار . وإليه يشير الزمخشريّ أيضاً : التحقيق أنها لام العلة ، وأنّ التعليل بها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة ؛ لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط كونه لهم عدوًّا وحزناً ؛ بل المحبّة والتبنّي ؛ غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ؛ شبّه بالدّاعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله ، وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء[1] ، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل .

وقال ابن خالويه في كتاب « المبتدأ » في النحو :

فأمّا قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ ﴾[2] ، فهي لام « كي » عند الكوفيين ، ولام الصيرورة عند البصريين ، والتقدير : فصار عاقبة أمرهم إلى ذلك ؛ لأنهم لم يلتقطوه لكيْ يكون عدواً . انتهى .

وجوّز ابن الدّهان في الآية وجهاً غريباً : على التقديم والتأخير ، أي فالتقط آلُ فرعون ، و﴿ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾[3] حال من الهاء في : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ ﴾[4] ؛ أي ليتملّكوه .

قال : ويجوز أن يكون التقدير : فالتقطه آل فرعون ؛ لكراهة أن يكون لهم عدوًّا وحزناً .

وأما قوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ ، فحكى الهرويّ عن أبي حاتم أن اللام جواب القسم ؛ والمعنى : لَيغفرنّ الله لك ؛ فلما حذفت النون كسرت اللام ، وإعمالها إعمال « كي » ؛ وليس المعنى : فتحنا لك لكي يغفر الله لك ؛ فلم يكن الفتح سبباً للمغفرة .

---

(١) « وهو الإكرام الذي نتيجة المجيء » إضافة من الكشاف للزمخشري ، ٣/٣٠٩ .

(٢) سورة : القصص . آية : ٨ .

(٣) سورة : القصص . آية : ٨ .

(٤) سورة : القصص . آية : ٨ .

قال: وأنكره ثعلب، وقال: هي لام «كي»، ومعناه: لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة، فلما انضم إلى المغفرة شيء حادث واقع، حَسُن معه «كي».

وكذلك قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وأما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾[2]، فقال الفرّاء: لام كي.

وقال قُطْرب، والأخفش: لم يؤتوا المال لِيضلّوا، ولكن لما كان عاقبة أمرهم الضلال كانوا كأنهم أوتوها، لذلك فهي لام العاقبة.

هذا كلّه على مذهب الكوفيين، وأمّا البصريون فالنصب عندهم بإضمار «أن»، وهما جارّتان للمصدر؛ واللام الجارّة هي لام الإضافة.

واعلم أن الناصبة للمضارع تجيء لأسباب:

منها القصد والإرادة؛ إما في الإثبات، نحو: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾[3].

أو النفي نحو: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾[4]، فهو على تقدير حذف المضاف؛ أي: لنعلم ملائكتنا وأولياؤنا.

ويجوز أن يكون تعالى خاطب الخلْق بما يشاكِل طريقتَهم في معرفة البواطن والظواهر على قدر فَهْم المخاطب.

وقد تقع موقع «أنْ»، وإن كانت غيرَ معلولة لها في المعنى، وذلك إن كان الكلام متضمّناً لمعنى القصد والإرادة، نحو:

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[5].

---

(١) سورة: التوبة. آية: ١٢١.
(٢) سورة: يونس. آية: ٨٨.
(٣) سورة: الأنعام. آية: ٩٢.
(٤) سورة: البقرة. آية: ١٤٣.
(٥) سورة: الانعام. آية: ٧١.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ آللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾(1) .

ومنها العاقبة على ما سبق .

٣ ـ **الثالث : الجازمة** : وهي الموضوعة للطلب ، وتسمّى لام الأمر ؛ وتدخل على المضارع لتؤذن أنّه مطلوب للمتكلم ؛ وشرطها أن يكون الفعل لغير الفاعل المخاطب ؛ فيقولون : لتضرب أنت ، ومنه قراءة بعضهم :

﴿ فَبِذٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا ﴾(2) .

ووصفُها أن تكون مكسورة إذا ابتدىء بها ؛ نحو :

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾(3) .

﴿ لِيَسْتَأْذِنْكُمُ ﴾(4) .

وتسكن بعد الواو والفاء ؛ نحو :

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾(5) .

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(6) .

ويجوز الوجهان بعد « ثم » ، كقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾(7) ، قرى في السبع بتسكين ﴿ ليقضوا ﴾ وبتحريكه .

وتجيء لمعان :

منها : التكليف ؛ كقوله تعالى :

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾(8) .

---

(1) سورة : التوبة . آية : ٥٥ .
(2) سورة : يونس . آية : ٥٨ .
(3) سورة : الطلاق . آية : ٧ .
(4) سورة : النور . آية : ٥٨ .
(5) سورة : البقرة . آية : ١٨٦ .
(6) سورة : الكهف . آية : ٢٩ .
(7) سورة : الحج . آية : ٢٩ .
(8) سورة : الطلاق . آية : ٧ .

ومنها أمر المكلّف نفسه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾[1] .

والابتهال ، وهو الدعاء ، نحو : ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[2] .

والتّهديد نحو : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[3] .

والخبر ، نحو : ﴿ مَنْ كَانَ فِي ٱلضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾[4] ، أي : يمدّ .

ويحتمله : ﴿ وَلْنَحْمِلْ ﴾[5] ، أي : ونحمل .

ويجوز حذفها ورفع الفعل ، ومنه قوله : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[6] ، ويدلّ على أنّه للطلب ، قوله تعالى بعد : ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[7] مجزوماً ؛ فلولا أنّه طلب لم يصحّ الجزم ؛ لأنه ليس ثمّ وجه سواه .

٥٧ ـ لا

على ستة أوجه :

أحدها : أن تكون للنفي ، وتدخل على الأسماء ، والأفعال .

فالداخلة على الأسماء تكون عاملة وغير عاملة .

فالعاملة قسمان :

تارة تعمل عمل « إنّ » ، وهي النافية للجنس ، وهي تنفي ما أوجبته « إنّ » ، فلذلك تشبّه بها في الأعمال ، نحو : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾[8] .

﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾[9] .

---

(١) سورة : العنكبوت . اية : ١٢ .

(٢) سورة : الزخرف . آية : ٧٧ .

(٣) سورة : الكهف . آية : ٢٩ .

(٤) سورة : مريم . آية : ٧٥ .

(٥) سورة : العنكبوت . آية : ١٢ .

(٦) سورة : الصف . آية : ١١ .

(٧) سورة : الصف . آية : ١١ .

(٨) سورة : يوسف . آية : ٩٢ .

(٩) سورة : الأحزاب . آية : ١٣ .

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾[1] .

ويكثر حذف خبرها إذا عُلم ، نحو : ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾[2] .

﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾[3] .

وتارة تعمل عمل « ليس » .

وزعم الزمخشري في « المفصّل » أنها غير عاملة .

وكذا قال الحريريّ في « الدُّرّة » : إنها لا تأتي إلا لنفي الوحدة .

قال ابن بَرّي : وليس بصحيح ؛ بل يجوز أن يريد منه العموم ، كما في النصب ، وعليه قال : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل » ، يعني فإنه نفي الجنس لمّا عطف .

وكذلك قولك : « لا رجل في الدار ولا امرأة » ، تفيد نفي الجنس ؛ لأن العطف أفهم للعموم .

وممن نصّ على ذلك أبو البقاء في « المحصّل » . ويؤيده قوله تعالى : ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾[4] ، قرىء بالرفع والنصب فيهما ، والمعنى فيهما واحد .

وقال ابن الحاجب : ما قاله الزمخشري لا يستقيم ، ولا خلاف عند أصحاب الفهم أنه يُستفاد العموم منه، كما في المبنية على الفتح ، وإن كانت المبنية أقوى في الدلالة عليه ؛ إمّا لكونه نصاً أو لكونه أقوى ظهوراً ، وسبب العموم أنها نكرةٌ في سياق النفي فتعمّ .

وقال ابن مالك في « التحفة » : قد تكون المشبه بـ« ليس » نافية

(١) سورة : النحل . آية : ٦٢ .

(٢) سورة : الشعراء . آية : ٥٠ .

(٣) سورة : سبإ . آية : ٥١ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٥٤ .

للجنس ، ويفرق فيها بين إرادة الجنس وغيره بالقرائن . هذا كله في العاملة .

وأما غير العاملة :

فيرفع الاسم بعدها بالابتداء إذا لم يُرَد نفي العموم ، ويلزم التكرار .

ثم تارة تكون نكرة ، كقوله :

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾[1] .

﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾[2] .

وتارة تكون معرفة كقوله : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾[3] .

ولذلك يجب تكرارها إذا وليها نعت نحو : ﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ ﴾[5] .

فإن قيل : لَمَ لم تكررها وقد أوجبوا تكرارها في الصفات ؟

وجوابه أنه من الكلام المحمول على المعنى ، والتقدير : لا تثير الأرض ، ولا ساقية للحرث ، أي لا تثير ولا تسقى .

وقال الراغب : هي في هذه الحالة تدخل في المتضادّين ، ويراد بها إثبات الأمرين بهما جميعاً ، نحو : زيد ليس بمقيم ولا ظاعن ، أي تارة يكون كذا ، وتارة يكون كذا . وقد يراد إثبات حالة بينهما ؛ نحو : زيد ليس بأبيض ولا أسود .

ومنها قوله تعالى : ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[6] .

قيل : معناه أنها شرقية وغربية .

---

(١) سورة : الصافات . آية : ٤٧ .
(٢) سورة : إبراهيم . آية : ٣١ .
(٣) سورة : يسٓ . آية : ٤٠ .
(٤) سورة : النور . آية : ٣٥ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٧١ .
(٦) سورة : النور . آية : ٣٥ .

وقيل : معناه مصونة عن الإفراط والتفريط .

وأما الداخلة على الأفعال : فتارة تكون لنفي الأفعال المستقبلة ، كقوله تعالى :

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾[1] ؛ لأنه جزاء ، فلا يكون إلا مستقبلاً .

ومثله : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ﴾[2] .

وقد ينفَى المضارع مراداً به نفيُ الدوام ، كقوله تعالى :

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[3] .

وقد يكون للحال ، كقوله :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[4] .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ ﴾[5] .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[6] .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[7] .

وقوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ ﴾[8] . يصحّ أن تكون في موضع الحال ، أي ما لكم غير مقاتلين .

وقيل : يُنفى بها الحاضر على التشبيه بـ« ما » ، كقولك في جواب من قال : « زيد يكتب الآن » : لا يكتب .

---

(١) سورة : فاطر . آية : ١٤ .
(٢) سورة : الحشر . آية : ١٢ .
(٣) سورة : سبإ . آية : ٣ .
(٤) سورة : القيامة . آية : ١ .
(٥) سورة : المعارج . آية : ٤٠ .
(٦) سورة : الواقعة . آية : ٧٥ .
(٧) سورة : النساء . آية : ٦٥ .
(٨) سورة : النساء . آية : ٧٥ .

والنفي بها يتناول فعلَ المتكلم ؛ نحو : لا أخرج اليوم ولا أسافر غداً . ومنه قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾[1] .

وفعل المخاطب ، كقولك : إنك لا تزورنا ، ومنه قوله تعالى :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾[2] .

﴿ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾[3] .

وتدخل على الماضي في القَسَم والدعاء ، نحو : والله لا صلّيت ، ونحو : لَا ضَاقَ صَدْرُكَ .

وفي غيرها نحو : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾[4] .

والأكثر تكرارها ، وقد جاءت غير مكرّرة في قوله تعالى :

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾[5] .

قال الزمخشريّ : لكنّها مكررة في المعنى ؛ لأن المعنى : لا فكّ رقبة ، ولا أطعم مسكيناً ، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك ؟ وقيل : إنه دعاء ، أي أنه يستحق أن يُدْعَى عليه بأن يفعل خيراً .

وقد يراد الدعاء في المستقبل والماضي ، كقولك : لا فضّ الله فاك . وقوله : « لا يَبْعَدَنْ قومي » .

الثانية : أن تكون للنهي : ينهى بها الحاضر والغائب ، نحو : لا تقم ولا يقم . وقال تعالى :

﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[6] .

---

(١) سورة : الشورى . آية : ٢٣ .
(٢) سورة : الأعلى . آية : ٦ .
(٣) سورة : الرحمٰن . آية : ٣٣ .
(٤) سورة : القيامة . آية : ٣١ .
(٥) سورة : البلد . آية : ١١ .
(٦) سورة : الممتحنة . آية : ١ .

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ ﴾[٢] .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾[٣] .

﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾[٤] .

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾[٥] .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ ﴾[٦] .

﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ ﴾[٧] .

وتخلِّص المضارعَ للاستقبال ، نحو : ﴿ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾[٨] .

وترد للدعاء ، نحو : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[٩] .

ولذلك قال بعضهم : « لا الطلبية » ليشمل النهي وغيره .

وقد تحتمل النفيَ والنهيَ ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[١٠] .

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ ﴾[١١] .

الثالثة : أن تكون جوابيّة ، أي : ردّ في الجواب ، مناقض لـ « نعم » أو بلى ، فإذا قال مقرّراً : ألم أحسن إليك ؟ قلت : لا ، أو بلى ، وإذا قال مستفهماً : هل زيد عندك ؟ قلت : لا أو نعم .

قال تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[١٢] .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ٢٨ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٢٣ - ٢٤ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ١٨٨ .
(٤) سورة : الحجرات . آية : ١١ .
(٥) سورة : الحجرات . آية : ١١ .
(٦) سورة : الأعراف . آية : ٢٧ .
(٧) سورة : النمل . آية : ١٨ .
(٨) سورة : القصص . آية : ٧ .
(٩) سورة : البقرة . آية : ٢٧٦ .
(١٠) سورة : هود . آية : ٢ .
(١١) سورة : النساء . آية : ٧٥ .
(١٢) سورة : الأعراف . آية : ١٧٢ .

﴿ فَهَلْ وَجَدْتُم مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾[1].

الرابعة : **أن تكـون بمعنى « لم »** : ولذلـك اختصّت بالـدخول على الماضي ، نحو :

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾[2] ، أي : لم يصدق ولم يصلِّ.

ومثله : ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾[3] .

الخامسة : **أن تكون عاطفة تُشْرِك ما بعدها في إعراب ما قبلها ، وتعطف بعد الإيجاب** ، نحو : يقوم زيد لا عمرو . وبعد الأمر ، نحو اضرب زيداً لا عمراً ، وتنفِي عن الثاني ما ثبت للأول ، نحو : خرج زيد لا بكر .

فإن قلت : ما قام زيد ولا بكر ، فالعطف للواو دونها ، لأنها أمّ حروف العطف .

السادسة : **أن تكون زائدة ، في مواضع** :

الأول : بعد حرف العطف المتقدّم عليه النفي أو النهي ، فتجيء مؤكدة له ، كقولك : ما جاءني زيد ولا عمرو ، وقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾[4] .

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ﴾[6] .

قال أبو عبيدة : وقيل : إنما دخلت هنا مزيلة لتوهم أن « الضالين » هم « المغضـوب عليهم » ، والعرب تنعت بـالواو ، وتقـول : مررت بـالـظريف والعاقل ، فدخلت لإزالة التوهم .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٤٤ .
(٢) سورة : القيامة . آية : ٣١ .
(٣) سورة : البلد . آية : ١١ .
(٤) سورة : سبإ . آية : ٣٧ .
(٥) سورة : المائدة . آية : ١٠٣ .
(٦) سورة : الفاتحة . آية : ٦ .

وقيل : لئلا يتوهم عطف « الضالين » على « الذين » .

ومثال النهي قوله تعالى : ﴿ لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَائِدَ ﴾(1) ، فـ « لا » زائدة ، وليست بعاطفة ؛ لأنها إنما يعطف بها في غير النهي ، وإنما دخلت هنا لنفي احتمال أن يكون المقصود نفيُ مجيئها جميعاً ، تأكيداً للظاهر من اللفظ ، ونفياً للاحتمال الآخر ، فإنه يفيد النفي عن كلّ واحد منها نصاً ، ولو لم يأت بـ « لا » ، لجاز أن يكون النفي عنهما على جهة الاجتماع ولكنه خلاف الظاهر ؛ فلذلك كان القول ببقاء الزيادة أوْلى ، لبقاء الكلام بإثباتها على حالةٍ عند عدمها ، وإن كانت دلالته عند مجيئها أقوى .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾(2) .

فمن قال : المراد أن الحسنة لا تساوي السيئة ، فـ « لا » عنده زائدة ، ومن قال : إن جنس الحسنة لا يستوي إفراده ، وجنس السيئة لا يستوي إفْراده ـ وهو الظاهر من سياق الآية ـ فليست زائدة ، والواو عاطفة جملة على جملة ، وقد سبق فيها مزيد كلام في بحث الزيادة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ . . . ﴾(3) الآية ، فالأولى والثانية غير زائدة ، والثالثة والرابعة والخامسة زوائد .

وقال ابنُ الشَّجري : قد تجيء مؤكّدة للنفي في غير موضعها الذي تستحقه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَلَا ٱلْمُسِيءُ ﴾(4) ، لأنك لا تقول : ما يستوي زيد ولا عمرو ، ولا تقول : ما يستوي زيد ، فتقتصر على واحد .

ومثله : ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ . وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾(5) .

---

(1) سورة : المائدة . آية : 2 .
(2) سورة : فصلت . آية : 34 .
(3) سورة : غافر . آية : 58 .
(4) سورة: غافر. آية: 58.
(5) سورة: غافر. آية: 20 ـ 21 .

﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[1] .

وقال غيره : « لا » ها هنا صلة ؛ لأن المساواة لا تكون إلا بين شيئين ، فالمعنى : ولا الظلمات والنور ، حتى تقع المساواة بين شيئين ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ ﴾[2] .

ولو قلت : ما يستوي زيد ولا عمرو لم يجز إلا على زيادة « لا » .

الثاني : بعد « أن » المصدرية الناصبة للفعل المضارع ، كقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[3] .

وقيل : إنما زيدت توكيداً للنفي المعنوي الذي تضمنه : ﴿ مَنَعَكَ ﴾ ، بدليل الآية الأخرى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾[4] .

وقال ابن السيِّد : إنما دخلت لما يقتضيه معنى المنع لا يحتمل حقيقة اللفظ ؛ لأنّ المانعَ من الشيء بأمر الممنوع ، بألّا يفعل ، مهما كان المنع في تأويل الأمر بترك الفعل ، والحمل على تركه أجراه مجراها .

ومن هنا قوله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ ﴾[5] أي : لَئِن لَمْ ، لأن المعنى يتم بذلك .

وقيل : ليست زائدة والمعنى عليها .

وهذا كما تكون محذوفة لفظاً مرادة معنى ، كقوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[6] ، المعنى : ألّا تضلوا ؛ لأن البيان إنما يقع لأجل ألّا تضلوا .

وقيل : على حذف مضاف ، أي كراهة أن تضلوا .

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ٩٥ .
(٢) سورة : غافر . آية : ٥٨ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٢ .
(٤) سورة : صٓ . آية : ٧٥ .
(٥) سورة : الحديد . آية : ٢٩ .
(٦) سورة : النساء . آية : ١٧٦ .

وأما السِّيرافيّ فجعلها على بابها ، حيث جاءت ، زعم أن الإنسان إذا فعل شيئاً لأمرٍ ما ، قد يكون فعله لضدّه ، فإذا قلت : جئت لقيام زيد ، فإن المعنى أنّ المجيء وقع لأجل القيام ، وهل هو لأن يقع أو لئلا يقع ؟ محتمَل ، فمن جاء للقيام ، فقد جاء لعدم القيام ، ومن جاء لعدم القيام فقد جاء للقيام ؛ برهان ذلك أنّك إذا نصصت على مقصودك ، فقلت : جئت لأن يقع ، أو أردت أن يقع ، فقد جئت لعدم القيام ، أي لأن يقع عدم القيام ، وهو ـ أعني عدم الوقوع ـ طلب وقوعه .

وإن قلت : وقصدي ألاّ يقع القيام ، ولهذا جئت ، فقد جئت لأن يقع عدم القيام ، فيتصور أن تقول : جئت للقيام ، وتعني به عدم القيام .

وكذا قوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[1] أي : يبين الضلال ، أي : لأجل الضلال يقع البيان : هل هو لوقوعه أو عدمه ؟ المعنى : يبين ذلك .

وكذلك قوله تعالى : ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ ﴾[2] أي : فعل الله هذا لعدم علمهم : هل وقع أم لا ؟ وإذا علموا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله ، يبين لهم أنهم لا يعلمون ، فقوله : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ ﴾ باقٍ على معناه ، ليس فيه زيادة .

الثالث : قبل قَسَم ، كقوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[3]، المعنى : أقسم ، بدليل قراءة ابن كثير : ﴿ لأُقْسِم ﴾ وهي قراءة قويمة لا يضعفها عدم نون التوكيد مع اللام ؛ لأن المراد بأقسم فعل الحال ، ولا تلزم النون مع اللام .

وقيل إنها غير زائدة ، بل هي نافية .

وقيل : على بابها ، ونفي بها كلاماً تقدم منهم ، كأنه قال : ليس الأمر كما قلتم من إنكار القيامة ، فـ ﴿ لَا أُقْسِمُ ﴾ جواب لما حكي من جَحْدهم

---

(١) سورة: النساء. آية: ١٧٦ .

(٢) سورة: الحديد. آية: ٢٩ .

(٣) سورة: القيامة. آية: ١ .

البعث ، كما كان قوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[1] جواباً لقوله : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[2] ، لأن القرآن يجري مجرى السورة الواحدة .

وهذا أولى من دعوى الزيادة ، لأنها تقتضي الإلغاء ، وكونها صدر الكلام يقتضي الاعتناء بها ، وهما متنافيان .

قال ابن الشجري : وليست « لا » في قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ ﴾[4] .

ونحوه بمنزلتها في قوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[5] ، كما زعم بعضهم ؛ لأنها ليست في أول السورة لمجيئها بعد الفاء ، والفاء عاطفة كلمة على كلمة ، تخرجها عن كونها بمنزلتها في : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[6] ، فهي إذن زائدة للتوكيد .

وأجاز الخارْزنجي في : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[7] ، كون « لا » فيه بمعنى الاستثناء ، فحذفت الهمزة وبقيت « لا » .

وجعل الزمخشري « لا » في قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[8] ، مزيدة لتأكيد معنى القسم ، كما زيدت في : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ ﴾ ، لتأكيد وجوب العلم ، و﴿لا يؤمنون ﴾ جواب القسم ، ثم قال :

إِن قلت : هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر « لا » في ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟

وأجابه بأنه يمنع من ذلك استواء النفي والإثبات فيه ، وذلك قوله : ﴿ فَلَا

---

(١) سورة : القلم . آية : ٢ .
(٢) سورة : الحجر . آية : ٦ .
(٣) سورة : الواقعة . آية : ٧٥ .
(٤) سورة : المعارج . آية : ٤٠ .
(٥) سورة : القيامة . آية : ١ .
(٦) سورة : القيامة . آية : ١ .
(٧) سورة : القيامة . آية : ١ .
(٨) سورة : النساء . آية : ٦٥ .

أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[1] . انتهى .

وقد يقال : هب أنه لا يتأتى في آية الواقعة ، فما المانع من تأتيه في النساء ؟ إلا أن يقال : استقر بآية الواقعة أنها تزاد لتأكيد معنى القَسَم فقط ، ولم يثبت زيادتها متظاهرة لها في الجواب .

السابعة : تكون إسماً في قول الكوفيين ، أطلق بعضهم نقله عنهم .

وقيل : إن ما قالوه ، إذا دخلت على نكرة ، وكان حرف الجرّ داخلاً عليها ، نحو غضبت من لا شيء ، وجئت بلا مال ، وجعلوها بمنزلة « غير » .

وكلام ابن الحاجب يقتضي أنه أعمّ من ذلك ، فإنه قال : جعلوا « لا » بمعنى « غير » لأنه يتعذر فيها الإعراب ، فوجب أن يكون إعرابها على ما هو من تتمتها ، وهو ما بعدها ، كقولك : جاءني رجل لا عالم ولا عاقل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾[2] .

﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[4] .

٥٨ ـ لات

قال سيبويه : « لات » مشبهة بـ « ليس » في بعض المواضع ، ولم تتمكّن تمكّنها ، ولم يستعملوها إلا مضمراً فيها ؛ لأنها كـ « ليس » في المخاطبة ، والإخبار عن غائب ، ألا ترى أنك تقول : ليست وليسوا ، وعبد الله ليس ذاهباً ، فتبنى عليها ، ولات فيها ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[5] ، أي ليس حين مهرب .

(١) سورة : الحاقة . آية : ٣٨ ـ ٤٠ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٦٨ .
(٣) سورة : الواقعة . آية : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٤) سورة : الواقعة . آية : ٣٣ .
(٥) سورة : صٓ . آية : ٣ .

وكان بعضهم يرفع « حين » لأنها عنده بمنزلة « ليس » والنصب بها الوجه .

٥٩ ـ لا جَرَم

جاءت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بأنّ واسمها ، ولم يجيء بعدها فعل .

الأول : في هود[١] ، وثلاثة في النحل[٢] ، والخامس في غافر[٣] ، وفيه فسرها الزمخشري .

وذكر اللغويون والمفسرون في معناها أقوالاً :

أحدها : أنّ « لا » نافية رداً للكلام المتقدم ، و « جرم » فعل معناه حقّ ، و « أنّ » مع ما في حيزها فاعل ، أي حق ، ووجب بطلان دعوته . وهذا مذهب الخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، فقوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ ، معناه ، أنه ردٌّ على الكفار وتحقيق لخسرانهم .

الثاني : أن « لا » زائدة « وجرم » معناه : كسب ، أي : كسب عملهم الندامة ، وما في خبرها على هذا القول في موضع نصب ، وعلى الأوّل في موضع رفع .

الثالث : لا جرم ، كلمتان ركبتا وصار معناهما حقاً ، وأكثر المفسرين يقتصر على ذلك .

والرابع : أن معناها « لا بدّ » ، وأن الواقعة بعدها في موضع نصب ، بإسقاط الخافض[٤] .

---

(١) سورة : هود . آية : ٢٢ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٢٣ ، ٦٢ ، ١٠٩ .

(٣) سورة : غافر . آية : ٤٣ .

(٤) في النسخة جـ : « بإسقاط حرف الجر » .

٦٠ ـ لو

على خمسة أوجه :

أحدها : الامتناعية : واختلف في حقيقتها .

فقال سيبويه : هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره .

ومعناه كما قال الصفّار : أنّك إذا قلت : لو قام زيد قام عمرو ، دلّت على أن قيام عمرو كان يقع لو وقع من زيد .

وأما أنه إذا امتنع قيام زيد ، هل يمتنع قيام عمرو أو يقع القيام من عمرو بسبب آخر ؟ فمسكوت عنه لم يتعرض له اللفظ .

وقال غيره : هي لتعليق ما امتنع بامتناع غيره .

وقال ابن مالك : هي حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه .

وهي تسمى امتناعية شرطية ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾[١] ، دلّت على أمرين :

أحدهما : أن مشيئة الله لرفعه منتفية ، ورفعه منتف ؛ إذ لا سبب لرفعه إلا المشيئة .

الثاني : استلزام مشيئة الرفع للرفع ؛ إذ المشيئة سبب والرفع مسبّب ؛ وهذا بخلاف : « لو لم يخفِ الله لم يعصه »[٢] ؛ إذ لا يلزم من انتفاء « لم يخفْ » انتفاء « لم يَعْص » حتى يكون خاف وعصى ؛ لأن انتفاء العصيان له سببان : خوف العقاب والإجلال ، وهو أعلى ؛ والمراد أن صهيباً لو قدّر خلوه عن الخوف لم يعص للإجلال ؛ كيف والخوف حاصل !

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ٧٦

(٢) قال الزركشي في « التذكرة » : منهم من يجعله من كلام عمر . وقد كثر السؤال عنه ، ولم أقف له على أصل . وسئل بعض شيوخنا الحفاظ عنه فلم يعرفه . أنظر : التذكرة ص ١٦٩ . والمقاصد الحسنة ١٢٥٩ . وكشف الخفاء ٢٨٣١ . والدرر ٤٢٣ .

ومن فسّرها بالامتناع اختلفوا ، فقال الأكثرون إن الجزاء ـ وهو الثاني ـ امتنع لامتناع الشرط ـ وهو الأول ـ فامتنع الثاني وهو الرفع ، لامتناع الأول ؛ وهو المشيئة .

قال ابن الحاجب وَمَنْ تبعه : كابن جمعة الموصلي ، وابن خطيب زَمَلْكَا : امتنع الأول لامتناع الثاني ، قالوا : لأن امتناعَ الشرط لا يستلزم امتناع الجزاء ، لجواز إقامة شرط آخر مقامه ؛ وأما امتناع الجزاء فيستلزم امتناع الشرط مطلقاً .

وذكروا أن لها مع شرطها وجوابها أربعة أحوال :

أحدها : أن تتجرد من النفي ، نحو : لو جئتني لأكرمتك ؛ وتدلّ حينئذٍ على انتفاء الأمرين ، وسموها حرف وجوب لوجوب ؛ ومنه قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾[1] .

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾[2] .

وقوله : ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3] ، أي : ما هداني بدليل قوله بعده : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ﴾[4] ؛ لأن « بلى » جواب النفي .

وثانيها : إذا اقترن بها حرف النفي ، تسمّى حرف امتناع لامتناع ، نحو : لو لم تكرمني لم أكرمك ، فيقتضي ثبوتهما لأنهما للامتناع ؛ فإذا اقترن بهما حرف نفي ، سُلِب عنها الامتناع ، فحصل الثبوت ؛ لأن سلب السلب إيجاب .

ثالثها : أن يقترن حرف النفي بشرطها دون جوابها ، وهي حرف امتناع لوجوب ، نحو : لو تكرمني أكرمتك ؛ ومعناه عند الجمهور انتفاء الجزاء وثبوت الشرط .

---

(١) سورة : النساء . آية : ٨٢ .
(٢) سورة : التوبة . آية : ٤٦ .
(٣) سورة : الزمر . آية : ٥٧ .
(٤) سورة : الزمر . آية : ٥٩ .

رابعها : عكسه وهو حرف وجوب لامتناع ، نحو : لو جئتني لم أكرمك ، فيقتضي ثبوت الجزاء وانتفاء الشرط ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[1] .

واعلم أن تفسيرَ سيبويه لها مطرد في جميع مواردها ، ألا ترى أن مفهوم الآية[2] عدم نفاد كلمات الله مع فرض شجر الأرض أقلاماً والبحر ممدوداً بسبعة أبحر مداداً ، ولا يلزم ألاّ يقع عدم نفاد الكلمات إذا لم يجعل الشجر أقلاماً والبحر مداداً .

وكذا في « نعم العبد صهيب »[3] فإن مفهومَه أنّ عدم العصيان كان يقع عند عدم الخوف ، ولا يلزم ألاّ يقع عدم العصيان إلا عند الخوف ، وهكذا الباقي .

وأما تفسير من فَسّرها بأنها حرف امتناع لامتناع ، وذكر لها هذه الأحوال الأربعة فل يطّرد ، وذلك لتخلّف هذا المعنى في بعض الموارد ؛ وهو كل موضوع دلّ الدليل فيه على أن الثانيَ ثابت مطلقاً ؛ إذ لو كان منفياً لكان النفاد حاصلاً ، والعقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفد مع كثرة هذه الأمور فَلأنْ تنفد مع قلتها وعدم بعضها أولى .

وكذا قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾[4] .

وكذا قوله : ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا ﴾[5] ، فإن التولِّيَ عند عدم الاسماع أولى .

---

(١) سورة : المائدة . اية : ٨١ .　　(٢) في سورة : لقمان . آية : ٢٧ .

(٣) سبق تخريجه في هامش رقم ١ صفحة ٣٦٤ . وانظر : أسنى المطالب ١٦١٦ . والأسرار المرفوعة ٥٦٤ ـ والغماز على اللماز ٤٢٣ .

(٤) سورة : الأنعام . آية : ١١١ .　　(٥) سورة : الأنفال . آية : ٢٣ .

وأما قوله : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه »[1] فنفيُ العصيان ثابت ، إذ لو انتفى نفي العصيان لزم وجوده ؛ وهو خلاف ما يقتضيه سياق الكلام في المدح .

ولما لم يطّرد لهم هذا التفسير مع اعتقادهم صحته ، اختلفوا في تخريجها على طرق :

الأول : دعوى أنها في مثل هذه المواضع ـ أعني الثابت فيها الثاني دائماً ـ إنما جاءت لمجرد الدلالة على ارتباط الثاني بالأول ، لا للدلالة على الامتناع ، وضابطها ما يقصد به الدلالة على مجرد الارتباط دون امتناع كل موضع قصد فيه ثبوت شيء على كل حال ، فيربط ذلك الشيء بوجود أحد النقيضين لوجوده دائماً ، ثم لا يذكر إذ ذاك إلا النقيض الذي يلزم من وجود ذلك الشيء ، على تقدير وجود النقيض الآخر ، فعدم النَّفاد في الآية الكريمة واقع على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلام ، وكون البحر مدّ من سبعة أبحر ، فعدم النفاد على تقدير انتفاء كون هذين الأمرين أوْلى .

وكذا عدم عصيان صهيب واقع على تقدير عدم خوفه ، فعدم عصيانه على تقدير وجود الخوف أولى . وعلى هذا يتقرر جميع ما يرد عليك من هذا الباب .

والتحقيق : أنها تفيد امتناع الشرط كما سبق من الآيات الشريفة . وتحصّل أنها تدلّ على أمرين :

أحدهما : امتناع شرطها . والآخر : كونه مستلزماً لجوابها ، ولا تدل على امتناع الجواب في نفس الأمر ولا ثبوته ؛ فإذا قلت : لو قام زيد لقام عمرو ، فقيام زيد محكوم بانتفائه فيما مضى ، وبكونه مستلزماً ثبوته لثبوت قيام عمرو ، وهل لقيام عمرو وقت آخر غير اللازم عن قيام ، أو ليس له ؟ لا يعرض في الكلام لذلك ؛ ولكن الأكثر كون الثاني والأول غير واقعين .

---

(١) سبق تخريجه .

وقد سلب الإمام فخر الدين الدلالة على الامتناع مطلقاً ، وجعلها لمجرد الربط ، واحتج بقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا ﴾(١) .

قال : فلو أفادت « لو » انتفاء الشيء لانتفاء غيره ، لزم التناقض ؛ لأن قوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾(٢) ، يقتضي أنه ما علم فيهم خيراً وما أسمعهم ، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا ﴾(٣) ، يفيد أنه تعالى ما أسمعهم ولا تَولوا ؛ لكن عدم التولي خير ، فيلزم أن يكون : وما علم فيهم خيراً .

قال : فعلِمنا أن كلمة « لو » لا تفيد إلا الربط. هذا كلامه .

وقد يمنع قوله : « إن عدم التولي خير » ؛ فإن الخير إنّما هو عدم التولي ، بتقدير حصول الإسماع ، والفرض أن الإسماع لم يحصل ، فلا يكون عدم التولي على الإطلاق خيراً ، بل عدم التولي المرتب على الإسماع .

الطريق الثاني : أنّ قولهم : لامتناع الشيء لامتناع غيره ، معناه أنّ ما كان جواباً لها كان يقع لوقوع الأول ، فلما امتنع الأول امتنع أن يكون الثاني واقعاً لوقوعه ، فإن وقع فلأمرٍ آخر ؛ وذلك لا ينكر فيها ؛ ألا ترى أنّك إذا قلت : لو قام زيد قام عمرو ، دلّ ذلك على امتناع قيام عمرو الذي كان يقع منه لو وقع قيام زيد ، لا على امتناع قيام عمرو لسبب آخر . وكذلك « لو لم يخف الله لم يعصه » ، امتنع عدم العصيان الذي كان سيقع عند عدم الخوف لو وقع ، ولا يلزم امتناع عدم العصيان عند وجود الخوف .

الثالث : أنْ تحمَل « لو » فيما جاء من ذلك ؛ على أنّها محذوفة الجواب فيكون قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾(٤) معناه : لو كان هذا لتكسرت الأشجار ، وفنيَ المداد، ويكون قوله : ﴿ مَا نَفِدَتْ ﴾ مستأنف ، أو على حذف حرف العطف ، أي وما نفدت .

(١) سورة : الأنفال . آية : ٢٣ .
(٢) سورة : الأنفال . آية : ٢٣ .
(٣) سورة : الأنفال . آية : ٢٣ .
(٤) سورة : لقمان . آية : ٢٧ .

الرابع : أن تحمل « لو » في هذه المواضع على التي بمعنى « إن » .

قال أبو العباس : لو أصلها في الكلام أن تدلّ على وقوع الشيء لوقوع غيره ، تقول : لو جئتني لأعطيتك ، ولو كان زيد هناك لضربتك ، ثم تتسع فتصير في معنى « إن » الواقعة للجزاء ، تقول : أنت لا تكرمني ولو أكرمتك ، تريد « وإن » ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ ٱفْتَدَى بِهِ ﴾[2] ، تأويله عند أهل اللغة : لا يقبل أن يتبرر به وهو مقيم على الكفر ، ولا يقبل وإن افتدى به .

فإن قيل : كيف يسوغ هذا في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ، فإن « إن » الشرطية لا يليها إلا الفعل ، « وإنّ » المشددة مع ما عملت فيه اسم ؛ فإذا كانت « لو » بمنزلة « إنّ » فينبغي ألّا تليَها .

أجاب الصفار ، بأنه قد يلي « أنّ » الاسم في اللفظ . فأجاز ذلك في « إن » نفسها ، فأولى أن يجوز في « لو » المحمولة عليها ، وكما جاز ذلك في « لو » قبل خروجها إلى الشرط ؛ مع أنها من الحروف الطالبة للأفعال .

قال : والدليل على أنّ « لو » في الآيتين السابقتين بمعنى « إن » أنّ الماضيَ بعدها في موضع المستقبل ، « ولو » الامتناعية تصرف معنى المستقبل إلى الماضيَ ، فإن المعنى « وإن يفتد به » .

واعلم أن ما ذكرناه من أنها تقتضي امتناع ما يليها أشكل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ ؛ فإنهم لم يقروا بالكذب .

وأجيب بوجهين: أحدهما أنها بمعنى «إن»، والثاني قاله الزمخشري أنه على الفرض؛ أي ولو كنا من أهل الصدق عندك.

---

(١) سورة : يوسف . آية : ١٧ . (٢) سورة : آل عمران . آية : ٩١ .

وقال الزمخشري فيما أفرده على سورة الحجرات : « لو » تدخل على جملتين فعليتين ، تعلق ما بينهما بالأولى تعلّق الجزاء بالشرط ؛ ولما لم تكن مخلّصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها ، وإنما سري فيها معنى الشرط اتفاقاً ؛ من حيث إفادتها في مضموني جملتها ، أنّ الثانيَ امتنع لامتناع الأول ؛ وذلك أن تكسوَ الناس فيقال لك : هلا كسوت زيداً؟ فتقول : لو جاءني زيد لكسوته ؛ افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علماً على التعليق ، فزيدت اللام ، ولم تفتقر إلى مثل ذلك « إنْ » لعملها في فعلها ، وخلوصها للشرط .

ويتعلق بـ « لو » الامتناعية مسائل :

الأولى : إنها كالشرطية في اختصاصها[1] بالفعل ، فلا يليها إلا فعل أو معمول فعل يفسره ظاهر بعده ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾[2] ، حذف الفعل فانفصل الضمير .

وانفردت « لو » بمباشرة « أنّ » ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴾[3] ، وهو كثير .

واختلفي في موضع « أنّ » بعد « لو » .

فقال سيبويه : في موضع رفع بالابتداء ، واختلف عنه في الخبر، فقيل محذوف ، وقيل لايحتاج إليه .

وقال الكوفيون : فاعل بفعل مقدر تقديره : « ولو ثبت أنهم » ، وهو أقيس لبقاء الاختصاص .

الثانية : قال الزمخشري : يجب كون خبر « أنّ » الواقعة بعد « لو » فعلاً ؛ ليكون عوضاً عن الفعل المحذوف .

---

(١) في النسخة ب : « باختصامها » .
(٢) سورة الإسراء : آية ١٠٠ .
(٣) سورة : الحجرات . آية : ٥ .

وقال أبو حيان : هو وهم ، وخطأ فاحش ، قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾[1] .

وكذا رده ابن الحاجب وغيره بالآية ، وقالوا : إنما ذاك في الخبر المشتق ، لا الجامد كالذي في الآية .

وأيّد بعضهم كلام الزمخشري ، بأنه إنما جاء من حيث إن قوله : ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ ﴾[2] ، لمّا التبس بالعطف بقوله : ﴿ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾[3] صار خبر الجملة المعطوفة ، وهو ﴿ يَمُدُّهُ ﴾ كأنه خبر الجملة المعطوف عليها لالتباسها بها .

قال الشيخ في « المعنى » : وقد وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر مشتقاً ، ولم يتنبّه لها الزمخشري ، كما لم يتنبّه لآية لقمان ، ولا ابن الحاجب ، وإلا لمنع ذلك[4] .

قلت : وهذا عجيب ، فإن « لو » في الآية للتمنّي ، والكلام في الامتناعية ، بل أعجب من ذلك كلّه أن مقالة الزمخشري سبقه إليها السيرافي ، وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديماً في شرح « الإيضاح » لابن الخباز ؛ لكن في غير مظنته :

فقال في باب إنّ وإخواتها : قال السِّيرافي : تقول لو أن زيداً أقام لأكرمته ، ولا تجوز : لو أن زيداً حاضر لأكرمته ؛ لأنك لم تلفظ بفعل يسد مسدّ ذلك الفعل .

هذا كلامهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ ﴾[5] ، فأوقع خبرها صفة . ولهم أن يفرقوا بأنّ هذه

---

(١) سورة : لقمان . آية : ٢٧ .

(٢) سورة : لقمان . آية : ٢٧ .

(٣) سورة : لقمان . آية : ٢٧ .

(٤) أنظر : المغني ، لابن هشام ١/ ٢٧٠ .

(٥) سورة : الأحزاب . آية : ٢٠ .

للتمني ، فأجريت مجرى « ليت » كما تقول : ليتهم بادون . انتهى كلامه .

تنبيـــه :

ذكر الزمخشري بعد كلامه السابق في سورة الحجرات سؤالاً ، وهو : ما الفرق بين قولك : لو جاءني زيد لكسوته ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى ﴾(١) وبين قوله : لو زيد جاءني لكسوته » .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾(٢) ، وبين قوله : لو أن زيداً جاءني لسكوته .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾(٣) .

وأجاب بأن القصد في الأولى أن الفعلين ، تعليق أحدهما بصاحبه لا غير ، من غير تعرض لمعنى زائد على التعلق الساذج على الوجه الذي بينته ، وهو المعنيّ في الآية الأولى ؛ لأنّ الغرض نفي أَنْ يَتَّخِذ آلرَّحْمٰن وَلَداً ، وبيان تعاليه عن ذلك ، وليس لأداء هذا الغرض إلا تجديد الفعلين للتعليق ، دون أمر زائد عليه ، وأما في الثاني فقد انضم إلى التعليق بأحد معنيين ؛ إما نفي الشك أو الشبهة ، وأن المذكور الذي هو زيد مكسوّ لا محالة لو وجد منه المجيء ولم يمتنع ، وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾(٤) محتمل المعنيين جميعاً ، أعني : أنهم لا محالة يمسكون ، وأنهم المخصوصون بالإمساك لو ملكوا ، إشارة إلى أن الإلٰه الذي هو مالكها ، وهو الله الذي وسعت رحمته كل شيء لا يمسِك .

فإن قلت : « لو » لا تدخل إلا على فعل ، و « أنتم » ليس بمرفوع بالابتداء ، ولكن بـ « تملك » مضمراً ، وحينئذٍ فلا فرق بين « لو تملكون » وبين « لو أنتم تملكون » لمكان القصد إلى الفعل في الموضعين دون الاسم ؛ وإنما يسوغ هذا الفرق لو ارتفع بالابتداء .

---

(١) سورة : الزمر . آية: ٤ .

(٢) سورة : الإسراء . آية : ١٠٠ .

(٣) سورة : الحجرات . آية : ٥ .

(٤) سورة : الإسراء . آية : ١٠٠ .

قلت : التقدير وإن كان على ذلك ، إلا أنه لمّا كان تمثيلاً لا يتكلم به ، ينزّل الاسم في الظاهر منزلة الشيء تقدم لأنه أهمّ ، بدليل « لو ذات سوار لطمتني » ، في ظهور قصدهم إلى الاسم ، لكنه أهمّ فيما ساقه المثل لأجله .

وكذا قوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾(1)، وإن كان «أحد» مرفوعاً بفعل مضمر في التقدير.

وأما في الثالث، ففيه ما في الثاني مع زيادة التأكيد الذي تعطيه « أنّ » وفيه إشعار بأن زيداً كان حقه أن يجيء ، وأنه بتركه المجيء قد أغفل حظه . فتأمل هذه الفروق ، وقس عليها نظائرَ التراكيب في القرآن العزيز، فإنها لا تخرج عن واحد من الثلاثة .

الثالثة : الأكثر في جوابها المثبت ، اللام المفتوحة ؛ للدلالة على أنّ ما دخلت عليه هو اللازم لما دخلت عليه « لو » ، قال تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(2) .

ففي اللام إشعار بأن الثانية لازمة للأولى .

وقوله : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً ﴾(3) .

ويجوز حذفها : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً ﴾(4) .

الرابعة : يجوز حذف جوابها للعلم به . وللتعظيم ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾(5) .

وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾(6) .

وهو كثير ، سبق في باب الحذف على ما فيه من البحث .

وأما قوله : ﴿ وَلَوْ أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ ﴾(7) فيحتمل أن يكون

---

(1) سورة : التوبة . آية : 6 .
(2) سورة : الأنبياء . آية : 22 .
(3) سورة : الواقعة . آية : 65 .
(4) سورة : الواقعة . آية : 70 .
(5) سورة : هود . آية : 80 .
(6) سورة : الرعد . آية : 31 .
(7) سورة : لقمان . آية : 27 .

جواب « لو » محذوفاً والتقدير لنفدت هذه الأشياء ، وما نفدت كلمات الله ، وأن يكون ما ﴿ نفدت ﴾ هو الجواب مبالغة في نفي النفاد ؛ لأنه إذا كان نفي النفاد لازماً على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاماً والبحر مداداً كان لزومه على تقدير عدمها أوْلى.

وقيل : تقدر هي وجوابها ظاهراً ، كقوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾[1] ، تقديره : ولو كان معه آلهة إذاً لذهب كل إله .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2] ، أي : ولو يكون وخططت ، إذن لارتاب .

الوجه الثاني : من أوجه « لو » أن تكون شرطية :

وعلامتها أن يصلح موضعها « إنْ » المكسورة ، وإنما أقيمت مقامها ؛ لأنّ في كل واحدة منهما معنى الشرط ، وهي مثلها فيليها المستقبل ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾[3] .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا ﴾[4] .

وإن كان ماضياً لفظاً صرفه للاستقبال ، كقوله : ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[5] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[6] .

وقوله : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾[7] .

﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ ﴾[8] ، ونظائره .

---

(١) سورة : المؤمنون . آية : ٩١ .
(٢) سورة : العنكبوت . آية : ٤٨ .
(٣) سورة : الأحزاب . آية : ٥٢ .
(٤) سورة : يسٓ . آية : ٦٦ .
(٥) سورة : التوبة . آية : ٢٣ .
(٦) سورة : يوسف . آية : ١٧ .
(٧) سورة : النساء . آية : ٩ .
(٨) سورة : آل عمران . آية : ٩١ .

قالوا : ولولا أنها بمعنى الشرط لما اقتضت جواباً ؛ لأنه لا بدّ لها من جواب ظاهر أو مضمر .

وقد قال المبرّد في « الكامل » : إن تأويله عند أهل اللغة : لا يقبل منه أن يفتدى به وهو مقيم على الكفر ، ولا يقبل إن افتدي به .

قالوا : وجوابها يكون ماضياً لفظاً كما سبق ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾[(١)] .

ومعنىً ؛ ويكون باللام غالباً ، نحو : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾[(٢)] .

وقد يحذف نحو : ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً ﴾[(٣)] .

ولا يحذف غالباً إلا في صلة ، نحو : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا . . . ﴾[(٤)] ، الآية .

الثالث : « لو » المصدرية :

وعلامتها أن يصلح موضعها « أن » المفتوحة ، كقوله تعالى :

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[(٥)] .

وقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾[(٦)] .

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ ﴾[(٧)] .

﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي ﴾[(٨)] ، أي : الافتداء .

ولم يذكر الجمهور مصدرية « لو » وتأولوا الآيات الشريفة على حذف

---

(١) سورة : فاطر . آية : ١٤ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .

(٣) سورة : الواقعة . آية : ٧٠ .

(٤) سورة : النساء . آية : ٩ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٩٦ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ١٠٩ .

(٧) سورة : النساء . آية : ١٠٢ .

(٨) سورة : المعارج . آية : ١١ .

مفعول « يودّ » ، وحذف جواب « لو » ، أي يود أحدهم طول العمر لو يعمر ألف سنة ليسرّ بذلك .

وأشكل قول الأولين بدخولها على « أنّ » المصدرية ، في نحو قوله تعالى : ﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ ﴾(١)، والحرف المصدري لا يدخل على مثله !

وأجيب : بأنها إنما دخلت على فعل محذوف مقدر تقديره « يود لو ثبت أنّ بينها » فانتفت مباشرة الحرف المصدريّ لمثله .

وأورد ابن مالك السؤال في : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾(٢) وأجاب بهذا ، وبأن هذا من باب توكيد اللفظ بمرادفه ، نحو : ﴿ فِجَاجاً سُبُلاً ﴾(٣) .

وفي كلا الوجهين نظر ، أما الأول وهو دخول « لو » على « ثبت » مقدراً ، إنما هو مذهب المبرد ، وهو لا يراه فكيف يقرره في الجواب ! ؟

وأما الثاني ، فليست هنا مصدرية بل للتمني كما سيأتي . ولو سلم فإنه يلزم ذلك وصل « لو » بجملة اسمية مؤكدة بـ « أن » . وقد نص ابن مالك وغيره ؛ على أنّ صلتها لا بد أن تكون فعلية بماض أو مضارع .

قال ابن مالك : وأكثر وقوع هذه بعد « ود » أو « يودّ » أو ما في معناهما من مفهم تمنّ . وبهذا يعلم غلط من عَدّها حرف تمن ، لو صح ذلك لم يجمع بينها وبين فعل تمن ، كما لا يجمع بين ليت وفعل تمن .

الرابع : « لو » التي للتمني :

وعلامتها أن يصح موضعها « ليت » ، نحو : لو تأتينا فتحدثَنا ، كما تقول : ليتك تأتينا فتحدثَنا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾(٤) .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ٣٠ .

(٢) سورة : الشعراء . آية : ١٠٢ .

(٣) سورة : الأنبياء . آية : ٣١ .

(٤) سورة : الشعراء . آية : ١٠٢ .

ولهذا نصب ، فيكون في جوابها ؛ لأنها أفهمت التمني ، كما انتصب ﴿ فَأَفُوزَ ﴾[1] ، في جواب « ليت » : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ﴾[2] .

وذكر بعضهم قسماً آخر وهو التعليل كقوله : ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾[3] .

٦١ - لولا

مركّبة عند سيبويه من « لو » و « لا » ، حكاه الصّفّار .

والصحيح : أنها بسيطة .

ومن التركيب ما يغير ، ومنه ما لا يغيّر .

فمما لا يغيّر « لولا » .

ومما يتغير بالتركيب « حبذا » صارت للمدح والثناء ، وانفصل « ذا » عن أن يكون مثنى أو مجموعاً أو مؤنثاً ، وصار بلفظ واحد لهذه الأشياء ؛ وكذلك « هَلّا » زال عنها الاستفهام جملة .

ثم هي على أربعة أضرب :

الأول : حرف امتناع لوجوب : وبعضهم يقول : لوجود ، بالدال .

قيل : ويلزم على عبارة سيبويه في « لو » أن تقول حرف لما سيقع ، لانتفاء ما قبله .

وقال صاحب « رصف المباني »[4] : الصحيح أن تفسيرها بحسب الجُمَل

---

(١) سورة : النساء . آية : ٧٣ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٧٣ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٣٥ .

(٤) « رصف المباني في حروف المعاني » لأحمد بن عبد النور المالقي ، كما أورده في كشف الظنون .

التي تدخل عليها ؛ فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين ، فهي حرف امتناع لوجوب ؛ نحو : لولا زيد لأحسنت إليك ؛ فالإحسان امتنع لوجود زيد ، وإن كانتا منفيتيْن ، فحرف وجود لامتناع ، نحو : لولا عُدْم زيد لأحسنت إليك . انتهى .

ويلزم في خبرها الحذف ، ويستغنى بجوابها عن الخَبَر . والأكثر في جوابها المثبت اللام ، نحو :

﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٢) .

وقد يحذف للعلم به ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾(٣) .

وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾(٤) ، لهمّ بها ، لكنه امتنع همّه بها لوجود رؤية بُرهان ربه ، فلم يحصل منه همّ البتة ، كقولك : لولا زيد لأكرمتك ؛ المعنى : أنّ الإكرام ممتنع لوجود زيد ؛ وبه يتخلّص من الإشكال الذي يورد : وهو كيف يليق به الهم ! ؟

وأما جوابها إذا كان منفياً فجاء القرآن بالحذف ، نحو :

﴿ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً ﴾(٥) .

وهو يردّ قولَ ابن عصفور أنّ المنفيّ بـ « ما » الأحسن باللام .

الثاني : التحضيض : فتَختصّ بالمضارع ، نحو :

﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة : سبأ . آية : ٣١ .
(٢) سورة : الصافات . آية : ١٤٣ - ١٤٤ .
(٣) سورة : النور . آية : ١٠ .
(٤) سورة : يوسف . آية : ٢٤ .
(٥) سورة : النور . آية : ٢١ .
(٦) سورة : النمل . آية : ٤٦ .

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾[1] .

﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[2] .

والتوبيخ والتنديم ، فتختص بالماضي ، نحو :

﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾[3] .

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[4] .

وفي كلّ من القسمين تختص بالفعل ؛ لأن التخصيص والتوبيخ لا يردان إلا على الفعل ؛ هذا هو الأصل .

وقد جوّزوا فيها إذا وقع الماضي بعدها أن يكون تحضيضاً أيضاً ؛ وهو حينئذٍ يكون قرينة صارفة للماضي عن المضي إلى الاستقبال ، فقالوا في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾[5] ، يجوز بقاء « نفر » على معناه في المضيّ ، فيكون « لولا » توبيخاً . ويجوز أن يراد به الاستقبال ، فيكون تحضيضاً .

قالوا : وقد تفصل من الفعل بإذ وإذا معمولين له ، وبجملة شرطية معترضة .

فالأول : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ﴾[6] .

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[7] .

والثاني والثالث : نحو : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[8] .

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٦٣ .
(٢) سورة : المنافقون . آية : ١٠ .
(٣) سورة : النور . آية : ١٣ .
(٤) سورة : الأنعام . آية : ٤٣ .
(٥) سورة : التوبة . آية : ١٢٢ .
(٦) سورة : النور . آية : ١٦ .
(٧) سورة : الأنعام . آية : ٤٣ .
(٨) سورة : الواقعة . آية : ٨٣ ، ٨٧ .

المعنى : فهلا ترجعون للروح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم مؤمنين ؛ وحالتكم أنّكم شاهدون ذلك ، ونحن أقربُ إلى المحتضَر منكم بعلمنا ، أو بالملائكة ، ولكنكم لا تشاهدون ذلك . ولولا الثانية تكرار الأولى .

الثالث : للاستفهام بمعنى هَلْ ، نحو :

﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[١] .

﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾[٢] .

قاله الهرويّ : ولم يذكره الجمهور ؛ والظاهر أن الأولى للعرض ، والثانية مثل : ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾[٣] .

الرابع : للنفي بمعنى « لم » ، نحو قوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ﴾[٤] ، أي لم تكن .

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[٥] ، أي : فلم يكن . ذكره ابن فارس في كتاب « فقه العربية » ، والهروي في « الأزهية » .

والظاهر أنّ المراد « فهلا » ، ويؤيده أنها في مصحف أُبيّ ﴿ فَهَلَّا كَانَتْ قَرْيَةٌ ﴾ ، نعم ، يلزم من ذلك الذي ذكراه معنى المضيّ ، لأن اقتران التوبيخ بالماضي يشعر بانتفائه .

وقال ابن الشجريّ : هذا يخالف أصحّ الإعرابين ؛ لأن المستثنى بعد النفي يقوى فيه البدل ، ويجوز فيه النصب ، ولم يأت في الآيتين إلّا النصب ، أي فدلّ على أن الكلام موجب ، وجوابه ما ذكرنا ، من أنّ فيه معنى النفي .

وجعل ابن فارس منه : ﴿ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾[٦] ، المعنى : اتخذوا من دون الله آلهة ولا يأتون عليه بسلطان .

---

(١) سورة : المنافقون . آية : ١٠ .
(٢) سورة : الأنعام . آية : ٨ .
(٣) سورة : النور . آية : ١٣ .
(٤) سورة : يونس . آية : ٩٨ .
(٥) سورة : هود . آية : ١١٦ .
(٦) سورة : الكهف . آية : ١٥ .

ونقل ابن بُرّجان في تفسيره في أواخر سورة هود ، عن الخليل ، أن جميع ما في القرآن من « لولا » فهي بمعنى « هلّا » إلا قوله في سورة الصافّات : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ ﴾(1) ؛ لأن جوابها بخلاف غيرها .

وفيه نظر لما سبق .

٦٢ ـ لوما

هي قريب من « لولا » ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ ﴾(2) .

قال ابن فارس : هي بمعنى « هلّا »(3) .

٦٣ ـ لم

نفي للمضارع وقلبه ماضياً ، وتجزمه ، نحو : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾(4) .

ومن العرب من ينصب بها ، وعليه قراءة : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحَ ﴾(5) ، بفتح الحاء ؛ وخرجت على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفة ، ففتح لها ما قبلها ، ثم حذفت ونويت .

٦٤ ـ لمّا

على ثلاثة أوجه :

١ ـ أحدها : تدخل على المضارع ، فتجزمه وتقلبه ماضياً ، كـ « لم » ،

---

(1) سورة : الصافات . آية : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(2) سورة : الحجر . آية : ٧ .

(3) أنظر : فقه اللغة ، لابن فارس ١٣٥ .

(4) سورة : الإخلاص . آية : ٣ .

(5) سورة : الشرح . آية : ١ .

نحـو : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّـذِينَ جَاهَـدُوا مِنْكُمْ ﴾[١] ، ﴿ بَلْ لَمَّـا يَـذُوقُـوا عَذَابِ ﴾[٢] ، أي لم يذوقوه : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[٣] .

لكنها تفارق « لم » من جهات :

أحدها : أنّ « لم » لنفي فعل، و « لما » لنفي « قد فعل » ، فالمنفي بها آكد .

قال الزمخشري في « الفائق » : لمّا مركبة من « لم » و « ما » هي نقيضة « قد » ، وتنفي ما تثبته من الخبر المنتظر .

وهذا أخذه من أبي الفتح ، فإنه قال : أصل « لمّا » « لم » زيدت عليها « ما » ، فصارت نفياً ، تقول : قام زيد ، فيقول المجيب بالنفي : لم يقم ؛ فإن قلت : قد قام ، قلت : لما يقمْ ؛ لما زاد في الإثبات « قد » زاد في النفي « ما » ، إلا أنهم لما ركبوا « لم » مع « ما » حدث لها معنى ولفظ ، أما المعنى فإنها صارت في بعض المواضع ظرفاً ، فقالوا : لما قمت قام زيد ، أي وقت قيامك قام زيد . وأما اللفظ ، فلأنه يجوز الوقف عليها دون مجزومها ، نحو جئتك ولمّا . أي ولما تجيء . انتهى .

ويخرج من كلامه ثلاثة فروق : ما ذكرناه أولاً ، وكونها قد تقع إسماً هو ظرف ، وأنه يجوز الوقف عليها دون المنفي ، بخلاف « لم » .

ورابعها : يجيء اتصال منفيِّها بالحال ، والمنفي بلم لا يلزم فيه ذلك ، بل قد يكون منقطعاً ، نحو : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئـاً مَذْكُـوراً ﴾[٤] ، وقد يكـون متصلاً نحـو : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَـائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾[٥] .

وخامسها : أنّ الفعل بعد « لَمّا » يجوز حذفه اختياراً .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٤٢ .
(٢) سورة : صٓ. آية : ٨ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢١٤ .
(٤) سورة : الإنسان. آية : ١ .
(٥) سورة : مريم . آية : ٤ .

سادسها : أنّ « لم » تصاحب أدوات الشرط بخلاف ، « لما » فلا يقال : «إنْ لما يقم » ، وفي التنزيل ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ﴾[1] ، ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا ﴾[2] .

سابعها : أن منفي « لمّا » متوقّع ثبوته ، بخلاف منفيّ « لم » ، ألا ترى أن معنى : ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[3] ؛ أنهم لم يذوقوه إلى الآن ، وأنّ ذوقهم له متوقَّع .

قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[4] : ما في « لمّا » من معنى التوقع دالّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد[5] .

وأنكر الشيخ أبو حيان دلالة « لما » على التوقع ، فكيف يتوهم أنه يقع بعد .

وأجاب بعضهم بأن « لما » ليست لنفي المتوقّع حيث يُسْتَبعد توقعه ؛ وإنما هي لنفي الفعل المتوقّع ، كما أن « قد » لإثبات الفعل المتوقع ؛ وهذا معنى قول النحويين : إنها موافقة لـ « قد فعل » : أي يجاب بها في النفي حيث يجاب بـ « قد » في الإثبات ؛ ولهذا قال ابن السّراج : جاءت « لَمّا » ، بعد فعل ، يقول القائل : « لما يفعل » ، فتقول : قد فعل .

٢ ـ **الوجه الثاني** : أن تدخل على ماض ؛ فهي حرف وجود لوجود ، أو وجوب لوجوب ، فيقتضي وقوع الأمرين جميعاً ؛ عكس « لو » نحو : لما جاءني زيد أكرمته .

وقال ابن السّراج ، والفارسي : ظرف بمعنى « حين » .

وردّه ابن عصفور بقوله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾[6] قال :

---

(١) سورة : المائدة . آية : ٦٧ .
(٢) سورة : المائدة . آية : ٧٣ .
(٣) سورة : صٓ. آية : ٨ .
(٤) سورة : الحجرات . آية : ١٤ .
(٥) أنظر : الكشاف ، للزمخشري ٤/ ٢٩٩ .
(٦) سورة : الكهف . آية : ٥٩ .

لأن الهلاك لم يقع حين ظلموا ؛ بل كان بَيْنَ الظلم والهلاك إرسال الرسل وإنذارهم إياهم ؛ وبعد ذلك وقع الإهلاك ، فليست بمعنى « حين » ؛ وهذا الردّ لا يحسن إلّا إذا قدرنا الإهلاك أول ما ابتدأ الظلم ؛ وليس كذلك ، بل قوله : ﴿ ظلموا ﴾ في معنى « استداموا الظلم » أي وقع الإهلاك لهم حين ظلمهم ؛ أي في حين استدامتهم الظلم ، وهم متلبِّسون به.

ومن أمثلتها قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾(١).

وقوله : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾(٢).

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً ﴾(٣).

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا ﴾(٤).

﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾(٥).

وأما جوابها فقد يجيء ظاهراً كما ذكرنا ، قد يكون جملة إسمية مقرونة بالفاء ؛ نحو :

﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾(٦).

أو مقرونة بما النافية ، كقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ ﴾(٧).

وإذ المفاجئة، نحو : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾(٨).

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾(٩).

---

(١) سورة : الإسراء . آية : ٦٧ .
(٢) سورة : القصص . آية : ٢٣ .
(٣) سورة : هود . آية : ٧٧ .
(٤) سورة : يونس . آية : ٩٨ .
(٥) سورة : الأنبياء . آية : ١٢ .
(٦) سورة : لقمان . آية : ٣٢ .
(٧) سورة : فاطر . آية : ٤٢ .
(٨) سورة : الأنبياء . آية : ١٢ .
(٩) سورة : الزخرف . آية : ٥٧ .

﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[1].

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾[2].

وبهذا رُدّ على من زعم أنها ظرف بمعنى « حين » فإن « ما » النافية « وإذا » الفجائية لا يعمل ما بعدهما فيما قبلهما ؛ فانتفى أن يكون ظرفاً.

وقد يكون مضارعاً، كقوله :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَى يُجَادِلُنَا ﴾[3] وهو بمعنى الماضي، أي : جادلنا.

وقد يحذف، كقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾[4].

قال بعضهم : التقدير انقسموا قسمين، منهم مقتصد، ومنهم غير ذلك، لكن الحق أن ﴿ مقتصد ﴾ هو الجواب ؛ هو الذي ذكر ابن مالك، ونوزع في ذلك من جهة أن خبرها مقرون بالفاء يحتاج لدليل.

وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾[5] ؛ جوابه محذوف ؛ أي لمنعتكم.

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾[6].

قيل جواب « لما » الأولى « لما » الثانية ؛ وجوابها ورد باقترانه.

وقيل : ﴿ كَفروا به ﴾ جواب لهما ؛ لأن الثانية تكرير للأول.

وقيل : جواب الأولى محذوف، أي أنكروه.

واختلف في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾[7].

---

(١) سورة : العنكبوت. آية : ٦٥.

(٢) سورة : الزخرف. آية : ٥٠.

(٣) سورة : هود. آية : ٧٤.

(٤) سورة : لقمان. آية : ٣٢.

(٥) سورة : هود. آية : ٨٠.

(٦) سورة : البقرة. آية : ٨٩.

(٧) سورة : البقرة. آية : ١٧.

فقيل : الجواب ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ ﴾[1].

وقيل : محذوف استطالة للكلام مع أمن اللبس ، أي : حمدت .

وكذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ ﴾[2] .

قيل الجواب قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾[3] ، على جعل الواو زائدة .

وقيل : الجواب محذوف ، أي أنجيناه وحفظناه .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَى يُجَادِلُنَا ﴾[4].

قيل : الجواب ﴿ وجاءته ﴾ على زيادة الواو .

وقيل : الجواب محذوف ، أي : أخذ يجادلنا .

وقيل : ﴿ يجادلنا ﴾ مؤول بـ « جادلنا » .

وكذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[5] ، أي : أجزل له الثواب وتلّه .

وأما قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[6] ، فما تقدم من قوله : ﴿ وجعلنا ﴾ يسدّ مسدّ الجواب ، لا أنه الجواب ؛ لأن الجواب لا يقدّم عليها .

وكذا قوله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾[7] ، فما تقدم من قوله : ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ ، يسدّ مسدّ الجواب ، لا أنّه الجواب ، لأن الجواب لا يقدم عليها .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً ﴾[8] ؛ فإنما وقع جوابها

---

(١) سورة : البقرة آيـة : ١٧ .
(٢) سورة : يوسف . آية : ١٥ .
(٣) سورة : يوسف . آية : ١٥ .
(٤) سورة : هود . آية : ٧٤ .
(٥) سورة : الصافات . آية : ١٠٣ .
(٦) سورة : السجدة . آية : ٢٤ .
(٧) سورة : الكهف . آية : ٥٩ .
(٨) سورة : فاطر . آية : ٤٢

بالنفي ؛ لأن التقدير : فلما جاءهم نذير زادهم نفوراً ، أو ازداد نفورهم .

تنبيه :

يختلف المعنى بين تجردها من « أن » ودخولها عليها ؛ وذلك أنّ من شأنها أن تدل على أن الفعل الذي هو ناصبها قد تعلق بعقب الفعل الذي هو خافضته من غير مهلة ؛ وإذا انفتحت « أن » بعدها أكدت هذا المعنى وشددته ، ذكره الزمخشري في كشافه القديم قال : ونراه مبنياً في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً . . . ﴾[1] الآية ، كأنه قال : لما أبصرهم لحقته المساءة ، وضيق الذَّرع في بديهة الأمر وغرته .

٣ ـ **الوجه الثالث** : حرف استثناء ، كقوله تعالى :

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[2] على قراءة تشديد الميم .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[3] .

٦٥ ـ لَمَا
المخفّفة

مركبة من حرفين : اللام وما النافية . وسيبويه يجعل « ما » زائدة ، والفارسي يجعل اللام ؛ وسيأتي في حرف الميم .

٦٦ ـ لن

صيغة مرتجلة للنفي في قول سيبويه ، ومركبة عند الخليل من « لا » و « أن » .

---

(١) سورة : هود . آية : ٧٧ .
(٢) سورة : الطارق . آية : ٤ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ٣٥ .

واعترض بتقديم المفعول عليها ، نحو : زيداً لن أضرب .

وجوابه : يجوز في المركبات ما لا يجوز في البسائط .

وكان ينبغي أن تكون جازمة ، وقد قيل به ؛ إلا أن الأكثر النصب .

وعلى كلّ قول ؛ فهي لنفي الفعل في المستقبل ؛ لأنها في النفي نقيضة السين وسوف وأن في الإثبات ؛ فإذا قلت : سأفعل أو سوف أفعل كان نقيضه « لن أفعل » .

وهي في نفي الاستقبال آكد من « لا » ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾[1] آكد من قوله : ﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾[2] .

وليس معناها النفي على التأبيد ؛ خلافاً لصاحب « الأنموذج » بل إن النفيَ مستمر في المستقبل ؛ إلا أن يطرأ ما يزيله ، فهي لنفي المستقبل « ولم » لنفي الماضي ، و« ما » لنفي الحال .

ومن خواصها أنها تنفي ما قرُب ، ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معناها ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَداً ﴾[3] بحرف « لا » في الموضع الذي اقترن به حرف الشرط بالفعل ، فصار من صيغ العموم يعمّ الأزمنة ، كأنه يقول : متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات . وقيل لهم : تمنوا الموت ، فلا يتمنونه .

وقال في البقرة : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ ﴾[4] ، فقصر من صيغة النفي ، لأن قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾[5] ، وليست « لن » مع « كان » من صيغ العموم ؛ لأن « كان » لا تدخل على حدث ؛ وإنما هي داخلة على المبتدأ والخبر ، عبارة عن قصر الزمان الذي كان فيه ذلك الحدث ؛ كأنه

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٨٠ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٦٠ .
(٣) سورة : الجمعة . آية : ٧ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٩٥ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ٩٥ .

يقول : إن كان قد وجب لكم الدار الآخرة ، فتمنوا الموت ، ثم قال في الجواب : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ ﴾ ، فانتظم معنى الآيتين .

وأما التأبيد فلا يدل على الدّوام ، تقول : زيد يصوم أبداً ، ويصلي أبداً ؛ وبهذا يبطل تعلّق المعتزلة بأن « لن » تدل على امتناع الرؤيـة ؛ ولو نفي بـ « لا » لكان لهم فيه متعلق ؛ إذا لم يخصّ بالكتاب أو بالسنة ، وأما الإدراك الذي نفي بـ « لا » فلا يمنع من الرؤيـة؛ لقول النبي ﷺ : « إنّكم تَرَوْن ربكم » ، ولم يقـل : « تدركـون ربكم » ، والعـرب تنفي المـظنـون بـ « لن » والمشكـوك بـ « لا » .

وممن صرح بأن التأبيد عبارة عن الزمن الطويل لا عن الذي لا ينقطع ابنُ الخشاب . وقد سبق مزيد كلام فيها في فصل التأبيد وأدواته .

قيل : وقد تأتي للدعاء كما أتت « لا » لذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (1) .

ومنعه آخرون ، لأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم ؛ بل إلى المخاطب والغائب ، نحو : يا رب لا عذبت فلاناً ! ونحوه : لا عذب الله عمراً .

٦٧ ـ لكن

للاستدرك مخففة ومثقّلة ؛ وحقيقته رفع مفهوم الكلام السابق ، تقول : ما زيد شجاع ولكنه غير كريم ، فرفعت بـ « لكن » ما أفهمه الوصف بالشجاعة من ثبوت الكرم له ، لكونهما كالمتضايقين ؛ فإن رفعنا ما أفاده منطوق الكلام السابق فذاك استثناءٌ ؛ وموقع الاستدراك بين متنافيين بوجه ما ؛ فلا يجوز وقوعها بين متوافقين ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾(2) ، لكونه جاء في سياق « لو » ، « ولو » تدل على امتناع الشيء

---

(1) سورة : القصص . آية : ١٧ .　　(2) سورة : الأنفال . آية : ٤٣ .

لامتناع غيره ؛ فدل على أن الرؤ ية ممتنعة في المعنى ؛ فلما قيل : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾ علم إثبات ما فهم إثباته أولاً وهو سبب التسليم ؛ وهو نفي الرؤية ، فعلم أن المعنى : ولكن الله ما أراكهم كثيراً ليسلّمكم ، فحذف السبب وأقيم المسبب مقامه .

قال ابن الحاجب : الفرق بين « بل » و« لكن » ؛ وإن اتفاق في أنّ الحكم للثاني ؛ أنّ « لكن » وضعها على مخالفة ما بعدهما لما قبلهما ، ولا يستقيم تقديره إلا مثبَتاً لامتناع تقدير النفي في المفرد ؛ وإذا كان مثبتاً وجب أن يكون ما قبلها نفياً ، كقولك : ما جاءني زيد لكن عمرو ؛ ولو قلت : جاءني زيد لكن عمرو ، لم يجز لما ذكرنا . وأما بَلْ فللإضراب مطلقاً ، موجباً كان الأول أو منفياً .

وإذا ثقّلت فهي من أخوات « إنّ » تنصب الاسم وترفع الخبر ؛ ولا يليها الفعل .

وأما وقوع المرفوع بعدها في قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾(١) ، و« هو » ضمير الرفع ، فجوابه أنها هنا ليست المثقّلة بل هي المخففة ؛ والتقدير : لكن أنا هو الله ربي ؛ ولهذا تكتب في المصاحف بالألف ، ويوقف عليها بها ؛ إلا أنهم ألْقَوْا حركة الهمزة على النون ؛ فالتقت النونان ، فأدغمت الأولى في الثانية ، وموضع « أنا » رفع بالابتداء ، وهو مبتدأ ثان و« الله » مبتدأ ثالث ، و« ربّي » خبر المبتدأ الثالث ، والمبتدأ الثالث وخبره خبر الثاني ، والثاني هو خبر الأول ، والراجع إلى الأول الياء .

ثم المخفّفة قد تكون مخففة من الثقيلة ، فهي عاملة ، وقد تكون غير عاملة ، فيقع بعدها المفرد ، نحو ما قام زيد لكن عمر ، فتكون عاطفة على الصحيح ، وإن وقع بعدها جملة كانت حرف ابتداء .

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٣٨ .

وقال صاحب « البسيط » : إذا وقع بعدها جملة ؛ فهل هي للعطف، أو حرف ابتداء . قولان ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾[1] .

قال : ونظير فائدة الخلاف في جواز الوقف على ما قبلها ؛ فعلى العطف لا يجوز ، وعلى كونها حرف ابتداء يجوز .

قال : وإذا دخل عليها الواو انتقل العطف إليها ، وتجردت للاستدراك .

وقال الكسائيّ : المختار عند العرب تشديد النون إذا اقترنت بالواو ، وتخفيفها إذا لم تقترن بها ؛ وعلى هذا جاء أكثر القرآن العزيز ، كقوله تعالى :

﴿ وَلَكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[2] .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

﴿ لَكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾[4] .

﴿ لَكِنِ ٱلرَّسُولُ ﴾[5] .

﴿ لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾[6] ،

﴿ لَكِنِ ٱلظَّالِمُونَ ٱلْيَوْمَ ﴾[7] .

وعلّل الفراء ذلك بأنها مخففة تكون عاطفة فلا تحتاج إلى واو معها كـ « بل » ، فإذا كان قبلها واو لم تشبه « بل » لأن « بل » لا تدخل عليها الواو ، وأما إذا كانت مشددة فإنها تعمل عمل « إن » ولا تكون عاطفة .

وقد اختلف القراء في ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾[8] ، فأكثرهم على تخفيفها ونصب « رسول » بإضمار « كان » أو بالعطف

---

(١) سورة : النساء . آية : ١٦٦ .
(٢) سورة : الأنعام . آية : ٣٣ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٣١ .
(٤) سورة : النساء. آية : ١٦٦ .
(٥) سورة : التوبة . آية : ٨٨ .
(٦) سورة : آل عمران. آية : ١٩٨ .
(٧) سورة : مريم . آية : ٣٨ .
(٨) سورة : الأحزاب . آية : ٤٠ .

على « أبا أحد » . والأول أليق ، لكن ليست عاطفة لأجل الواو ، فالأليق لها أن تدخل على الجمل كـ « بل » العاطفة .

وقرأ أبو عمرو بتشديدها على أنها عاملة ، وحذف خبرها ؛ أي : ولكن رسول الله هو ، أي محمد.

٦٨ ـ لعلّ

تجيء لمعان :

الأول : للترجي في المحبوب ، نحو :

لعل الله يغفر لنا .

وللإشفاق في المكروه ، نحو :

لعلّ الله يغفر للعاصي .

ثم وردت في كلام من يستحيل عليه الوصفان ، لأنّ الترجي للجهل بالعاقبة وهو محال على الله وكذلك الخوف والإشفاق .

فمنهم من صرفها إلى المخاطبين .

قال سيبويه في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[١] ؛ معناه : كونا على رجاء كما في ذكرهما ، يغني أنه كلام منظور فيه إلى جانب موسى وهارون عليهما السلام ؛ لأنهما لم يكونا جازمين بعدم إيمان فرعون .

وأما استعمالها في الخوف ؛ ففي قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[٢] ، فإن الساعة مخوفة في حق المؤمنين ، بدليل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾[٣] .

(١) سورة : طه . آية : ٤٤ .
(٢) سورة : الشورى . آية : ١٧ .
(٣) سورة : الشورى . آية : ١٨ .

وفي هذا ردّ على الزمخشري حيث أنكر أن تكون هذه الآية من هذا القبيل .

فإن قلت : ما معنى قولهم : « لعل من الله واجبة » ؟ هل ذلك من شأن المحبوب ، أو مطلقاً ؟ وإذا كانت في المحبوب فهل ذلك إخراج لها عن وضع الترجي إلى وضع الخبر ، فيكون مجازاً أم لا ؟

قلت : ليس إخراجاً لها عن وضعها ؛ وذلك أنهم لما رأوها من الكريم للمخاطبين في ذلك المحبوب تعريض بالوعد ، وقد علم أن الكريم لا يعرِض بأن يفعل إلا بعد التصميم عليه ، فجرى الخطاب الإلٓهي مجرى خطاب عظماء الملوك من الخلق . وقوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ .. ﴾ الآية إلى ﴿ تَتَّقُونَ ﴾[1] ، إطماع المؤمنِ بأن يبلغ بإيمانه درجة التقوى العالية ، لأنّه بالإيمان يفتتحها وبالإيمان يختتمها ، ومن ثم قال مالك وأبو حنيفة : الشرع ملزم .

وقد قال الزمخشري : وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ، لكنّه كريم رحيم ، إذا أطمع فَعَل ما يُطمع لا محالة ، فجرى إطماعُهُ مجرى وعده ، فلهذا قيل : إنّها من الله واجبة .

وهذا فيه رائحة الاعتزال في الإيجاب العقلي ، وإنما يحسن الإطماع دون التحقيق ، كيلا يتكل العباد ، كقوله تعالى :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ ﴾[2] .

وقال الراغب : « لعل » طمع وإشفاق .

وذكر بعض المفسرين أن « لعل » من الله واجبة ، وفُسّر في كثير من

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢١ .

(٢) سورة : التحريم . آية : ٨ .

المواضع بـ « لا » وقالوا : إن الطمع والإشفاق لا يصح على الله تعالى .

قال : ولعلّ ـ وإن كان طمعاً ـ فإن ذلك يقتضي في كلامهم تارة طمع المخاطِب ، وتارة طمع المخاطَب ، وتارة طمع غيرهما ، فقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ ﴾[1]، فذلك طمع منهم في فرعون .

وفي قوله : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[2]، إطماع موسى وهارون ، ومعناه : قولا له قولاً ليناً راجيَيْنِ أن يتذكر أو يخشى .

وقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ﴾[3] ، أي : تظنّ بك الناس .

وعليه قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ﴾[4].

وقوله : ﴿ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5] ، أي : راجين الفلاح .

كما قال : ﴿ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ ﴾[6] .

وزعم بعضهم بأنها لا تكون للترجي إلا في الممكن ، لأنه انتظار ، ولا ينتظر إلا في ممكن ؛ فأمّا قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ . . . ﴾[7] الآية ، فاطلاع فرعون إلى الإله مستحيل ، وبجهله اعتقد إمكانه ، لأنه يعتقد في الإله الجسمية والمكان ، تعالى الله عن ذلك !

الثاني : للتعليل ، كقوله تعالى :

﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[8] .

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ٤٠ .

(٢) سورة : طه . آية : ٤٤ .

(٣) سورة : هود . آية : ١٢ .

(٤) سورة : الشعراء . آية : ٣ .

(٥) سورة : الأنفال . آية : ٤٥ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٢١٨ .

(٧) سورة : غافر . آية : ٣٦ .

(٨) سورة : الأنعام . آية : ١٥٥ .

﴿ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، أي : كيْ .

وجعل منه ثعلب : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَـذَكَّرُ ﴾[2]، أي : « كي » ، حكـاه عنه صاحب « المحكم » .

الثالث : الاستفهام ، كقوله تعالى :

﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾[3] .

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾[4].

وحكى البغوي في تفسيره عن الواقدي أن جميع ما في القرآن من « لعلّ » فإنها للتعليل ، إلا قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾[5]، فإنها للتشبيه .

وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة ، ووقع في صحيح البخاريّ في قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أن « لعل » للتشبيه .

وذكر غيره أنها للرجاء المحض ؛ وهو بالنسبة إليهم .

واعلم أن الترجي والتمني من باب الإنشاء ، كيف يتعلقان بالماضي !

وقد وقع خبر « ليت » ماضياً في قوله : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾[6] .

وممن نص على منع وقوع الماضي خبراً للعلّ الرّمانيّ .

٩٦ ـ ليس

فعل معناه نفي مضمون الجملة في الحال ، إذا قلت : ليس زيد قائماً ، نفيت قيامه في حالك هذه . وإن قلت : ليس زيد قائماً غداً لم يستقم ، ولهذا لم يتصرف فيكون فيها مستقبلاً .

---

(١) سورة : النحل . آية : ١٥ .
(٢) سورة : طه . آية : ٤٤ .
(٣) سورة : الطلاق . آية : ١ .
(٤) سورة : عبس . آية : ٣ .
(٥) سورة : الشعراء . آية : ١٢٩ .
(٦) سورة : مريم . آية : ٢٣ .

هذا قول الأكثرين ؛ وبعضهم يقول : إنها لنفي مضمون الجملة عموماً .

وقيل مطلقاً ؛ حالاً كان أو غيره . وقواه ابن الحاجب .

وردّ الأول بقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾[1] ؛ وهذا نفي لكون العذاب مصروفاً عنهم يوم القيامة ، فهو نفي في المستقبل ؛ وعلى هذين القولين يصح « ليس إلا الله » ؛ وعلى الأول يحتاج إلى تأويل ، وهو أنه قد ينفي عن الحال بالقرينة ، نحو ليس خلق الله مثله .

وهل هو لنفي الجنس أو الوحدة ؟

لم أر مَنْ تعرض لذلك غير ابن مالك في كتاب « شواهد التوضيح » فقال في قوله ﷺ : « ليس صلاة أثقل على المنافقين »[2] ففيه شاهد على استعمال « ليس » للنفي العام المستغرق به للجنس ؛ وهو مما يغفل عنه . ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[3] .

٧٠ ـ لدن

بمعنى « عند » ، وهي أخصّ منها لدلالته على ابتدائها به ، نحو : أقمت عنده من لَدُنْ طلوع الشمس إلى غروبها . فتوضّح نهاية الفعل وهي أبلغ من « عند » ، قال تعالى :

﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً ﴾[4] .

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾[5] .

---

(١) سورة : هود . آية : ٨ .

(٢) أنظر الحديث في : صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب٣٤ . وسنن الدارمي ، كتاب الصلاة باب ٥٣ . ومسند الإمام أحمد ١٤١/٥ .

(٣) سورة : الغاشية . آية : ٦ .

(٤) سورة : الكهف . آية : ٧٦ .

(٥) سورة : الأنبياء . آية : ١٧ .

﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[1] .

﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾[2] .

وقد سبق الفرق بينهما في عند .

وقد تحذف نونها ، قال تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى ٱلْبَابِ ﴾[3] .

﴿ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[4] .

٧١ ـ ما

تكون على اثني عشر وجهاً : ستة منها أسماء ، وستة حروف .

فالاسمية ضربان :

معرفة ، ونكرة ؛ لأنه إذا حَسُن موضعها « الـذي » فهي معرفـة ، أو « شيء » فهي نكرة ؛ وإن حَسُنا معاً جاز الأمران ، كقوله تعالى :

﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ ﴾[5] .

و ﴿ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[6] .

والنكرة ضربان : ضرب يلزم الصفة ، وضرب لا يلزمه ، والذي يلزمه الاستفهامية والشرطية والتعجب ، وما عداها تكون منه نكرة ، فلا بد لها من صفة تلزمها .

١ ـ **فالأول من الستة : الأسماء الخبرية** : وهي الموصولة ، ويستوي فيها التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، كقوله تعالى :

(١) سورة : النمل . آية : ٦ .
(٢) سورة : مريم . آية : ٥ .
(٣) سورة : يوسف . آية : ٢٥ .
(٤) سورة : قٓ. آية : ٢٣ .
(٥) سورة : النساء . آية : ٤٨ .
(٦) سورة : قٓ. آية : ٢٣ .

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾[2] .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدَ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[3] .

فإن كان المراد بها لمذكر كانت للتذكير ، بمعنى « الذي » ، وإن كان المراد بها المؤنث كانت للتأنيث بمعنى « التي » .

وقال السهيليّ : كذا يقول النحويون ، إنها بمعنى « الذي » مطلقاً ، وليس كذلك ، بل بينهما تخالف في المعنى وبعض الأحكام .

أمّا المعنى ؛ فلأن « ما » إسم مبهم في غاية الإبهام ؛ حتى إنه يقع على المعدوم ، نحو : « إنّ الله عالم بما كان وبما لم يكن » .

وأما في الأحكام فإنها لا تكون نعتاً لما قبلها ، ولا منعوتة ، لأن صلتها تُغْنيها عن النعت ولا تثنى ولا تجمع . انتهى .

ثم لفظها مفرد ومعناها الجمع ، ويجوز مراعاتها في الضمير .

ونحوه من مراعاة المعنى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾[4]، ثم قال : ﴿ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا ﴾[4]، لما أراد الجمع .

وكذا قوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[5] .

ومن مراعاة اللفظ : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾[6] .

وأصلها أن تكون لغير العاقل ، كقوله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾[7] .

---

(١) سورة : النحل . آية : ٩٦ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٤ .
(٣) سورة : النحل . آية : ٤٩ .
(٤) سورة : يونس . آية : ١٨ .
(٥) سورة : النحل . آية : ٧٣ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ٩٣ .
(٧) سورة : النحل . آية : ٩٦ .

وقد تقع على مَنْ يعقل عند اختلاطه بما لا يعقل تغليباً ، كقوله تعالى :
﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . . . ﴾[2] ، الآية ، بدليل نزول الآية بعدها مخصصة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَى ﴾[3] .

قالوا : وقد تأتي لأنواع مَنْ يعقل ، كقوله تعالى : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[4] ، أي الأبكار إن شئتم أو الثيّبات .

ولا تكون لأشخاص مَنْ يعقل على الصحيح ؛ لأنها إسم مبهم يقع على جميع الأجناس ، فلا يصح وقوعها إلا على جنس .

ومنهم من جوزه ، محتجاً بقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[5] ، والمراد آدم .

وقوله : ﴿ وَٱلسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾[6] .

وقوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[7] ، أي : الله .

فأما الأولى فقيل إنها مصدرية .

وقال السهيلي : بل إنها وردت في معرض التوبيخ على امتناعه من السجود ، ولم يستحق هذا من حيث كان السجود لما يعقل ، ولكن لعلة أخرى ، وهي المعصية والتكبّر ؛ فكأنه يقول : لم عصيتني وتكبرت على ما خلقته وشرفته ؟ فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن ؟ كان استفهاماً مجرداً من توبيخ ، ولتُوُهِّم أنه وجب السجود له من حيث كان يعقل ، أو لعلة موجودة فيه أو لذاته ؛ وليس كذلك .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٨٥ .
(٢) سورة : الأنبياء . آية : ٩٨ .
(٣) سورة : الأنبياء . آية : ١٠١ .
(٤) سورة : النساء . آية : ٣ .
(٥) سورة : صَ. آية : ٧٥ .
(٦) سورة : الشمس . آية : ٥ .
(٧) سورة : الكافرون . آية : ٣ .

وأما آية السماء ؛ فلأنّ القسَم تعظيم للمقسَم به من حيث ما في خلقها من العظمة والآيات ، فثبت لهذا المقسم بالتعظيم كائناً ما كان . وفيه إيحاء إلى قدرته تعالى على إيجاد هذا الأمر العظيم ، بخلاف قوله : « من » لأنه كان يكون المعنى مقصوراً على ذاته دون أفعاله . ومن هذا يظهر غلط من جعلها بتأويل المصدر .

وأما ﴿ مَا أَعْبُدُ ﴾ فهي على بابها ؛ لأنها واقعة على معبوده عليه السلام على الإطلاق ؛ لأن الكفار كانوا يظنون أنهم يعبدون الله وهم جاهلون به ، فكأنه قال : أنتم لا تعبدون معبودي .

ووجه آخر ، وهو أنهم كانوا يحسدونه ويقصِدون مخالفته كائناً من كان معبوده ، فلا يصح في اللفظ إلا لفظة « ما » لإبهامها ومطابقتها لغرض أو لازدواج الكلام ؛ لأن معبودهم لا يعقل ، وكرر الفعل على بنية المستقبل حيث أخبر عن نفسه ، إيماءً إلى عِصْمة الله له عن الزيغ والتبديل ، وكرره بلفظ حين أخبر عنهم بأنهم يعبدون أهواءهم ، ويتبعون شهواتهم ؛ بفرض أن يعبدوا اليوم ما لا يعبدونه غداً .

وها هنا ضابط حسن للفرق بين الخبرية والاستفهامية ، وهو أن « ما » إذا جاءت قبل « ليس » أو « لم » أو « لا » ، أو بعد « إلا » ، فإنها تكون خبرية ، كقوله :

﴿ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾(١) .

﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٢) .

﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

﴿ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾(٤) ، وشبهه .

---

(١) سورة : المائدة . آية : ١١٦ .

(٢) سورة : العلق . آية : ٥ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٦٩ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٣٢ .

وكذلك إذا جاءت بعد حرف الجر ، نحو : « ربما » و « عما » و « فيما » ونظائرها ؛ إلا بعد كاف التشبيه .

وربما كانت مصدراً بعد الباء ، نحو : ﴿ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[2] .

﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

وإن وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية أو نظر ، جاز فيها الخبر والاستفهام ، كقوله تعالى :

﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[4] .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[5] .

﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[6] .

﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ ﴾[7] .

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[8] .

﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ ﴾[9] .

٢ ـ **الثاني : الشرطية** ، ولها صدر الكلام ، ويعمل فيها ما بعدها من الفعل ، نحو : ما تصنع أصنع ، وفي التنزيل :

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾[10] .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٦٢ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ١٠ .
(٣) سورة : الفتح . آية : ١١ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٣٣ .
(٥) سورة : النحل . آية : ١٩ .
(٦) سورة : هود . آية : ٧٩ .
(٧) سورة : يوسف . آية : ٨٩ .
(٨) سورة : الأحقاف . آية : ٩ .
(٩) سورة : الحشر . آية : ١٨ .
(١٠) سورة : البقرة . آية : ١٠٦ .

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾[1] .

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[2] .

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللَّهِ ﴾[3] .

﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[4]

فـ « ما » في هذه المواضع في موضع نصب بوقوع الفعل عليها[5] .

٣ ـ **الثالث : الاستفهامية** ، بمعنى « أيّ شيء » ، ولها صدر الكلام كالشرط ، ويُسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته ، وعن أجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم ، قال تعالى : ﴿ مَا هِيَ ﴾[6] ، و ﴿ مَا لَوْنُهَا ﴾[7] ، و ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾[8] .

قال الخليل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[9] : ما : استفهام ، أي : أيّ شيء تدعون من دون الله ؟

ومثال مجيئها لصفات مَنْ يعلم قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾[10] ، ونظيرها ـ لكن في الموصولة ـ ﴿ فَٱنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾[11] .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ١٩٧ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢١٥ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١١٠ .

(٤) سورة : فاطر . آية : ٢ .

(٥) من « الثاني : الشرطية . . . . » إلى « . . . بوقوع الفعل عليها » سقط من ب .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٧٠ .

(٧) سورة : البقرة . آية : ٦٩ .

(٨) سورة : طه . آية : ١٧ .

(٩) سورة : العنكبوت . آية : ٤٢ .

(١٠) سورة : الفرقان . آية : ٦٠ .

(١١) سورة : النساء . آية : ٣ .

وجوّز بعض النحويين أن يسأل بها عن أعيان من يعقل أيضاً . حكاه الراغب ؛ فإن كان مأخذه قوله تعالى عن فرعون : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[1] ، فإنما هو سؤال عن الصفة ؛ لأن الربّ هو المالك والمِلْك صفة ، ولهذا أجابه موسى بالصفات .

ويحتمل أن « ما » سؤال عن ماهيّة الشيء ، ولا يمكن ذلك في حق الله تعالى ، فأجابه موسى تنبيهاً على صواب السؤال .

ثم فيه مسألتان :

إحداهما : في إعرابها ؛ وهو بحسب الاسم المستفهم عنه ، فإن كانت هي المستفهم عنها كانت في موضع رفع بالابتداء ، نحو قوله تعالى : ﴿ مَا لَوْنُها ﴾[3] و﴿ مَا هِيَ ﴾[4] ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[5] .

وإن كان ما بعدها هو المسئول عنه ، كانت في موضع الخبر ، كقوله : ﴿ وَمَا الرَّحْمَٰنُ ﴾[6] وقوله : ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾[6] ﴿ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾[7] .

الثانية : في حذف ألفها ؛ ويكثر في حالة الخفض ، قصدوا مشاكلة اللفظ للمعنى ، فحذفوا الألف كما أسقطوا الصلة ولم يحذفوا في حال النصب والرفع ، كيلا تبقي الكلمة على حرف واحد ، فإذا اتصل بها حرف الجر أو مضاف اعتمدت عليه ؛ لأن الخافض والمخفوض بمنزلة الكلمة الواحدة ، كقوله تعالى : ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾[8] .

﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾[9] .

﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[10] .

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ٢٣ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٦٩ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٧٠ .
(٤) سورة : النساء . آية : ٧٩ .
(٥) سورة : الفرقان . آية : ٦٠ .
(٦) سورة : القارعة. آية : ٢ .
(٧) سورة : الحاقة . آية : ٢ .
(٨) سورة : النازعات . آية : ٤٣ .
(٩) سورة : التحريم . آية : ١ .
(١٠) سورة : الحجر . آية : ٥٤ .

و ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[1] .

وأما قوله : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾[2] .

فقال المفسرون : معناه بأيّ شيء غفر لي ، فجعلوا « ما » استفهاماً .

وقالَ الكسائي : معناه بمغفرة ربّي ، فجعلها مصدرية .

قال الهرويّ : إثبات الألف في « ما » بمعنى الاستفهام مع اتصالها بحرف الجر لغة ، وأما قوله : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾[3] ، فقيل : إنها للاستفهام ، أي بأيّ شيء أغويتني ؟ ثم ابتدأ ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ . وقيل مصدرية والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف ، أي فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدنّ ، أي بسبب إغوائك أقسم .

ويجوز أن تكون الباء للقَسَم ، أي : فأقسم بإغوائك لأقعدنّ ، وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان مكلّفاً ، والتكليف من أفعال الله ، لكونه تعريفاً لسعادة الأبد ، وكان جديراً أن يُقْسَم به .

فإن قيل : تعلقها بـ ﴿ لَأَقْعُدَنَّ ﴾ ، قيل يصدّ عنه لام القسم ، ألا ترى أنك لا تقول : والله لا بزيد لأَمُرَّنَّ.

٤ ـ **والرابع : التعجبية** ، كقوله تعالى :

﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[4] .

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[5] .

ولا ثالث لهما في القرآن إلا في قراءة سعيد بن جبير : ﴿ مَا أَغَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾[6] .

---

(١) سورة : النبإ . آية : ١ .
(٢) سورة : يسٓ . آية : ٢٦ ـ ٢٧ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٦ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١٧٥ .
(٥) سورة : عبس . آية : ١٧ .
(٦) سورة : الانفطار . آية : ٦ .

وتكون في موضع رفع بالابتداء و « ما » خبر ، وهو قريب مما قبله ؛ لأن الاستفهام والتعجب بينهما تلازم ؛ لأنك إذا تعجبت من شيء فبالحريّ أن تسأل عنه .

٥ ـ **والخامس : نكرة بمعنى « شيء »** ، ويلزمها النعت ، كقولك : رأيت ما معجباً لك .

وفي التنزيل : ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[١] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾[٢] أي : نعمّ شيئاً يعظكم به .

٦ ـ **والسادس : نكرة بغير صفة ولا صلة ، كالتعجب :**

وموضعها نصب على التمييز ، كقوله : ﴿ إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّـدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[٣] ، أي : فنعم شيئاً هي ، كما تقول : نعمّ رجلاً زيد ، أي نعم الرجل رجلاً زيد ، ثم قام « ما » مقام الشيء .

فائـــدة :

قال بعضهم : وقد تجيء « ما » مضمرة ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ ﴾[٤] أي : ما ثمّ .

وقوله : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾[٥] أي : ما بيني .

﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[٦] ، أي : ما بينكم .

وأما الحرفية فستة :

١ ـ **الأول** : النافية ، ولها صدر الكلام . وقد تدخل على الأسماء والأفعال ، ففي الأسماء كـ « ليس » ترفع وتنصب في لغة أهل الحجاز ، ووقع في القرآن في ثلاثة مواضع :

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٦ .
(٢) سورة : النساء . آية : ٥٨ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٧١ .
(٤) سورة : الإنسان . آية : ٢٠ .
(٥) سورة : الكهف . آية : ٧٨ .
(٦) سورة : الأنعام . آية : ٩٤ .

قال تعالى : ﴿ مَا هٰذَا بَشَراً ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾[2] على قراءة كسر التاء .

وقوله :

﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[3] .

وعلى الأفعال فلا تعمل ، وتدخل على الماضي بمعنى « لم » نحو ما خرج ، أي : لم يخرج .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[4] .

وعلى المضارع لنفي الحال ، بمعنى « لا » ، نحو ما يخرج زيد ، أي : لا يخرج ، نفيتَ أن يكون منه خروج في الحال .

ومنهم من يسميه جَحْداً ، وأنكره بعضهم . وسبق الفرق بين الجَحْد والنفي في الكلام على قاعدة المنفيّ .

وقال ابن الحاجب : هي لنفي الحال في اللغتين الحجازية والتميمية ، نحو : ما زيد منطلقاً ومنطلق ؛ ولهذا جعلها سيبويه في النفي جواباً لـ « قد » في الإثبات ؛ ولا ريب أن « قد » للتقريب من الحال ، فلذلك جعل جواباً لها في النفي .

قال : ويجوز أن تستعمل للنفي في الماضي والمستقبل عند قيام القرائن ، قال تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾[5] .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[6] .

وفي الماضي ، نحو ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾[7] ، فإنه ورد

---

(1) سورة : يوسف . آية : ٣١ .
(2) سورة : المجادلة . آية : ٢ .
(3) سورة : الحاقة . آية : ٤٧ .
(4) سورة : البقرة . آية : ١٦ .
(5) سورة : الدخان . آية : ٣٥ .
(6) سورة : الأنعام . آية : ٢٦ .
(7) سورة : المائدة . آية : ١٩ .

للتعليل ، على معنى كراهة أن يقولوا عند إقامة الحجة عليهم : ما جاءنا في الدنيا من بشير ولا نذير؛ وهذا للماضي المحقق ، وأمثال ذلك كثير .

قال : ثم إن سيبويه جعل فيها معنى التوكيد ؛ لأنها جرت موضع « قد » في النفي ، فكما أن « قد » فيها معنى التأكيد ، فكذلك ما جعل جواباً لها .

وهنا ضابط ؛ وهو إذا ما أتت بعدها « إلا » في القرآن ؛ فهي من نفي « إلا في ثلاثة وعشرين موضعاً » :

أولها : في البقرة قوله تعالى :

﴿ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا ﴾(1) .

الثاني : ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ ﴾(2) .

الثالث : في النساء قوله : ﴿ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ ﴾(3) .

الرابع : ﴿ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(4) .

الخامس في المائدة : ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾(5) .

السادس : في الأنعام ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً ﴾(6) .

السابع : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا ﴾(7) .

الثامن والتاسع : في هود ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴾(8) ، في موضعين ، أحدهما : في ذكر أهل النار ، والثاني : في ذكر أهل الجنة .

---

(1) سورة : البقرة . آية : ٢٢٩ .
(2) سورة : البقرة . آية : ٢٣٧ .
(3) سورة : النساء . آية : ١٩ .
(4) سورة : النساء . آية : ٢٢ .
(5) سورة : المائدة . آية : ٣ .
(6) سورة : الأنعام . آية : ٨٠ .
(7) سورة : الانعام . آية : ١١٩ .
(8) سورة : هود . آية : ١٠٧ ، ١٠٨ .

العاشر والحادي عشر : في يوسف : ﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٥] ، وفيها : ﴿ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا ﴾[١] .

الثاني عشر : في الكهف ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[٢] ، على خلاف فيها .

الثالث عشر : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[٣] حيث كان .

٢ ـ والثاني : المصدرية ، وهي قسمان : وقتية وغير وقتية .

فالوقتية : هي التي تقدر بمصدر نائب عن الظرف الزمان ، كقوله تعالى :

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[٤] .

وقوله : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾[٥] .

و ﴿ مَا دُمْتُمْ حُرُماً ﴾[٦] ، أي : مدة دوام السموات والأرض ، ووقت دوام قيامكم وإحرامكم ، وتسمى ظرفية أيضاً .

وغير الوقتية هي التي تقدر مع الفعل ، نحو بلغني ما صنعت ، أي صنعك ، قال تعالى :

﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[٧] ، أي : بتكذيبهم ، أو بكذبهم على القرآن .

وقوله : ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾[٨] .

وقوله : ﴿ كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ ﴾[٩] .

و ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً ﴾[١٠] .

---

(١) سورة : يوسف . آية : ٤٧ ـ ٤٨ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ١٦ .
(٣) سورة : الحجر . آية : ٨٥ .
(٤) سورة : هود . آية : ١٠٧ .
(٥) سورة : آل عمران . آية : ٧٥ .
(٦) سورة : المائدة . آية : ٩٦ .
(٧) سورة : التوبة . آية : ٧٧ .
(٨) سورة : التوبة . آية : ١١٨ .
(٩) سورة : البقرة . آية : ١٣ ، ٥١ ، ٩٠ .
(١٠) سورة : البقرة . آية : ١٥١ .

و ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا ﴾[1] أي : كإيمان الناس ، وكإرسال الرسل ، وبئس اشتراؤهم .

وكلّما أتت بعد كاف التشبيه أو « بئس » فهي مصدرية على خلاف فيه ، وصاحب الكتاب يجعلها حرفاً ، والأخفش يجعلها إسماً . وعلى كلا القولين لا يعود عليها من صمتها شيء .

٣ ـ **والثالث : الكافّة للعامل عن عمله** ، وهو ما يقع بين ناصب ومنصوب ، أو جار ومجرور ، أو رافع ومرفوع .

فالأول : كقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[2] .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ﴾[3] .

﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾[4] .

والثاني : كقوله : ربما رجل أكرمته ، وقوله : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[5] .

والثالث : كقولك : قلما تقولين ، وطالما تشتكين .

٤ ـ **والرابع : المسلطة** ، وهي التي تجعل اللفظ متسلطاً بالعمل بعد أن لم يكن عاملاً ؛ نحو : « ما » في « إذ ما » و « حيثما » ؛ لأنهما لا يعملان بمجردهما في الشرط ، ويعملان عند دخولها عليها .

٥ ـ **والخامس : أن تكون مغيِّرة للحرف عن حاله** ، كقوله في « لو » : لوما ، غيّرتها إلى معنى « هلا » ، قال تعالى : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا ﴾[6] .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ٩٠ .
(٢) سورة : النساء . آية : ١٧١ .
(٣) سورة : فاطر . آية : ٢٨ .
(٤) سورة : آل عمران . آية : ١٧٨ .
(٥) سورة : الحجر . آية : ٢ .
(٦) سورة : الحجر . آية : ٧ .

٦ ـ والسادس: **المؤكد للفظ ويسميه بعضهم صلة، وبعضهم زائدة،** والأولى أولى، لأنه ليس في القرآن حرف إلا وله معنى.

ويتّصل بها الاسم والفعل، وتقع أبداً حشواً أو آخراً، ولا تقع ابتداءً، وإذا وقعت حشواً فلا تقع، إلا بين الشيئين المتلازمين؛ وهو مما يؤكد زيادتها لإقحامها بين ما هو كالشيء الواحد.

نحو: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً﴾(1).

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾(2).

وكذا قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾(3).

﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(4).

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾(5).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾(6).

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾(7).

﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾(8).

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾(9).

وجعل منه سيبويه في باب الحروف الخمسة قوله تعالى: ﴿إِنْ كُل نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾(10)، قال: فجعلها زائدة(11).

---

(1) سورة: البقرة. آية: ١٤٨.
(2) سورة: النساء. آية: ٧٨.
(3) سورة: البقرة. آية: ١١٥.
(4) سورة: الإسراء. آية: ١١٠.
(5) سورة: آل عمران. آية: ١٥٩.
(6) سورة: النساء. آية: ١٥٥.
(7) سورة: المؤمنون. آية: ٤٠.
(8) سورة: القصص. آية: ٢٨.
(9) سورة: نوح. آية: ٢٥.
(10) سورة: الطارق. آية: ٤.
(11) أنظر: الكتاب، لسيبويه ١/٢٨٣.

وأجاز الفارسيّ زيادة اللام ، والمعنى : إن كل نفس ما عليها حافظ .

ثم قال سيبويه : وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ ﴾[1] ، إنما هو : لَجميع ، و « ما » لغو[2] .

قال الصَّفّار : والذي دعاه إلى أن يجعلها لغواً ولم يجعلها موصولاً ؛ لأن بعدها مفرد ، فيكون من باب : ﴿ تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِي أَحْسَنَ ﴾[3] .

فإن قيل : فهلّا جعلها في ﴿ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[4] موصولة لأن بعدها الظرف ؟

قلنا : منع من ذلك وقوع « ما » على آحاد من يعقل ، ألا ترى كلّ نفس ! وهذا يمنع في الآيتين من الصلة . انتهى .

وكان ينبغي أن يتجنب عبارة اللغو .

٧٢ ـ مَنْ

لا تكون إلا إسماً لوقوعها فاعلة ومفعولة ومبتدأة .

ولها أربعة أقسام متفق عليها : الموصولة ، والاستفهامية ، والشرطية ، والنكرة الموصوفة .

١ ـ **فالموصولة** : كقوله :

﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[5] .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾[6] .

---

(١) سورة : يسٓ . آية : ٣٢ .

(٢) أنظر المرجع السابق ، الجزء والصفحة .

(٣) سورة : الانعام . آية : ١٥٤ .

(٤) سورة : الطارق . آية : ٤ .

(٥) سورة : الأنبياء . آية : ١٩ .

(٦) سورة : الرعد . آية : ١٥ .

٢ ـ **والاستفهامية** : وهي التي أشربت معنى النفي ، ومنه :

﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(١) .

و ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾(٢) .

ولا يتقيد جواز ذلك بأن يتقدمها الواو ، خلافاً لابن مالك في « التسهيل » ، بدليل :

﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾(٣) .

٣ ـ **والشرطية** : كقوله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ﴾(٤) .

و ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾(٥) .

٤ ـ **والنكرة الموصوفة** : كقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴾(٦)، أي : فريق يقول .

وقيل : موصولة ، وضعّفه أبو البقاء بأن « الذي » يتناول أقواماً بأعيانهم ، والمعنى ها هنا على الإبهام .

وتوسط الزمخشري فقال : إن كانت « أل » للجنس فنكرة ، أو للعهد فموصولة ؛ وكأنه قصد مناسبة الجنس للجنس ، والعهد للعهد ، لكنه ليس بلازم ، بل يجوز أن تكون للجنس ومَنْ موصولة ، وللعهد ومَنْ نكرة .

ثم الموصولة قد توصف بالمفرد وبالجملة ، وفي التنزيل : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٧) ؛ في أحد الوجهين ، أي كل شخص مستقر عليها .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٣٥ .
(٢) سورة : الحجر . آية : ٥٦ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٥٥ .
(٤) سورة : فصلت . آية : ٤٦ .
(٥) سورة : الأنعام . آية : ١٦٠ .
(٦) سورة : البقرة . آية : ٨ .
(٧) سورة : الرحمٰن . آية : ٢٦ .

قالوا : وأصلها أن تكون لمن يعقل ، وإن استعملت في غيره فعلى المجاز .

هذه عبارة القدماء ، وعدل جماعة إلى قولهم : « مَنْ يعلم » لإطلاقها على الباري، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾[1]، وهو سبحانه يوصف بالعلم لا بالعقل ، لعدم الإذن فيه .

وضيق سيبويه العبارة فقال : هي للأناسيّ .

فأورد عليه أنها تكون للملك ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ ﴾[2] فكان حقه أن يأتي بلفظ يعم الجميع ، بأن يقول « لأولي العلم » .

وأجيب بأن هذا يقلّ فيها ، فاقتصر على الأناسيّ للغلبة .

وإذا أطلقت على ما لا يعقل ؛ فإما لأنه عومل معاملة مَنْ يعقل ، وإما لاختلاطه به .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾[3] ، والذي لا يخلُق المراد به الأصنام ؛ لأن الخطاب مع العرب لكنه لمّا عوملت بالعبادة عبر عنها بـ « مَنْ » ، بالنسبة إلى اعتقاد المخاطب . ويجوز أن يكون المراد بـ « من » لا يخلق العموم الشامل لكل ما عُبِد من دون الله من العاقلين وغيرهم ، فيكون مجيء « مَنْ » هنا للتغليب الذي اقتضاه الاختلاط في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ . . . ﴾[4] الآية ، فعبّر بها عمّن يمشي على بطنه ، وهم الحيات ، وعمّن يمشي على أربع وهم

---

(١) سورة : الرعد . آية : ١٦ .

(٢) سورة : الحج . آية : ١٨ .

(٣) سورة : النحل . آية : ١٧ .

(٤) سورة : النور . آية : ٤٥ .

البهائم ، لاختلاطها مع مَنْ يعقل في صدر الآية ؛ لأن عموم الآية يشمل العقلاء وغيرهم ، فغلَّب على الجميع حكمَ العاقل .

فائـــدة :

قيل : إنما كان « من » لمن يعقل و « ما » لما لا يعقل ؛ لأن مواضع « ما » في الكلام أكثر من مواضع « مَنْ » ، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل ، فأعطُوا ما كثرت مواضعه للكثير ، وأعطوا ما قلّت مواضعه للقليل ، وهو من يعقل ، للمشاكلة والمجانسة .

تنبيـــه :

ذكر الإبياري في شرح « البرهان » أن اختصاص «مَنْ» بالعاقل» و « ما » بغيره مخصوص بالموصولتين، أما الشرطية فليست من هذا القبيل ؛ لأن الشرط يستدعي الفعلَ ولا يدخل على الأسماء .

تنبيـــه :

وقد سبق في قاعدة مراعاة اللفظ والمعنى بيان حُكم « مَنْ » في ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾[1] ، فجعل اسم « كان » مفرداً حملاً على لفظ « مَنْ » ، وخبرها ، جمعا حمْلاً على معناها ، ولو حمِل الاسم والخبر على اللفظ معاً لقال « إلا من كان يهودياً أو نصرانياً » ؛ ولو حملهما على معناهما لقال : « إلاّ من كانوا هوداً أو نصارى » فصارت الآية الشريفة بمنزلة قولك : لا يدخل الدار إلا مَنْ كان عاقلين ، وهذه المسألة منعها ابن السراج وغيره ، وقالوا : لا يجوز أن يحمل الاسم والخبر معاً على اللفظ ، فيقال : « إلا من كان عاقلاً » ، أو يحملا معاً على المعنى فيقال : « إلا من كانوا عاقلين » ، وقد جاء القرآن بخلاف قولهم .

---

(١) سورة : البقرة . آية : ١١١ .

٧٣ - مِنْ

حرف يأتي لبضعة عشر معنى :

١ - **الأول** : ابتداءً الغاية ، إذا كان في مقابلتها « إلى » التي للانتهاء .

وذلك إمّا في اللفظ ، نحو سرت من البصرة إلى الكوفة ، وقوله تعالى :

﴿ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ﴾(١) .

وإمّا في المعنى ؛ نحو زيد أفضل من عمرو ؛ لأن معناه زيادة الفضل على عمرو ، وانتهاؤه في الزيادة إلى زيد .

ويكون في المكان اتفاقاً ، نحو : من المسجد الحرام .

وما نزّل منزلته ، نحو من فلان ، ومنه : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾(٢) .

وقوله : ضربت من الصغير إلى الكبير ، إذا أردت البداءة من الصغير والنهاية بالكبير .

وفي الزمان عند الكوفيين ، كقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ .

وقوله : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾(٣) .

فإن « قبل » و « بعد » ظرفا زمان .

وتأوله مخالفوهم على حذف مضاف ، أي من تأسيس أول يوم ، فـ « مِنْ » داخلة في التقدير على التأسيس ، وهو مصدر ، وأما « قبل » و « بعد » فليستا ظرفين في الأصل ، وإنما هما صفتان .

٢ - **الثاني** : الغاية ، وهي التي تدخل على فعل هو محلّ لابتداء الغاية

---

(١) سورة : الإسراء . آية : ١ .

(٢) سورة : النمل . آية : ٣٠ .

(٣) سورة : الروم . آية : ٤ .

وانتهائه معاً ، نحو أخذتُ من التابوت ، فالتابوت محل ابتداء الأخذ وانتهائه . وكذلك أخذته من زيد ، فـ « زيد » محل لابتداء الأخذ وانتهائه كذلك .

قاله الصفار . وغاير قيله وبين ما قبله ، قال : وزعم بعضهم أنها تكون لانتهاء الغاية ، نحو قولك : رأيت الهلال من داري من خَلَلَ السحاب ، فابتداء الرؤية وقع من الدار ، وانتهاؤها من خَلَل السحاب ، وكذلك : شممت الريحان من داري من الطريق ، فابتداء الشمّ من الدار وانتهاؤه إلى الطريق .

قال : وهذا لا حجة فيه ، بل هما لابتداء الغاية ، فالأولى لابتداء الغاية في حق الفاعل ، والثانية لابتداء الغاية في حق المفعول ، ونظيره كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى عمر بالشام ، وأبو عبيدة لم يكن وقت كتبه إلى عمر بالشام ، بل الذي كان في الشام عمر ، فقوله « بالشام » ظرف للفعل بالنسبة إلى المفعول .

قال : وزعم ابن الطراوة أنها إذا كانت لابتداء الغاية في الزمان لزمها إلى الانتهاء فأجاز : سرت من يوم الجمعة إلى يوم الأحد ؛ لأنّكَ لو لم تذكر لم يُدْرَ إلى أين انتهى السير .

قال الصفار : وهذا الذي قاله غير محفوظ من كلامهم ، وإذا أرادت العرب هذا أتت فيه بمذ ومنذ، ويكون الانتهاء إلى زمن الإخبار .

٣ ـ **الثالث**: التبعيض ، ولها علامتان : أن يقع البعض موقعها وأنّ يعم ما قبلها ما بعدها إذا حذفت كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(١) .

ولهذا في مصحف ابن مسعود : « بعض ما تحبون » .

وقوله : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾(٣) ؛ فإنه كان نزل ببعض ذريته .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ٩٢ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٥٣ .
(٣) سورة : إبراهيم . آية : ٣٧ .

٤ ـ **الرابع** : بيان الجنس . وقيل : إنها لا تنفكّ عنه مطلقاً ، حكاه التراس ؛ ولها علامتان : أن يصح وضع « الذي » موضعها ، وأن يصح وقوعها صفة لما قبلها .

وقيل : هي أن تذكر شيئاً تحته أجناس ، والمراد أحدها ، فإذا أردت واحداً منها بينته ، كقوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾(١) ، وغيرها ، فلما اقتصر عليه لم يعلم المراد ،فلما صرح بذكر الأوثان علم أنها المراد من الجنس . وقرنت بـ « مِنْ » للبيان ؛ فلذلك قيل : إنها للجنس ، وأما اجتناب غيرها فمستفاد من دليل آخر ، والتقدير : واجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، أي اجتنبوا الرجس الوثنيّ ، فهي راجعة إلى معنى الصفة .

وهي بعكس التي للتبعيض؛ فإنّ تلك يكون ما قبلها بعضاً مما بعدها، فإذا قلت: أخذت درهماً من الدراهم كان الدرهم بعض الدراهم. وهذه ما بعدها بعضٌ مما قبلها، ألا ترى أن الأوثان بعض الرجس.

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾(٢) ، أي : الذين هم أنتم ؛ لأنّ الخطاب للمؤمنين ، فلهذا لم يتصور فيها التبعيض .

وقد اجتمعت المعاني الثلاثة في قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾(٣) ، فـ « مِن » الأولى لابتداء الغاية ، أي ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية للتبعيض ؛ أي بعض جبال منها ، والثالثة لبيان الجنس ، لأنّ الجبال تكون بَرَداً وغير بَرَد .

ونظيرها : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾(٤) ، فالأولى للبيان ؛ لأن الكافرين نوعان : كتابيون ومشركون ، والثانية : مزيدة لدخولها على نكرة منفية ، والثالثة : لابتداء الغاية .

---

(١) سورة : الحج . آية : ٣٠ .
(٢) سورة : النور . آية : ٥٥ .
(٣) سورة : النور . آية : ٤٣ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١٠٥ .

وقوله : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾[1] ؛ فالأولى : لابتداء الغاية ، والثانية : لبيان الجنس ، أو زائدة ، بدليل قوله : ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ ﴾[2] ، والثالثة : لبيان الجنس أو التبعيض .

وقد أنكر قوم من متأخري المغاربة بيان الجنس ، وقالوا : هي في الآية الشريفة لابتداء الغاية ؛ لأن الرجس جامعٌ للأوثان وغيرها . فإذا قيل « من الأوثان » ، فمعناه الابتداء من هذا الصنف ، لأن الرجس ليس هو ذاتها ، فـ « من » في هذه الآية كهي في : وأخذته من التابوت .

وقيل : للتبعيض ؛ لأن الرجس منها هو عبارتها . واختاره ابن أبي الربيع ، ويؤيده قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾[3] .

وأما قوله ﴿ مِنْكُمْ ﴾ فهي للتبعيض ، ويقدر الخطاب عاماً للمؤمنين وغيرهم .

وأما قوله : ﴿ من جبال ﴾ فهو بَدل من السماء ، لأن السماء مشتملة على جبال البرد ، فكأنه قال « وينزل من برد في السماء » ، وهو من قبيل ما أعيد فيه العامل مع البدل ، كقوله : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾[4] .

وأما قوله : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ ﴾[5] ، ففي موضع الصفة ، فهي للتبعيض .

وكثيراً ما تقع بعدما ومهما ، لإفراط إبهامها ، نحو : ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾[6] .

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾[7] .

---

(١) سورة : الكهف . آية : ٣١ .
(٢) سورة : الإنسان . آية : ٢١ .
(٣) سورة : الزمر . آية : ١٧ .
(٤) سورة : الأعراف . آية : ٧٥ .
(٥) سورة : الكهف . آية : ٣١ .
(٦) سورة : فاطر . آية : ٢ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ١٠٦ .

﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ ﴾[1] .

وهي ومخفوضها في موضع نصب على الحال .

وقد تقع بعد غيرهما : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[2] .

الشاهد في غير الأولى ، فإن تلك للابتداء : وقيل زائدة .

٥ ـ **الخامس** : التعليل ، ويقدر بلام ، نحو : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾[3] .

وقوله : ﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾[4] أي : من أجل الجوع .

وردّه الأبذيّ بأن الذي فهم منه العلة إنما هو لأجل المراد ، وإنما هي للابتداء ، أي ابتداء الإطعام من أجل الجوع .

٦ ـ **السادس** : البدل من حيث العوض عنه ، فهو كالسبب في حصول العوض ؛ فكأنه منه أتى ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾[5] ، لأنّ الملائكة لا تكون من الإنس .

وقوله : ﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلآخِرَةِ ﴾[6] ، أي : بدلاً من الآخرة ، ومحلُّها مع مجرورها النصب على الحال .

وقوله : ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً ﴾[7] ، أي : بدل طاعة الله أو رحمة الله .

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنْ ٱلرَّحْمٰنِ ﴾[8] ، أي : بدل الرحمٰن .

---

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٣٢ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٣١ .
(٣) سورة : نوح . آية : ٢٥ .
(٤) سورة : قريش . آية : ٤ .
(٥) سورة : الزخرف . آية : ٦٠ .
(٦) سورة : التوبة . آية : ٣٨ .
(٧) سورة : آل عمران . آية : ١١٦ .
(٨) سورة : الأنبياء . آية : ٤٢ .

٧ ـ **السابع** : بمعنى « على » نحو : ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾[١] أي : على القوم .

وقيل : على التضمين ، أي منعناه منهم بالنصر .

٨ ـ **الثامن** : بمعنى « عن » ، نحو : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢] .

﴿ يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا ﴾[٣] .

وقيل : هي للابتداء فيهما .

وقوله : ﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾[٤] ؛ فقد أشار سيبويه إلى أنّ « مِنْ » هنا تؤدي معنى « عن » .

وقيل : هي بمنزلة اللام للعلة ، أي لأجل الجوع . وليس بشيء ، فإن الذي فهم منه العلة إنما هو « أجل » لا « من » .

واختار الصفّار أنها لابتداء الغاية .

٩ ـ **التاسع** : بمعنى الباء ، نحو : ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾[٥] ؛ حكاه البغويّ عن يونس .

وقيل : إنما قال : ﴿ من طرف ﴾ لأنه لا يصحّ عنه ، وإنما نظره ببعضها .

وجعل منه ابن أبان : ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[٦] ، أي : بأمر الله .

وقوله : ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ ﴾[٧] .

١٠ ـ **العاشر** : بمعنى « في » نحـو : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾[٨] .

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ٧٧ .
(٢) سورة : الزمر . آية : ٢٢ .
(٣) سورة : الأنبياء . آية : ٩٧ .
(٤) سورة : قريش . آية : ٤ .
(٥) سورة : الشورى . آية : ٤٥ .
(٦) سورة : الرعد . آية : ١١ .
(٧) سورة : القدر . آية : ٤ ـ ٥ .
(٨) سورة : الجمعة . آية : ٩ .

﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1] .

وقيل : لبيان الجنس .

١١ ـ الحادي عشر : بمعنى « عند » نحو :

﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[2] :

قال أبو عبيد : وقيل إنّها للبدل .

١٢ ـ الثاني عشر : بمعنى الفصل ، وهي الداخلة بين متضادين ، نحو :

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾[3].

﴿حَتَّى يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[4].

١٣ ـ الثالث عشر : الزائدة ، ولها شرطان عند البصريين : أن تدخل على نكرة ، وأن يكون الكلام نفياً ، نحو ما كان من رجل . أو نهياً ، نحو لا تضرب من رجل ، أو استفهاماً ، نحو هل جاءك من رجل ؟

وأجرى بعضُهم الشرطَ مجرى النفي ، نحو : إن قام من رجل قام عمرو .

وقال الصفّار : الصحيح المنع .

ولها في النفي معنيان :

أحدهما : أن تكون للتنصيص على العموم ، وهي الداخلة على ما لا يفيد العموم ، نحو : ما جاءني من رجل ؛ فإنه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة ؛ فإذا دخلت « مِنْ » تعيّن نفي الجنس ، وعليه قوله تعالى :

﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[5] .

---

(١) سورة : فاطر . آية : ٤٠ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ١٠ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٢٠ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ١٧٩ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٧٣ .

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾[(١)] .

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾[(٢)] .

وثانيهما : لتوكيد العموم ، وهي الداخلة على الصيغة المستعملة في العموم ، نحو ما جاءني من أحد ، أو مِنْ ديّار ؛ لأنك لو أسقطت « مِنْ » لبقي العموم على حاله ؛ لأن « أحداً » لا يستعمل إلا للعموم في النفي .

وما ذكرناته من تغاير المعنيين خلافُ ما نصّ عليه سيبويه من تساويهما .

قال الصفار : وهو الصحيح عندي ؛ وأنها مؤكدة في الموضعين ، فإنها لم تدخل على : « جاءني رجل » إلا وهو يراد به « ما جاءني أحد » ، لأنّه قد ثبت فيها تأكيد الاستغراق مع « أحد » ، ولم يثبت لها الاستغراق ، فيعمل هذا عليه ، فلهذا كان مَذْهب سيبويه أولى .

قال : وأشار إلى أنّ المؤكـدة ترجـع لمعنى التبعيض ، فإذا قلت : « ما جاءني من رجل » فكأنه قال : « ما أتاني بعض هذا الجنس ولا كله » ، وكذا « ما أتاني من أحد » ، أي بعض من الأحدين . انتهى .

وقال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : نصّ سيبويه على أنها نصّ في العموم ، قال : فإذا قلت : ما أتاني رجل ، فإنه يحتمل ثلاثة معانٍ :

أحدها : أن تريد أنه ما أتاك رجل واحد ، بل أكثر من واحد .

والثاني : أن تريد ما أتاك من رجل في قوته ونفاده ، بل أتاك الضعفاء .

والثالث : أن تريد ما أتاك رجل واحد ، ولا أكثر من ذلك .

فإن قلت : ما أتاني من رجل ، كان نفياً لذلك كلِّه ، قال : هذا معنى كلامه .

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ٥٩ .

(٢) سورة : الملك . آية : ٣ .

والحاصل أن « من » في سياق النفي تعمّ وتستغرق .

ويلتحق بالنفي الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾(١) .

وجوز الأخفش زيادتها في الإثبات ، كقوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾(٢) ، والمراد الجميع ، بدليل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾(٣) ، فوجب حملُ الأول على الزيادة دفعاً للتعارض .

وقد نوزع في ذلك ، بأنّه إنما يقع التعارض لو كانتا في حقّ قَبِيلٍ واحد ، وليس كذلك ، فإن الآية التي فيها « مِنْ » لقوم نوح ، والأخرى لهذه الأمة .

فإن قيل : فإذا غُفِر للبعض كان البعض الآخر معاقباً عليه ، فلا يحصل كمال الترغيب في الإيمان ، إلا بغفران الجميع .

وأيضاً : فكيف يحسن التبعيض فيها ، مع أن الإسلام يجبّ ما قبله ، فيصحّ قول الأخفش ، فالجواب من وجوه :

أحدها : أن المراد بغفران بعض الذنوب في الدنيا ، لأن إغراق قوم نوح عذاب لهم ، وذلك إنما كان في الدنيا مضافاً إلى عذاب الآخرة ، فلو آمنوا لغفر لهم من الذنوب ما استحقوا به الإغراق في الدنيا ، وأما غفران الذنب بالإيمان في الآخرة فمعلوم .

والثاني : أن الكافر إذا آمن فقد بقيَ عليه ذنوب وهي مظالم العباد ، فثبت التبعيض بالنسبة للكافر .

الثالث : أن قوله : ﴿ ذُنُوبِكُمْ ﴾ يشمل الماضية والمستقبلة ، فإنّ الإضافة تفيد العموم ، فقيل « من » لتفيد أن المغفورَ الماضي ، وعدم إطماعهم في غفران المستقبل بمجرد الإسلام حتى يجتنبوا المنهيات .

---

(١) سورة : الملك . آية : ٣ .

(٢) سورة : نوح . آية : ٤ .

(٣) سورة : الزمر . ية : ٥٣ .

وقيل : إنها لابتداء الغاية وهو حَسَن ، لقـوله : ﴿ يُغْفَـرْ لَهُمْ مَا قَـدْ سَلَفَ ﴾[1] .

وسيبويه يقدّر في نحو ذلك مفعولاً محذوفاً ، أي يغفر لكم بعضاً من ذنوبكم محافظة على معنى التبعيض .

وقيل : بل الحذف للتفخيم ، والتقدير : « يغفر لكم من ذنوبكم ما لو كشف لكم عن كنهه لاستعظمتم ذلك » ، والشيء إذا أرادوا تفخيمه أبهموه ، كقوله : ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[2] ، أي : أمر عظيم .

وقال الصّفّار : « من » للتبعيض على بابها ، وذلك أن « غفر » تتعدى لمفعولين :

أحدهما : باللام ، فالأخفش يجعل المفعول المصرح « الذنوب » وهو المفعول الثاني ، فتكون « من » زائدة ، ونحن نجعل المفعول محذوفاً ، وقامت « من ذنوبكم » مقامه ، أي جملة من ذنوبكم ، وذلك أن المغفور لهم بالإسلام ما اكتسبوه في حال الكفر لا حال الإسلام ، والذي اكتسبوه في حال الكفر بعض ذنوبهم لا جميعها .

وأما قوله في آية الصدقة : ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[3] فللتبعيض ، لأن أخذ الصدقة لا يمحو كل السيئات .

ومما احتجّ به الأخفش أيضاً قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[4] ، أي : أبصارهم .

وقوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾[5] ، أي : كلّ الثمرات .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[6] .

---

(١) سورة : الأنفال . آية : ٣٨ .
(٢) سورة : طه . آية : ٧٨ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٧١ .
(٤) سورة : النور . آية : ٣٠ .
(٥) سورة : محمد . آية : ١٥ .
(٦) سورة : الأنعام . آية : ٣٤ .

وهذا ضعيف أيضاً ، بل هي في الأول للتبعيض ، لأن النظر قد يكون عن تعمّد وغير تعمد ، والنهي إنما يقع على نظر العمْد فقط ، ولهذا عطف عليه قوله : ﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾(١) ، من غير إعادة « من » ، لأنّ حفظ الفروج واجب مطلقاً ، ولأنه يمكن التحرّز منه ، ولا يمكن في النظر لجواز وقوعه اتفاقاً ، وقد يباح للخِطْبة وللتعليم ونحوهما .

وأما الثانية ؛ فإنّ الله وَعَدَ أهل الجنة أن يكون لهم فيها كلّ نوع من أجناس الثمار مقدارُ ما يحتاجون إليه وزيادة ، ولم يجعل جميع الذي خلقه الله من الثمار عندهم ؛ بل عند كلٍّ منهم من الثمرات ما يكفيه ، وزيادة على كفايته ، وليس المعنى على أن جميع الجنس عندهم حتى لم تبق معه بقية ؛ لأنّ في ذلك وصف ما عند الله بالتناهي .

وأما الثالثة : فللتبعيض ، بدليل قوله : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾(٢) .

لطيفة :

إنها حيث وقعت في خطاب المؤمنين لم تذكر ، كقوله في سورة الصّف : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٣) .

وقوله في سورة الأحزاب : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٤) .

وقال في خطاب الكفار في سورة نوح : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾(٥) .

وفي سورة الأحقاف : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾(٦) ، وما ذاك إلا للتفرقة بين الخطابين ، لئلا يسوّي بين الفريقين في

---

(١) سورة : النور . آية : ٣٠ .
(٢) سورة : النساء . آية : ١٦٤ .
(٣) سورة : الصف . آية : ١٠ ـ ١٢ .
(٤) سورة : الأحزاب . آية : ٧٠ ـ ٧١ .
(٥) سورة : نوح . آية : ٤ .
(٦) سورة : الأحقاف . آية : ٣١ .

الوعد ، ولهذا إنه في سورة نوح والأحقاف وَعَدهم مغفرة بعض الذنوب بشرط الإيمان ، لا مطلقاً ، وهو غفران ما بينه وبينهم ، لا مظالم العباد .

الرابع عشر: الملابسة، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾(١) . أي : يلابس بعضهم بعضاً ويواليه ، وليس المعنى على النسل والولادة ؛ لأنه قد يكون من نسل المنافق مؤمن وعكسه .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾(٢) .

وكذا قوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾(٣) .

كما يتبرأ الكفار ، كقوله : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا ﴾(٤) .

فأما قوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾(٥)، أي : بعضكم يلابس بعضاً ويواليه في ظاهر الحكم ، من حيث يشملكم الإسلام .

٧٤ ـ مع

للمصاحبة بين أمرين لا يقع بينهما مصاحبة واشتراك إلا في حُكْمٍ يجمع بينهما ، ولذلك . لا تكون الواو التي بمعنى « مع » إلا بعد فعل لفظاً أو تقديراً ، لتصح المعيّة .

وكمالُ معنى المعية الاجتماعُ في الأمر الذي به الاشتراك دون زمانه .

فالأول يكثر في أفعال الجوارح والعلاج ، نحو : دخلت مع زيد ، وانطلقت مع عمرو ، وقمنا معاً ، ومنه قوله تعالى :

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٦٧.
(٢) سورة : التوبة . آية : ٧١ .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ٣٤ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ١٦٦ .
(٥) سورة : النساء . آية : ٢٥ .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾[1] .

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غداً ﴾[2] . ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا ﴾[3] .

﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ ﴾[4] .

والثاني يكثر في الأفعال المعنوية ، نحو آمنت مع المؤمنين وتبت مع التائبين ، وفهمت المسألة مع مَنْ فهمها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾[6] .

﴿ وَقِيلَ ٱدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[7] .

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[8] .

﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[9] .

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[10] ، أي : بالعناية والحفظ .

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾[11] ، يعني : الذين شاركوه في الإِيمان ، وهو الذي وقع فيه الاجتماع والاشتراك من الأحوال والمذاهب .

وقد ذكروا الاحتمالين المذكورين في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾[12] .

قيل : إنه من باب المعية في الاشتراك ، فتمامه الاجتماع في الزمان على

---

(1) سورة : يوسف . آية : ٣٦ .
(2) سورة : يوسف . آية : ١٢ .
(3) سورة : يوسف . آية : ٦٣ .
(4) سورة : يوسف . آية : ٦٦ .
(5) سورة : آل عمران . آية : ٤٣ .
(6) سورة : التوبة . آية : ١١٩ .
(7) سورة : التحريم . آية : ١٠ .
(8) سورة : طه . آية : ٤٦ .
(9) سورة : الشعراء . آية : ٦٢ .
(10) سورة : التوبة . آية : ٤٠ .
(11) سورة : التحريم . آية : ٨ .
(12) سورة : الأعراف . آية : ١٥٧ .-

حذف مضاف ؛ إما أن يكون تقديره أنزل مع نبوته ، وإما أن يكون التقدير مع اتباعه .

وقيل : لأنه فيما وقع به الاشتراك دون الزمان ، وتقديره : واتبعوا معه النور .

وقد تكون المصاحبة في الاشتراك بين المفعول وبين المضاف ، كقوله : شممت طيباً مع زيد .

ويجوز أن يكون منه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾[1] ، نقل ذلك أبو الفتح القشيري في شرح « الإلمام » عن بعضهم ، ثم قال : وقد ورد في الشعر استعمال « مع » في معنىً ينبغي أن يتأمّل ليلحق بأحد الأقسام ، وهو قوله :

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيّ قَامَةً وَيَقْصُـر عَنْهُ طُـولُ كلِّ نجـادِ

وقال الراغب : مع تقتضي الاجتماع ، إمّا في المكان ، نحو : هما معاً في الدار ، أو في الزمان . نحو : ولدا معاً ، أو في المعنى كالمتضايفيْن ؛ نحو : الأخ والأب ، فإنّ أحدهما صار أخاً للآخر في حالِ ما صار الآخر أخاه ، وإمّا في الشرف والرتبة ، نحو : هما معاً في العلوّ ، وتقتضي « مع » النصرة والمضاف إليه لفظ « مع » هو المنصور ، نحو : قوله تعالى :

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[2] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾[3] .

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾[4] .

﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[5] .

(١) سورة : الكهف . آية : ٦٧ .
(٢) سورة : التوبة . آية : ٤٠ .
(٣) سورة : النحل . آية : ١٢٨ .
(٤) سورة : الحديد . آية : ٤ .
(٥) سورة : البقرة . آية : ١٩٤ .

﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[1] . انتهى .

وقال ابن مالك : إن « معاً » إذا أفردت تساوى « جميعاً » معنى .

وردّ عليه الشيخ أبو حيان بأن بينهما فرقاً . قال ثعلب : إذا قلت : قام زيد وعمرو جميعاً احتمل أن يكون القيام في وقتيْن ، وأن يكون في واحد ، وإذا قلت : قام زيد وعمرو معاً ؛ فلا يكون إلا في وقت واحد .

والتحقيق ما سبق .

ويكون بمعنى النصرة والمعونة والحضور ، كقوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾ ، أي ناصركما .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾[2] أي : معينهم .

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾[3] ، أي : عالم بكم ومشاهدكم ؛ فكأنه حاضر معهم ؛ وهو ظرف زمان عند الأكثرين ، إذا قلت : كان زيد مع عمرو ، أي زمن مجيء عمرو ، ثم حذف الزمن والمجيء وقامت « مع » مقامهما .

٧٥ ـ النون

للتأكيد ، وهي إن كانت خفيفة كانت بمنزلة تأكيد الفعل مرتين ، أو شديدة فمنزلة تأكيده ثلاثاً .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ ﴾[4] ، من حيث أكّدت السجن بالشدة دون ما بعده إعظاماً .

---

(١) سورة : الشعراء . آية : ٦٢ .
(٢) سورة : النحل . آية : ١٢٨ .
(٣) سورة : الحديد . آية : ٤ .
(٤) سورة : يوسف . آية : ٣٢ .

ولم يقع التأكيد بالخفيفة في القرآن إلا في موضعين : هذا ، وقوله : ﴿ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ﴾[1] .

وفي القواعد أنها إذا دخلت على فعل الجماعة الذكور كان ما قبلها مضموماً ، نحو : يا رجالُ اضربُنّ زيداً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾[2] ، فأما قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[3] ، فإنّما جاء قبلها مفتوحاً ، لأنها دخلت على فعل الجماعة المتكلمين ، وهو بمنزلة الواحد ، ولا تلحقه واو الجماعة ، لأن الجماعة إذا أخبروا عن أنفسهم قالوا : نحن نقوم ، ليكون فعلُهُم كفعل الواحد ، والرجل الرئيس إذا أخبر عن نفسه قال كقولهم ، فلما دخلت النون هذا الفعل مرة أخرى بُنِي آخره معها على الفتح لمّا كان لا يلحقه واو الجمع ، وإنّما يَضُمُّون ما قبلَ النون في الأفعال التي تكون للجماعة ، ويلحقها واو الجمع التي هي ضميرهم ، وذلك أن واو الجمع يكون ما قبلها مضموماً ، نحو قولك : يضربون ، فإذا دخلت النون حذفت نون الإعراب لدخولها ، وحذف الواو لسكونها وسكون النون ، وبقي ما قبل الواو مضموماً ، ليدل عليه .

ومثله : ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[4] .

فإن كان ما قبل الواو مفتوحاً لم يحذفها ، ولكنها تحركها لالتقاء الساكنين ؛ نحو اخشونّ زيداً .

٧٦ ـ الهاء

تكون ضميراً للغائب ، وتستعمل في موضع الجرّ والنصب ، نحو : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾[5] .

---

(١) سورة : العلق . آية : ١٥ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ٨١ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٣٤ .
(٤) سورة : الأعراف . آية : ١٤٩.
(٥) سورة : الكهف . آية : ٣٧.

وتكون لبيان السكت . وتلحق وقفاً لبيان الحركة ، وإنما تلحق بحركة بناء ، لا تشبه حركة الإعراب ، نحو : ﴿ مَاهِيَهْ ﴾[1] ، وكالهاء في ﴿ كِتَابِيَهْ ﴾[2] ، و﴿ حِسَابِيَهْ ﴾[3] ، و﴿ سُلْطَانِيَهْ ﴾[4] ، و﴿ مَالِيَهْ ﴾[5] .

وكان حقها أن تحذف وصلاً وتثبت وقفاً ، وإنما أجري الوصل مجرى الوقف ، أوْ وصل بنيّة الوقف في : ﴿ كتابيه ﴾ و﴿ حسابيه ﴾ اتفاقاً ، فأثبتت الهاء كذا عند جميع القراء إلا حمزة ؛ فإنه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث ، وأثبتها وقفاً . أعني في « ماليه » و« سلطانيه » و« ماهيه » في القارعة ؛ لأنها في الوقف يُحتاج إليها لتحصين حركة الموقوف عليه ، وفي الوصل يستغنى عنه .

فإن قيل : فلم لا يفعل ذلك في « كتابيه » و« حسابيه » ؟ قيل : إنه جمع بين اللغتين .

٧٧ ـ ها

كلمة تستعمل على ضربين :

أحدهما : أن تكون إسماً سُمّي به الفعل .

وثانيها : للتنبيه ، ولها موضعان :

أحدهما : أن تلحق الأسماء المبهمة المفردة ، نحو : هذا ، وتتنزل منزلة حرف من الكلمة ، ولهذا يدخل حرف الجر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾[6] .

ويفصل به بين المضاف والمضاف إليه ، كقوله : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ ﴾[7] .

---

(١) سورة: القارعة. آية: ١٠.
(٢) سورة: الحاقة. آية: ٢٥.
(٣) سورة: الحاقة. آية: ٢٠.
(٤) سورة: الحاقة. آية: ٢٩.
(٥) سورة : الحاقة . آية : ٢٨ .
(٦) سورة : العنكبوت . آية : ٤٧ .
(٧) سورة : الصافات . آية : ٦١ .

الثاني : أن تدخل على الجملة ، كقوله : ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ ﴾(١) .

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ ﴾(٢) .

ويدلّ على دخول حرف التنبيه على الجملة ، أنه لا يخْلُو إمّا أن يُقَدّر به الدخول على الاسم المفرد ، أو الجملة ؛ لا يجوز الأول ، لأن المبهم في الآيتين دخل عليهما حرف الإشارة ؛ فعلم أنّ دخولها إنما هو على الجملة . ذكره أبو عليّ .

٧٨ - هل

للاستفهام ، قيل : ولا يكون المستفهم معها إلا فيما لا ظن له فيه البتة ؛ بخلاف الهمزة ، فإنه لا بدّ أن يكون معه إثبات .

فإذا قلت : أعندك زيد ؟ فقد هجس في نفسك أنه عندك فأردت أن تستثبته ؛ بخلاف « هل » . حكاه ابن الدّهان .

وقد سبق فروق في الكلام على معنى الاستفهام .

وقد تأتي بمعنى « قد » ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾(٣) .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ ﴾(٤) .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنْسَانِ ﴾(٥) .

وذكر بعضهم أن « هل » تأتي للتقرير والإثبات ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١١٩ .
(٢) سورة : النساء . آية : ١٠٩ .
(٣) سورة : طه . آية : ٩ .
(٤) سورة : الغاشية . آية : ١ .
(٥) سورة : الإنسان . آية : ١ .

ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾[١]، أي : في ذلك قَسَم .

وكذا قوله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنْسَانِ ﴾[٢]، على القول بأن المراد آدم ، فإنه توبيخ لمن ادّعى ذلك .

وتأتي بمعنى « ما » كقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[٣].

وبمعنى «أَلَا» كقوله : ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾[٤].

وبمعنى الأمر ، نحو : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[٥].

وبمعنى السؤال : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾[٦].

وبمعنى التمنّي : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾[٧].

وبمعنى « أدعوك » ، نحو : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾[٨] ؛ فالجار والمجرور متعلّق به .

٧٩ ـ هيهات

لتبعيد الشيء ؛ ومنه ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[٩].

قال الزجاج : البعد لما توعدون .

قيل : وهذا غلط من الزجاج أوقعه فيه اللام ؛ فإن تقديره : بَعُدَ الأمر لما توعدون ، أي لأجله .

(١) سورة : الفجر . آية : ٥ .
(٢) سورة : الإنسان . آية : ١ .
(٣) سورة : البقرة . آية : ٢١٠ .
(٤) سورة : الكهف . آية : ١٠٣ .
(٥) سورة : المائدة . آية : ٩١ .
(٦) سورة : قَ. آية : ٣٠ .
(٧) سورة : الفجر . آية : ٥ .
(٨) سورة : النازعات . آية : ١٨ .
(٩) سورة : المؤمنون . آية : ٣٦ .

٨٠ ـ الواو

حرف يكون عاملاً وغير عامل .

١ ـ فالعامل قسمان : جار ، وناصب .

فالجار واو القَسَم ، نحو : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[1] .

وواو « ربَّ » على قول كوفيّ . والصحيح أن الجر بـ« ربَّ » المحذوفة لا بالواو .

والناصب ثنتان : واو « مع » فتنصب المفعول معه عند قوم ، والصحيح أنه منصوب بما قبل الواو من فعل أو شبهه بواسطة الواو .

والواو التي ينتصب المضارع بعدها في موضعين : في الأجوبة الثمانية ، وأن يعطف بها الفعل على المصدر ، على قول كوفي .

والصحيح أن الواو فيه عاطفة والفعل منصوب بأن مضمرة .

ولها قسم آخر عند الكوفيين ؛ تسمى واو الصرف ، ومعناها : أن الفعل كان يقتضي إعراباً فصرفته الواو عنه إلى النصب ، كقوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكَ ٱلدِّمَاءَ ﴾[2] على قراءة النصب .

٢ ـ وأما غير عاملة فلها معانٍ :

الأول : وهو أصلها ـ العاطفة تُشرك في الإعراب والحكم . وهي لمطلق الجمع على الصحيح ، ولا تدلّ على أنّ الثانيَ بعد الأول ، بل قد يكون كذلك ، وقد يكون قبله وقد يكون معه ، فمن الأول : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ

---

(١) سورة : الأنعام . آية : ٢٣ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٣٠ .

زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾[1] ؛ فإنّ الإخراجَ متأخر عن الزلزال ؛ وذلك معلوم من قضية الوجود لا من الواو .

ومن الثاني : ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ ﴾[2] ، والركوع قبل السجود ، ولم يُنقل أنّ شرعهم كان مخالفاً لشرعنا في ذلك .

وقوله تعالى مخبراً عن منكري البعث : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾[3] أي نحيا ونموت .

وقوله : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾[4] ، والأيام هنا قبل الليالي ، إذا لو كانت الليالي قبل الأيام كانت الأيام مساوية للّيالي وأقلّ .

قال الصفار : ولو كان على ظاهره لقال : « سبع ليال وستة أيام » ، أو « سبعة أيام » ، وأما « ثمانية » فلا يصح على جعل الواو للترتيب .

فائــــدة :

قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[5] .

﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[6] .

أجاز أبو البقاء كونَ الواو عاطفة ، وهو فاسد ؛ لأنّه يلزم فيه أن يكون الله تعالى أمرَ نبيه عليه السلام أن يتركه ، وكأنه قال : اتركني واترك مَنْ خلقت وحيداً ، وكذلك : اتركني واترك المكذبين ، فتعيّن أن يكون المراد : خلِّ بيني وبينهم ، وهو واو « مع » كقولك : لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها .

والثاني : واو الاستئناف ، وتسمى واو القطع والابتداء ؛ وهي التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ، ولا مشاركة في الإعراب ، ويكون بعدها الجملتان .

---

(1) سورة : الزلزال . آية : ١ ـ ٢ .
(2) سورة : آل عمران . آية : ٤٣ .
(3) سورة : الجاثية . آية : ٢٤ .
(4) سورة : الحاقة . آية : ٧ .
(5) سورة : المدثر . آية : ١١ .
(6) سورة : المزمل . آية : ١١ .

فالاسمية ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾[1] .

والفعلية ، كقوله : ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾[2] .

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا . وَيَقُولُ ٱلْإِنْسَانُ ﴾[3] .

والظاهر أنّها الواو العاطفة ؛ لكنها تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط ؛ وإنّما سميت واو الاستئناف لئلا يُتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها .

الثالث : واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية ؛ وهي عندهم مغنْية عن ضمير صاحبها ، كقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾[6] .

وقد يجتمعان نحو : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[7] .

﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ ﴾[8] .

﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي ٱلْمَسَاجِدِ ﴾[9] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[10].

---

(١) سورة : الأنعام. آية : ٢ .
(٢) سورة : الحج . آية : ٥ .
(٣) سورة : مريم . آية : ٦٥ـ٦٦ .
(٤) سورة : آل عمران . آية : ١٥٤ .
(٥) سورة : يوسف . آية : ١٤ .
(٦) سورة : الأنفال . آية : ٥
(٧) سورة : البقرة . آية : ٢٢ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ٤٤ .
(٩) سورة : البقرة . آية : ١٨٧ .
(١٠) سورة : البقرة . آية : ٢٤٣ .

﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ ﴾[3] .

﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾[4] .

﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[5] .

الرابع : للإباحة ، نحو جالس الحسن وابن سيرين ؛ لأنك أمرت بمجالستهما معاً .

قال : وعلى هذا أخذ مالك : قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ . . . ﴾[6] الآية .

الخامس : واو الثمانية ، والعرب تدخل الواو بعد السبعة إيذاناً بتمام العدد ؛ فإنّ السبعة عندهم هي العقد التامّ كالعشرة عندنا ، فيأتون بحرف العطف الدالّ على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فتقول : خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، فيزيدون الواو إذا بلغوا الثمانية .

حكاه البغوي عن عبد الله بن جابر عن أبي بكر بن عبدوس ، ويدل عليه قوله تعالى :

﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾[7] .

ونقل عن ابن خالويه وغيره ، ومثلوه بقوله تعالى : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[8] بعد ما ذكر العدد مرتين بغير واو.

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ٩٨.

(٢) سورة : آل عمران . آية : ١٠٢ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٦٧ .

(٤) سورة : الانعام . آية : ٩٣ .

(٥) سورة : مريم . آية : ٢٠ .

(٦) سورة : التوبة . آية : ٦٠ .

(٧) سورة : الحاقة . آية : ٧ .

(٨) سورة : الكهف . آية : ٢٢ .

وقوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[١] ، بالواو لأنها ثمانية .

وقال تعالى في صفة النار : ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[٢] ، بغير واو لأنها سبعة ، وفُعِل ذلك فرقاً بينهما .

وقوله : ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ﴾[٣] ، بعد ما ذكر قبلها من الصفات بغير واو .

وقيل : دخلت فيه إعلاماً بأن الآمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر في حال أمره بالمعروف ، فهما حقيقتان متلازمتان .

وليس قوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾[٤] من هذا القبيل ، خلافاً لبعضهم ؛ لأن الواو لو أسقطت منه لاستحال المعنى ، لتناقض الصفتين .

ولم يثبت المحققون واو الثمانية ، وأوّلوا ما سبق على العطف أو واو الحال ، وإن دخلت في آية الجنة ، لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم ، وحذفت في الأول لأنها كانت مغلقة قبل مجيئهم .

وقيل : زيدت في صفة الجنة علامة لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته ، وفيها زيادة كلام سبق في مباحث الحذف .

وزعم بعضهم أنها لا تأتي في الصفات إلا إذا تكررت النعوت ، وليس كذلك بل يجوز دخولها من غير تكرار ، قال تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[٥] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٦] .

وتقول : جاءني زيد والعالم .

---

(١) سورة : الزمر . آية : ٧ .
(٢) سورة : الزمر . آية : ٧ .
(٣) سورة : التوبة . آية : ١١٢ .
(٤) سورة : التحريم . آية : ٥ .
(٥) سورة : الكهف . آية : ٢٣ .
(٦) سورة : الأنبياء . آية : ٤٨ .

السادس : الزيادة للتأكيد ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾[1] ، بدليل الآية الأخرى[2] .

قال الزمخشري : دخلت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، الدالة على أنّ اتصافَه بها أمر ثابت مستقر[3] .

وضابطه أن تدخل على جملة صفة للنكرة ، نحو جاءني رجل ومعه ثوب آخر ، وكذا ، ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[4] .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك في باب الاستثناء من شرح « التسهيل » ، وتابعه الشيخ أثير الدين : إنّ الزمخشري تفرّد بهذا القول ؛ وليس كذلك ؛ فقد ذكر الأزهريّ في « الأزهريّة » ؛ فقال : وتأتي الواو للتأكيد ، نحو : ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثوب حسن . وفي القرآن منه : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾[5] ، وقال : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾[6] . انتهى .

وأجازه أبو البقاء أيضاً في الآية ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[7] ، فقال : يجوز أن تكون الجملة في موضع نصب صفة لـ « شيء » وساغ دخول الواو ، لمّا كانت صورة الجملة هنا كصورتها إذا كانت حالاً[8] .

وأجاز أيضاً في قوله تعالى : ﴿ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾[9] .

فقال : الجملة في موضع جرّ صفة لـ « قريةٍ »[10] .

---

(١) سورة : الحجر . آية : ٤ .
(٢) الآية : ٢٠٨ من سورة الشعراء .
(٣) أنظر الكشاف ، للزمخشري ٢/٤٤٤ .
(٤) سورة : الكهف . آية : ٢٣ .
(٥) سورة : الأنبياء . آية : ٤٨ .
(٦) سورة : الشعراء . آية : ٢٠٨ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٢١٦ .
(٨) أنظر : إملاء ما من به الرحمٰن ، للعكبري ١/٥٤ .
(٩) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .
(١٠) المرجع السابق ١/٦٤ .

وأما قوله : ﴿ فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾[1] .

فقيل : الواو زائدة ، ويحتمل أن يكون مجزوماً جواب الأمر ، بتقدير : اضرب به ولا تحنث .

ويحتمل أن يكون نهياً .

قال ابن فارس : والأول أجود[2] .

وكذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ ﴾[3] ، قيل : الواو زائدة .

وقيل : ولنعلّمه[4] فعلنا ذلك .

كذلك : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾[5] أي : وحفظاً فعلنا ذلك .

وقيل في قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[6] : إنها زائدة للتأكيد ، والصحيح أنها عاطفة . وجواب « إذا » محذوف ، أي سعدوا وأدخلوا .

وقيل : وليعلم فعلنا ذلك ، وكذلك : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾[7] ؛ أي : وحفظاً فعلنا ذلك .

وقيل في قوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾[8] ، أي : ناديناه . والصحيح أنها عاطفة ، والتقدير : عرف صبره وناديناه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[9] .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[10] .

---

(١) سورة : ص . آية : ٤٤ .
(٢) أنظر : فقه اللغة ٩١ .
(٣) سورة : يوسف . آية : ٢١ .
(٤) في الأصول : « ولنعلم » .
(٥) سورة : الصافات . آية : ٧ .
(٦) سورة : الزمر . آية : ٧٣ .
(٧) سورة : الصافات . آية : ٧ .
(٨) سورة : الصافات . آية : ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٩) سورة : الأنعام . آية : ٧٥ .
(١٠) سورة : الأنبياء . آية : ٤٨ .

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ﴾[1] ، أي : لنعلم .

وقوله : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ ٱفْتَدَى بِهِ ﴾[2] .

وزعم الأخفش أن « إذا » من قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنْشَقَّتْ ﴾[3] ، مبتدأ وخبرها « إذا » في قوله : ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾[4] ، والواو زائدة ، والمعنى أن وقت انشقاق السماء هو وقت مد الأرض وانشقاقها، واستبعده أبو البقاء ؛ لوجهين :

أحدهما : أن الخبر محطّ الفائدة ، ولا فائدة في إعلامنا بأن وقت الانشقاق في وقت المدّ ، بل الغرض من الآية عظم الأمر يوم القيامة .

والثاني : بأن زيادة الواو تغلب في القياس والاستعمال .

وقد تحذف كثيراً من الجمل ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ ﴾[5] ، أي : « وقلت » ، والجواب قوله تعالى : ﴿ تولَّوْا ﴾ .

وقوله : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[6] ، وفي القول أكثر : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾[7] الآية .

وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ . وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[8] .

---

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٤٠ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ٩١ .
(٣) سورة : الانشقاق . آية : ١ .
(٤) سورة : الانشقاق . آية : ٣ .
(٥) سورة : التوبة . آية : ٩٢ .
(٦) سورة : الرعد . آية : ٢ .
(٧) سورة : الشعراء . آية : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٨) سورة : الواقعة . آية : ٤٥ ـ ٤٦ .

٨١ ـ ويكأن

قال الكسائي كلمة تندّم وتعجب ، قال تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾[١] .

﴿ وَيْكَأَنَّه لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[٢] .

وقيل : إنه صوت لا يقصد به الإخبار عن التندم . ويحتمل أنه إسم فعل مسماه « ندمت » أو « تعجّبت » .

وقال الصفار: قال المفسرون معناه: ألم تر ، فإن أرادوا به تفسير المعنى فمسلّم ، وإن أرادوا تفسير الإعراب فلم يثبت ذلك .

وقيل بمعنى « ويلك » ، فكان ينبغي كسر « إن » .

وقيل « وي » تنبيه ، وكأن للتشبيه وهو الذي نص عليه سيبويه .

ومنه من جعل كأنّ زائدة لا تفيد تشبيهاً . . . [٣] ولم يثبت ، فلم يبق إلا أنها للتشبيه ، الأمر يشبه هذا ، بل هو كذا .

قلت : عن هذا اعتذر سيبويه ، فقال : المعنى[٤] على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نُبِّهُوا ، فقيل لهم : أما يُشبه أن يكون ذا عندكم هكذا !

وهذا بديع جداً كأنهم لم يحققوا هذا الأمر ، فلم يكن عندهم إلا ظن ، فقالوا نشبه أن يكون الأمر كذا ، ونهوا . ثم قيل لهم : يشبه أن يكون الأمر هكذا على وجه التقرير انتهى .

وقال صاحب « البسيط » كأنّه على مذهب البصريين ، لا يراد به التشبيه بل

---

(١) سورة : القصص . آية : ٨٢ .

(٢) سورة : القصص . آية : ٨٢ .

(٣) في الأصول بياض مكان النقط .

(٤) أنظر : الكتاب لسيبويه ١/٢٩٠ .

القطع واليقين ، وعلى مذهب الكوفيين يحتمل أن تكون الكاف حرفاً للخطاب ؛ لأنه إذا كان اسم فعل لم يضف .

وذهب بعضهم إلى أنه بكماله إسم .

وذهب الكسائي إلى أن أصله « ويلك » فحذفت اللام وفتحت على مذهبه ، أن باسم الفعل قبلها .

وأما الوقف فأبو عمرو ، ويعقوب يقفان على الكاف على موافقة مذهب الكوفيين ، والكسائي يقف على الياء ؛ وهو مذهب البصريين ؛ وهذا يدلّ على أنهم لم يأخذوا قراءتهم من نحوهم ، وإنما أخذوها نقلاً ، وإن خالف مذهبهم في النحو ولم يكتبوها منفصلة ، لأنه لما كَثُر بها الكلام وصلت .

٨٢ - ويل

قال الأصمعي : « ويل » تقبيح ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(١) .

وقد توضع موضع التحسّر والتفجع منه ، كقوله : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا ﴾(٢) .

﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ ﴾(٣) .

٨٣ - يا

لنداء البعيد حقيقة أو حكماً ، ومنه قول الداعي : يا ألله ؛ ﴿ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ، استصغاراً لنفسه ، واستبعاداً لها من مظان الزلفى .

---

(١) سورة : الأنبياء . آية : ١٨ .
(٢) سورة : الكهف . آية : ٤٩ .
(٣) سورة : المائدة . آية : ٣١ .

وقد ينادي بها القريب إذا كان ساهياً أو غافلاً ، تنزيلاً لهما منزلة البعيد .

وقد ينادي بها القريب الذي ليس بساهٍ ولا غافل ؛ إذا كان الخطاب المرتّب على النداء في محل الاعتناء بشأن المنادى .

وقد تُحذف ، نحو : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾[1] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً ﴾[2] .

﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾[3] .

وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ ﴾[4] في قراءة تخفيف « من » : إنّ الهمزة فيه للنداء ؛ أي يا صاحب هذه الصفات .

قال ابن فارس : تأتي للتأسف والتلهف ؛ نحو : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا ﴾[5] .

وقيل للتنبيه .

قال : وللتلذذ ؛ نحو :

* يَا بَرْدَهَا عَلَى ٱلْفُؤَادِ لَوْ تَقِفْ *

* وَهَذَا مع التوفيق كافٍ فحصّلا *

---

(1) سورة : يوسف . آية : ٢٩ .
(2) سورة : يونس . آية : ٨٨ .
(3) سورة : الأعراف . آية : ١٥٠ .
(4) سورة : الزمر . آية : ٩ .
(5) سورة : النمل . آية : ٢٥ .

خاتمة الناسخ

تمت النسخة المباركة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، ونسأل الله العظيم ، ربّ العرش العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم مقرباً بالفوز في جنات النعيم ، وذلك في اليوم المبارك السعيد ، رابع عشر شهر شعبان الفرد ، من شهور سنة تسع وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وغفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين .

وإن تجد عَيباً فَسُدّ الخَلَلَا   فجلَّ من لا فيهِ عَيْبٌ وَعَلَا

في آخر النسخة « ب » : « نجز الكتاب بعون الملك الوهاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم مقرباً بالفوز إلى جنات النعيم . وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء المبارك الموافق إحدى عشر من ذي القعدة سنة خمسة وثلاثين بعد الثلثمائة والألف أحسن الله عاقبته بحمد الله وآله وصحبه وسلم آمين» .

* * *

فهرست الجزء الرابع

من كتاب البرهان في علوم القرآن

الموضوع	الصفحة
مقابلة الجمع بالجمع	٥
قاعدة فيما ورد في القرآن مجموعاً ومفرداً والحكم في ذلك	٩
قاعدة فيما يتعلق بالسؤال والجواب	٥٠
الخطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في نفس الأمر	٦٥
التأدّب في الخطاب بإضافة الخير إلى الله وأن الكل بيده	٧٠
قاعدة: [ذكر الرحمة قبل العذاب]	٧٦
قاعدة في ألفاظ يُظنُّ بها الترادف وليست منه	٩٣
قاعدة في التعريف والتنكير	١٠٣
قواعد تتعلق بالعطف	١٢٠
قواعد تتعلق بالعدد	١٣٧
أحكام لألفاظ يكثر دورانها في القرآن	١٤١
النوع السابع والأربعون: في الكلام على المفردات من الأدوات والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها	١٩٩
خاتمة الناسخ	٤٧٠